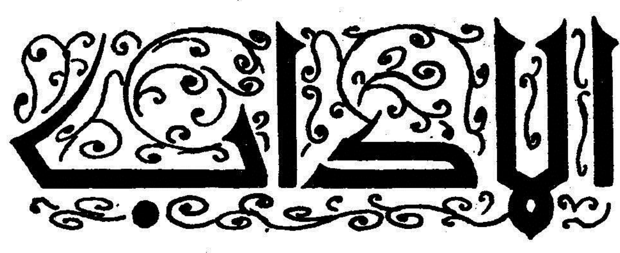
العدد الثامن
آب (اغسطس)
السنة السابعة

No. 8 .. Août 1959
7ème ANNEE



مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر
بيروت
ص.ب ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢
AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس
Rédacteur en chef et
directeur
SOUHEIL IDRISS

ثورتا تموز...

لم تعش ثورة ١٤ تموز على وجهها الحقيقي الرائع الا بضعة اسابيع. ثم قتلها الشيوعيون اذ حرفوها وزيفوا حقيقتها وصرفوها الى غير الاتجاه الذي رصده لها ضمير الشعب العربي في العراق وفي الوطن العربي كله.

واذا نحن احتفلنا اليوم بذكرى ١٤ تموز، فانما نذكر الثورة الطفل التي ولدت في مصهر الالم العربي النبيل في كل جزء من اجزاء الوطن الكبير – تلك الثورة التي كانت جنينا في صدر كل انسان عربي مهما ابتعدت به المسافة عن بغداد، لان كل انسان عربي كان يعيشها في ضميره ويغذيها ويترقب يوم ولادتها، فلما خرجت هذه الثورة الى النور، فرح بها سبعون مليونا، لانهم جميعا قد اجنوها في صدورهم واصابوا في مخاضها اشرف العذاب وانبله. وهم اليوم، بعد مرور عام، لا يؤمنون بان ثورتهم هذه قد ماتت، بل مات المسخ المشوه الهجين الذي استبدل له بها مزيفو الحقيقة الانتهازيون. وليس في اذهاننا اليوم، ولن يكون في اذهاننا الى الابد، الا صورة تلك الانتفاضة النضرة الرائعة التي هي حلقة متينة من سلسلة الانتفاضات العربية الكبرى في تاريخ خلقنا الجديد.

ولم يطل بالشعب العربي الانتظار، ليدرك ان الذي كان بيده الحديد والنار، وراح يرهب بهما العناصر القومية المخلصة ليمحو على الشفاه شعارات العروبة والوحدة، ويلوّح بديلا عنها بشعارات زائفة تحتمل كل تأويل، وتناقض اشد التناقض ما يفرض في شعارات كل ثورة من وضوح واخلاص وصدق. ثم اتاح للانتهازية الشيوعية ان تمارس ارهابها بالضغط والتنكيل والجر بالحبال، وظل يلعب لعبته الصامتة الغامضة التي قد تدل على كل شيء، الا على انه ثوري مؤمن مخلص شريف.

سوف تحتفل العروبة بعد ايام بذكرى ثورة ٢٣ تموز. فهل يسع العربي، وهو بين هاتين الذكريين، الا ان يقارن خط سير كل من الثورتين في مضمار القومية العربية؟ ان مصر تستدرك تخلفها الذي فرضه عهد الاستعمار والعزلة لتنطلق في ميدان العروبة انطلاقة فتية خافقة تبوئها في وقت يسير زعامة الامة العربية وتجعل منها رمزا للوحدة المنتظرة الكبرى اذ تتحقق على يدها نواة هذه الوحدة في شكل الجمهورية العربية المتحدة، بينما نرى العراق، العراق الرسمي الحكومي، يهدم مرة واحدة كل ما بناه شعب العراق العظيم في صرح القومية العربية، ويتحول عن المجرى العربي الدافق، فيخون تاريخ العراق كله، ذلك التاريخ الذي كانت ابعد غاياته واحلى امانيه ان يحقق وحدة الوطن العربي. وهكذا ينطلق في مضمار العروبة بلد كان في تخلف كبير، ويتخلف في هذا المضمار نفسه بلد كان في اروع الانطلاق. فهذه هي نكسة الثورة على يد قاسم العراق، وتلك هي زهوة الثورة على يد ناصر العرب!

ان بحسب كل عربي ليحكم على انحراف ثورة ١٤ تموز ان يذكر كيف تطور موقف الاستعمار والصهيونية منها في مدى اسابيع قليلة ، فلقد تلقاها الاميركيون بالرعب فسارعوا الى انزال قواتهم في لبنان ، وذعرت بريطانيا اشد الذعر فنزلت جيوشها الاردن ، وتحفزت اسرائيل فحشدت قواتها على الحدود .. ومضت اسابيع فانسحبت الجيوش الاميركية والانكليزية وقد تبدل ذعرها امنا واطمئنانا ، وراحت اسرائيل وما تزال حتى اليوم تكيل المدح والثناء للجمهورية العراقية ولقاسم ... افلا يدل ابسط المنطق في هذه الاحداث المتقلبة على ان سياسة الحكومة العراقية تساير الاستعمار وتمالىء الصهيونية ، وان كانت تظهر في ذلك غير ما تخفي؟

وطوال هذا العام الذي انقضى على الثورة ، هل توضحت خطوط السياسة القاسمية ، الا ان يكون الوضوح في معاداتها للعروبة والقومية العربية واضطهاد العروبيين والقوميين العرب ؟ وذلك الخلاف المصطنع بينها وبين الشيوعيين الذي ابتدأ بزعم اقصائهم وانتهى بتوليهم عدة وزارات ، اليس دليلا ناصعا على سياسة التدليس والتدجيل والتزييف ؟

ولقد استطاع قاسم ، ومن ورائه الشيوعيون المرشحون ابدا للخيانة ، ان يضللوا قسما كبيرا من الشعب العربي في العراق ، وان يخضعوا القسم الباقي للارهاب ، فتعطلت الطاقة الشعبية الواعية وشلت امكاناتها الثورية . ولكن الى متى يستمر التضليل والارهاب ؟ لقد قامت ثورة ١٤ تموز في الاصل لهدم التضليل الذي كان نوري السعيد وطغمته يغرقون فيه الشعب العربي في العراق ، ولنفض الارهاب الذي كانوا يسلطونه على عناصر الوعي والايمان بالمصير العربي الواحد . ولكن قاسم استغل هذه الثورة ليزيح نوري السعيد ويمارس على الشعب شبيه اساليبه التضليلية الارهابية ، يعاونه في ذلك الانتهازيون الطامحون ابدا الى الحكم ، فاذا بالثورة العظيمة التي انبثقت من ضمائر الملايين في الشعب العربي تجهض ، وتغتالها اليد التي اخرجتها الى النور .

ولكن الضمير العربي الذي استيقظ ماردا جبارا لن يدع الايدي الاثيمة القذرة تلغ في دماء ابنائه طويلا ، فان هذا الضمير هو الذي يخط القدر العربي الجديد ، ولا مرد لهذا القدر (*)

(*) القى رئيس التحرير هذه الكلمة في مهرجان جمعية متخرجي المقاصد الاسلامية ببيروت يوم ١٧ تموز الحالي .

الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت

ص . ب ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

*

الادارة

شارع سوريا — راس الخندق الغميق ، بناية الاسمر

*

الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان او ٥ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجنتين : ١٥٠ ريالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

*

الاعلانات

يتفق بشأنها مع الادارة

*

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣



« دريس » ...

مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا !

للروائية الفرنسية
جانين اوريانو

عرض وتلخيص
الدكتور سهيل ادريس

« دريس » رواية فرنسية صدرت اخيرا عن دار « جوليار » بباريس . وهي اول اثر لكاتبة شابة تدعى « جانين اوريانو » يتوسمون لها مستقبلا لامعا في عالم القصة ، لما تمتلكه من حاسة فنية مرهفة ونضارة في السرد والتعبير ، ونزعة انسانية رائعة .

والذي يهم القارىء العربي من هذه الرواية انها تصور ابلغ تصوير مأساة الانسان العربي في الجزائر حين يدخل فرنسا سعيا وراء الرزق ، هذا الرزق الذي يحرمه اياه الاستعمار الفرنسي في وطنه وأرضه ، ويلوح له ويغريه به في الارض الفرنسية .. ودريس فرد من ملايين يريدون اقناعهم بأنهم فرنسيون ، ثم يحرمونهم ادنى وسائل العيش ، فلا يشعرون حتى بأنهم من طينة البشر !

اننا نراه يتيه شاردا في الطرقات ، خاوي البطن ، ونتابعه في مراحل عذابه وسط مدينة لا تبالي به ، بل تسد في وجهه كل الابواب ، وترسل من يخدعه ويستلب منه آخر دراهمه ، ويظل هو محتفظا بالحنين الى وطنه الذي تظل للوعد والحب والكلمة فيه معان سامية ، كما يظل محتفظا بحس العزة والكرامة ، فلا يرتضي أن يذل نفسه على شدة حاجته لما يحفظ أوده . غير انه لا يستطيع ان يبقى طويلا في موقف الحياد من الشرور التي تحيط به وتتهدده في رزقه وحياته كلها ، فيتنبه ويعيش على الحذر ويقابل الشر بالشر في آخر المطاف ، وكأنه يرمز بذلك الى موقف بلاده المناضلة ضد قوى الشر والطغيان .. وكم يكون عميقا صدى اعلان الثورة الجزائرية في نفس دريس ، وشعوره بيقظة امته وشعبه على حس الكرامة والانسانية .

ويسر « الاداب » ان تقدم تلخيصا وافيا لهذه الرواية الطيبة التي تثبت انه لا تزال ثمة جذوة في ضمائر بعض الاحرار في فرنسا . وبالرغم من ان في الرواية بعض مواقف تفسر نضال الجزائريين تفسيرات خاطئة ، فان فيها جهدا واضحا للاعتراف بحق الجزائر بالاستقلال والحرية .

« المترجم »

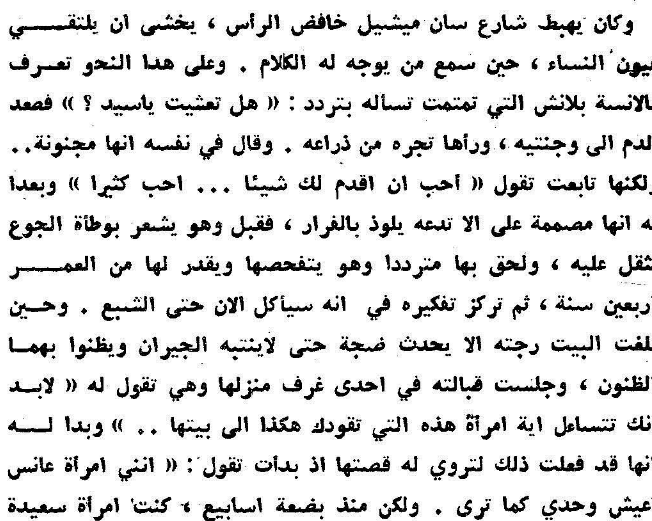
(١)

« وهذا اخر ... »

كلمتان كانتا كافيتين لخنق كل ما كان يعتلج في صدر « دريس » من أمل وفرح وحب . كلمتان كان يهمس بهما بين الفينة والفينة بعض المارة في شوارع باريس . وحين كان يسمعهما او يقراهما في النظرات او يفاجئهما في حركة التراجع اللا ارادية التي كان يقوم بها اولئك الذين كان يحاذيهم ، كان يشعر باستعداد كبير ليضحي بكل شيء من اجل ان يتخلص من هذا الشعر الاسود المتطاير في الهواء . كان يود لو ان بشرته كانت اقل خشونة ، وعينيه اقل سوادا ، ولكنه كان يتمنى كذلك لو انه كان يملك بنطلونا غير مثقوب لدى الركبتين ، وحذاء نعله من جلد بدلا من هذا الخف المطاط .

ان دريس في الخامسة والعشرين . ولعل سبب هزاله انه اذا شبع يوما ، ظل يوما اخر على جوع . انه النموذج الممتاز للجزائري الذي يرى وهو يجرجر قدميه بمحاذاة الجسور وعلى ارصفة المقاهي ، وفي ذراعه كيس من الفستق السوداني . ولقد مضى شهر على وصوله الى باريس ، وكان شديد الفخر بانه يحسن التحدث بالفرنسية ، وعميق الامل بانه لن يلبث طويلا حتى يجد له عملا . ولكن مضى شهر بحث فيه عبثا عن عمل ، ورأى المال الذي كان يملكه يذوب بين اصابعه ، فجعل يتساءل بلا انقطاع : اترفض فرنسا التي توجه اليها بعد موت ابيه في « منصورة » ، اترفض فرنسا « بلده » ان تقدم له بضع اوراق تتيح له ان يقيم اود اسرته ؟ اذا كان الامر كذلك ، فما كان اصدق « كليم سيد » الذي صاح بهم قبيل سفرهم ان فرنسا لن تكون ارحم بهم من الجزائر ! وكم كان هو ، دريس ، على خطأ حين ابتعد اذ عرض الخطيب على مواطنيه ان يتحدوا ليصارعوا جنبا الى جنب ويقاوموا البطالة والبؤس وسائر الافات التي كانت تتهددهم .

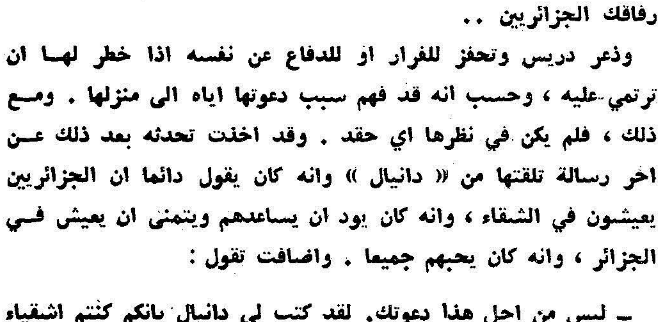
وحين كان على ظهر الباخرة التي تقله الى فرنسا ، كان يعي التفوق



الذي اكتسبه على اقرانه من جراء تلك الاعوام الخمسة التي قضاها في المدرسة الفرنسية الاسلامية ، وكان يؤمن بان فرنسا لن تخيب امله .. اما الان ، هذا المساء .. فأيان يتوجه ليلتقط كسرة الخبز التي تخدع جوعه ؟

وكان يهبط شارع سان ميشيل خافض الرأس ، يخشى ان يلتقي عيون النساء ، حين سمع من يوجه له الكلام . وعلى هذا النحو تعرف بالانسة بلانش التي تمتمت تسأله بتردد : « هل تعشيت ياسيد ؟ » فصعد الدم الى وجنتيه ، ورآها تجره من ذراعه . وقال في نفسه انها مجنونة.. ولكنها تابعت تقول « أحب ان اقدم لك شيئا ... احب كثيرا » وبعدا له انها مصممة على الا تدعه يلوذ بالفرار ، فقبل وهو يشعر بوطأة الجوع تثقل عليه ، ولحق بها مترددا وهو يتفحصها ويقدر لها من العمر اربعين سنة ، ثم تركز تفكيره في انه سيأكل الان حتى الشبع . وحين بلغت البيت رجته الا يحدث ضجة حتى لاينتبه الجيران ويظنوا بهما الظنون ، وجلست قبالته في احدى غرف منزلها وهي تقول له « لابد انك تتساءل اية امرأة هذه التي تقودك هكذا الى بيتها .. » وبدا له انها قد فعلت ذلك لتروي له قصتها اذ بدأت تقول : « انني امرأة عانس اعيش وحدي كما ترى . ولكن منذ بضعة اسابيع ، كنت امرأة سعيدة





افتى وانضر كثيرا مما انا اليوم . »

وروت له انها لم تتزوج وان اختها عهدت اليها ، وهي تموت ، في تربية ابنها التي كانت تحبه كما لو انها كانت امه حقا ، فسهرت على تربيته حتى بلغ العشرين . واستطردت تقول :

ــ اما الان ، فلن اراه بعد ابدا . لقد مات . وقد قتله احد رفاقك الجزائريين ..

وذعر دريس وتحفز للفرار او للدفاع عن نفسه اذا خطر لها ان ترتمي عليه ، وحسب انه قد فهم سبب دعوتها اياه الى منزلها . ومع ذلك ، فلم يكن في نظرها اي حقد . وقد اخذت تحدثه بعد ذلك عن اخر رسالة تلقتها من « دانيال » وانه كان يقول دائما ان الجزائريين يعيشون في الشقاء ، وانه كان يود ان يساعدهم ويتمنى ان يعيش في الجزائر ، وانه كان يحبهم جميعا . واضافت تقول :

ــ ليس من اجل هذا دعوتك. لقد كتب لي دانيال بانكم كنتم اشقياء وان علينا ان نساعدكم ،وعلي انا ان اساعدكم .. ولشدة ما قرأت رسالته يبدو لي اني احمل هذه الكلمات في صدري ...

وكانت تتكلم كلاما مضطربا وتلوي يديها وهي تحدد نظرها فيه بما يشبه الذعر :

ــ لقد كنت كل صباح ابحث في الصحف عن اخبار الجزائر ، واخبار « العصاة » .. كانوا يقولون انكم كنتم تعذبون الجنود ، وكنت اتساءل عما اذا كنتم قد عذبتم دانيال قبل ان تقتلوه ، وكنت اكرههم واحقد عليكم ، ولكن ما ان اعود الى رسالته حتى يختلط كل شيء في رأسي . هل كنتم تقتلون النساء والاولاد ؟ وكنت اصبح : « ليذبحوهم جميعا ، ولينتقموا لي منهم ! » ولكني سرعان مااسمع عبارة دانيال وهي ترتفع الى اذني كأنها عتاب : « انهم تعساء ، ويجب ان نساعدهم .. » فأشعر باني اخونه ، ويجن جنوني ، فمن الممكن ان يستحق غيره العقاب ، اما هو .. فلا .. اقسم لك انه لم يكن يستحق القتل !

ورآها تحبس دمعها وتلوي شفتيها بشكل توجع مؤلم ثم تقول :

ــ لم ارد في اول العهد ان ارى احدا . ولم اكن افكر الا فيه .. انه لم يكذب علي قط،ولم يكن ممكنا ان تكون كلماته الاخيرة مناقضة للحقيقة. ولقد توجهت اليه في صلواتي ، وشعرت انه كان يريد ان يهتم بكم . من اجل هذا دعوتك الى مرافقتي هذا المساء ، حين رأيت سحنتك الجائعة .

واحس دريس بانها امرأة شقية ، ولكن لم يسعه الا ان يكن لها احتراما شبيها بهذا الذي كان يحسه لتماثيل القديسات التي كانت تزين كنيسة « منصورة » . وهو لم يسبق له ان التقى امرأة مثلها . لقد كان واجبها ان تساعده ، وقد رآها تبسط له يدها وتقول : « انني سعيدة جدا ، ونظر الى يده الخشنة الوسخة تشد على يدها الناعمة البيضاء ، فشعر بالخجل وسارع يسحب يده ويخفيها في جيبه خشية ان تراها . ثم احس فجأة بالخيبة : كيف يستطيع ان يكون صديقها ، وهما مختلفان هذا الاختلاف كله ؟ وجهد ليقول لها : « انني سعيد جدا بان تكوني قد اهتممت بي » ولكنه جعل يتساءل بعد لحظات : «والعشاء؟» وهم بان ينهض ، غير انه اخذ يترنح ، فنظرت اليه وسألته ما به فأجاب :

ــ ارجو المعذرة .. انني لم اكد اكل شيئا هذا الصباح !

... وحرق الكونياك حلقه لشدته ، بينما ابلغته انها ماضية لاعداد العشاء في المطبخ ، وتنفس الصعداء ، وتلمس قماش المقعد الذي يجلس

عليه واغمض عينيه ، وهو يحلم بان كائنا بشريا يعد له الطعام . لو عرف ابنها ، لساعده هذا الابن على ايجاد عمل . ومع ذلك ، اليس في فرنسا كلها من يعينه على ذلك ؟ ومد رجليه على السجادة النظيفة فعاوده الخجل وصمم على ان يستأذنها في ان يغتسل بعد ان يتناولا العشاء . واحس بالدفء يغمره ، فخلع سترته وطواها بحيث يخفي كمها الممزق . ثم اسرع يبتلع جرعة اخرى من الكونياك وهو يخشى ان تفاجئه في ذلك . واحس انه اصبح قادرا على الكلام ، واستولى عليه فرح شديد حين فكر بانه لو لم يكن هنا ، لكان في هذه اللحظات يبحث عن مأوى وطعام ... طعام .. واحس بالجوع من جديد . « اذا سقطت ، فان يدا سترفع راسي ، وتسقيني الكونياك . ليس معي درهم واحد ، ومع ذلك فسوف اكل ، واشرب ، وهناك من يحدثني كما لو كنت كسائر الناس . »

وتاخرت الانسة بلانش ، فاحس ببعض لالم ، « ستسألني ، وتستفسر عن كل شيء ، في الجزائر ، وعن الحياة كيف يعيشها الناس هناك ، لقد انتهت قصتها ، واتى دور قصتي ، »

حياته : الطفولة ومدرسة منصوره وصداقته مع « جاك » الفرنسي الوحيد الذي عرفه حقا ، والحياة القاسية ، وموت الاب ، وازدياد قسوة الحياة ، والجوع ، الجوع ، الجوع ، الجوع ابدا ... ان شيئا من ذلك لايمكن ان يثير اهتمام احد . واستولى عليه الضيق ، فنهض مقتربا من احد الابواب وهو يتردد في فتحه .. وبعد لحظات ألفى نفسه في غرفة تشبه ماكان يتخيله من غرف الفتيات الجميلات اللواتي كان يلقاهن في الشوارع ويتابعهن بالفكر ويتصورهن وهن يخلعن ثيابهن قبل النوم . غير ان ما جمد عينيه وبسمته ، انما كان السرير ، هذا السرير الواسع المغطى بالقطيف اللماع . وخيل اليه ان ليس له الا ان يرتمي فوقه لينسى حياته الشقية ، ولينسى جوعه الجارف ، ولينسى وهنه اللامحدود . وفاجاته الانسة بلانش وهو يمر باصابعه على الغطاء ، فأخذ يرتعش ، وقال لها موضحا :

ـ لقد مضى علي وقت طويل لم انم فيه على سرير ..

فدفعته برفق خارج القاعة وقالت له بشيء من الجفاف :

ـ تعال فتناول عشاءك ، انه جاهز .

وقادته الى المطبخ حيث وضع على الطاولة صحفتان ، فلجسا متقابلين

(٢)

ماكادت الشمس تطلع ،حتى كان دريس يشرد في حدائق اللكسمبورغ.

وسمع صوتا يناديه ، وحين التفت اليه رأى رجلا ينظر الى وجهه وثيابه وحذائه ، فخاف منه ، ولكن الرجل طلب منه ان يطمئن واخبره انه لايريد الا الثرثرة معه . ولم يجرؤ دريس على الرفض ، فلبى دعوته الى الجلوس بقربه على احد المقاعد . ولم يلبث ان تأكد من انه لم يكن شريرا ، غير انه كان جائعا . وتردد دريس طويلا قبل ان يخبره انه يحمل خمسمئة فرنك « وبوسعنا ان نبحث عن شيء ناكله » وكان يحتفظ بهذا المبلغ للايام السوداء ، غير انه لم يكن يعلم ان هذه « الايام السوداء » ستاتي سريعة الى هذا الحد . وندم انه عجل في عرض هذه الدراهم التي رفض وقتا طويلا ان يقبلها من الانسة بلانش ، تلك التي تناول معها مساء الامس عشاء لذيذا ، فقادته بعد ذلك الى الباب من غير ان يجرؤ على ان يعترف لها بانه لم يكن يعرف اين ينام ، ولا ان يلتمس ركنا من البيت يقضي فيه ليلته . وفي اسفل السلم طلبت اليه ان يعود لزيارتها ودست في يده الورقة المالية . فشكرها محمر الوجه .

ووعدها الا يعود لزيارتها الا حين يتمكن من تسديد دينه لها . انه لم يكن يطلب الاحسان ، فقد كان قادرا على ان يكسب عيشه ..

ومد الورقة المالية الى « جول » فتناولها ودعاه الى مرافقته ، فتبعه وهو يخشى ان يفر بماله . وكان يامل ان يتناول لقمة يسد بها جوعه ، ولكن جول افهمه بطريقة حاسمة انه يفضل شرب الخمر ، فاحس دريس بهزيمته وضعفه واستسلامه . وحين دلفا الى احدى الحانات ، طلب جول خمرا ، بينما طلب هو قهوة بالكريم املا ان يعطيه صاحب الحانة بضع قطع من السكر . وجرى الحديث بينهم ، فاخبره دريس انه لايملك عملا ، فاذا بجول يتطوع ليدله على شخص يدعى السيد ارمان يستطيع ان يجد له عملا مقابل خمسة الاف فرنك ... فاصيب دريس بالخيبة وهو يتساءل من اين له ان يجد هذا المبلغ ؟ وفيما هو يفكر بذلك ، عاد صاحب الحانة بفنجان قهوة مع الكريم . فرأى دريس انه لم يكن على الصحن الا قطعة سكر واحدة ...

(٣)

بعد تردد طويل ، توجه دريس الى منزل اسرة جاك في شارع سانت جيمس ، وكان صديقه قد اعطاه عنوانه ورجاه ان يزور اسرته .

وكان دريس وجاك قد تعارفا صبيين في مدرسة منصوره ، وفي اليوم الاول اقترب جاك منه وتمتم : « ان اهلك فقراء جدا ، اليس كذلك ؟ » وكان الاخرون يشيرون الى اسماله ويضحكون. وما لبث الفتى الفرنسي ان عبر له عن رغبته في زيارة المشتى الذي كانت اسرة دريس



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نعيش فيه ، وكان ان عمقت صداقتهما بعد هذه الزيارة ، وكان جاك يصحب دريس ، بعد انتهاء الدروس مساء كل يوم ، الى بيته ، وكان يساعده احيانا في اعمال الحقل . وقد استمر جاك في زيارة دريس بعد تركه المدرسة ، على اثر وفاة والده ، وكان يصحح له الاخطاء التي يرتكبها وهو يتحدث بالفرنسية . وعلى مر الايام انشغل كل منهما بعمله ، فقل لقاؤهما ولكن صداقتهما لم تضعف قط .

وحين عادت اسرة جاك الى فرنسا ، تركت ابنها البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عاما ، ينهي تدربه في احد المصارف بالجزائر .

وكتب دريس لصديقه ، الذي كان انذاك في سيدي بلعباس يبلغه انه ينوي السفر الى فرنسا سعيا وراء الرزق ، فاعطاه جاك عنوان اسرته والح عليه بان يزورها . وعهد دريس بالبيت والحقل لاخيه احمد ، ولم يتمكن من رؤية جاك قبل سفره .

وهاهو الان امام هذا المنزل الرائع ، اتراهم يقبلون زيارته ام يطردونه حين يرونه بهذا اللباس الزري ؟ وكان يهم بالعودة حين وقع بصره على قدميه : اترى جول لم يسخر به حين قبل ان يعيره حذاءه ، هذا الذي هو واسع جدا على قدميه ؟ وقال في نفسه :

« لااود ان اكون قد استعمرتهما منه بلا مقابل ! » فقد وعده بان يقاسمه الهدية التي قد يتلقاها من اسرة صديقه .

واستقبله والد جاك ببسمة مرحبة وهو يأمل ان يعرف منه بعض





انباء ولده ، ولكن دريس صارحه بانه قادم ليستفسر هو عن حال جاك بعد هذه الغيبة . ورحبت به الام الانيقة وذكرت له ان ابنها قد كتب لهم عن زيارته المنتظرة .

وكان الشاب الجزائري قلقا في جلسته تلك ، وسط تلك القاعة الجميلة النظيفة . وتحدث الجميع فترة عن الغائب ، ثم قال دريس للاب : « ارجو ان تبلغه ، حين تكتب له ، اني اود ان اعود الى بلادي » فساله الاب : « الم تجد العمل المناسب ؟ » والتفتت اليه ام جاك تنتظر جوابه ، فاخذ دريس يفكر بأمه ، تلك التي كانت تبكي وتصرخ كثيرا وتحمل الاحجار والرمل والحبوب والتي كانت يداها قد قستا من فرط العمل .... واخذته رغبة مفاجئة بان يصيح : « انني وحدي ، لم اجد عملا ، ولم يبق معي مال ، ولا سقف يؤويني ، ولا اجد تذكرة للعودة الى بلادي .. وان في قدمي حذاء لايخصني ... ولم اعد اعرف ماينبغي ان افعل .. »

لاشك في انهما سيفهمانه اذا قال ذلك ، فيبدو انهما على استعداد لمساعدته ، ولكن جاك سيعرف ذلك عاجلا او اجلا . ولا يريد دريس ان يفترض صديقه الوحيد انه انما زار اسرته ليستجدي ...

ورفع عينيه واجاب بصوت هادىء : « ليست هذه هي القضية . كل مافي الامر اني اردت ان اعرف انباء جاك . »

وانحنت ام جاك تقول له : « اذا لم تتيسر امورك او لم يعجبك عملك فبوسعك ان تعتمد علينا . انك صديق ابننا ونحن حريصون على مساعدتك يجب ان تعدني بان ترجع ولا تتردد في طلب المساعدة .

ورفع جبينه باعتزاز ورفض قائلا : الامور حسنة .. حسنة ... وارجو ان تبلغوا جاك ذلك . انا لست بحاجة لشيء . اردت فقط ان ازوركم .

وران صمت حزين كان يشف عن شك الوالدين بان دريس صادق في كلامه . ومضت لحظات ، فنهض دريس واستأذن بالانصراف .

وبعد ان صافحه الاب بود ، اغلق الباب خلفه ، ثم انحنى على زوجته فقبلها ، وقالت هي له :

ـ انه يحسن التحدث بالفرنسية !

فاجابها ـ : تعرفين انهم ، هناك ، قد بنوا لهم مدارس رائعة !

(٤)

كان دريس ، يوم الاحد ذاك ، يسير وسط جمع حاشد متجه الى الكنيسة ، والثلج يكسو الطرق والاشجار فيشعر الشاب الجزائري انه ليس يوما كسائر الايام .

وبالرغم مما اتخذ من احتياطات ، فقد تمكن الثلج من النفاذ الى قدميه عبر الحذاء المطاط . وفكر دريس بأن جو الكنيسة سيكون ادفأ ، وان بوسعه اذا دخلها ان يجفف ثوبه وقدميه . وتذكر اليوم الذي ادخله فيه جاك الى كنيسة منصورة ، بالخفية عن ابيه الذي كان يعتبر ذلك تجديفا ولا شك . ومع ذلك ، فان والد دريس لم يكن يؤمن بشيء : كان قد فقد ايمانه مع تساقط المصائب عليه ، ولم يكن يامل في آخر ايامه الا بقطعة الارض الصغيرة التي كان يملكها ، بالرغم من انها كانت تصر على ألا تنتج الا الحجارة والصخور . وكان يقول ان « الحكومة » كانت تستخدم الائمة والمفتين كجواسيس لها ...

وكان جاك قد حدث دريس ، بناء على طلبه ، عن دينه ، فكشف له عن آله طيب جميل احس دريس بانه يملأ فراغ قلبه . وها هو ذا الان في احدى كنائسهم .. وتمنى لو كان معه « سجادة صلاة » اذن لوقف عليها ينظر الى الثلج وهو يذوب على حذائه .. ان بقعة

من الماء بدات تتشكل تحت قدميه ، وان الخوف بدأ يستولي عليه ، فقال في نفسه « اذا لطخت كنيستهم فسيطردونني منها ! » ولكن نفسه انبسطت اذ راى الكنيسة تغص بالناس ، ولمح كرسيا فارغا فسارع الى احتلاله . والتفت الى المذبح ، فتاثر لرؤية المسيح مصلوبا فوقه . وتمنى لو كانت امه الى جانبه : اذن لاراها كل ما كان يثير اعجابه هنا . وردد اسم المسيح الذي كان صديقه جاك يدعوه « يسوع » والذي اصبح يحبه كما كان صديقه يحبه ، ولكنه فقده حين ابتعد عن جاك الذي كان يؤمن به عميق الايمان ..

ولقد طلب دريس معونة المسيح ليجد عملا وليسد جوعه .. ولكن يسوع هذا الذي قال انه سيطعم الجائعين وعصافير الحقول الصغيرة لم يهتم حتى بان يستطيع دريس ان يضع يده على كسرة الخبز التي كان يمكن ان تملأ جوفه .. على انه الان يعود فيجده هذا الصباح ، وانه يرجع اليه كما كان قد تركه .

واخذ دريس يتساءل ، وهو يتامل من كانوا بجواره ، هل كانوا هم ايضا يحسون بالمسيح قريبا وحيا ؟ مهما يكن من امر ، فانه هو نفسه لا يرى فيهم بعد اولئك الذين كان يخشاهم ويتفادى انظارهم ، وانما اصبح يشعر انه قد اصبح شبيههم وانه ، وهو يشاطرهم احاسيسهم للمرة الاولى منذ قدم فرنسا ، قد كف عن ان يكون وحيدا منعزلا . وراح يستمع الى الكاهن يلقي عظته وهو يبسط ذراعيه قائلا :

ـ يا اخوتي ! كيف يستطيع من لا يحب اخاه الذي يراه ان يحب الرب الذي لا يراه ؟

وخيل لدريس ذات لحظة ان عيني الكاهن تستقران عليه ، وارتعش اذ فكر بانهم قد يجدون دخوله الى هنا امرا عجيبا ما دام لا يحب اخوته .. لقد كان يشعر بالكراهية للكثيرين : لجميع اولئك الذين كانوا يعودون في المساء الى بيوتهم اذ يشعر بانه يكاد يسقط من النعاس ، وجميع اولئك الذين كانوا يضعون المعاطف على ظهورهم ، والاحذية في اقدامهم ، والنساء الى جانبهم ...

واخذ يتامل المسيح على صليبه : انه هو ايضا لم ياخذ شيئا ، لم يعطه احد شيئا ، ومع ذلك فقد أحب حتى الموت .

واستمر الكاهن في موعظته : ـ اذا كنتم تحبون جاركم حقا فانكم تبحثون عنه حيث يختبىء ، من غير ان تنتظروا ان يجيئكم ليريكم جروحه فيثير فيكم شفقة مصطنعة ما تلبثون طويلا حتى تنسوها بمجرد ان ينسدل الستار على مصائبه ..

وحاول دريس لدى سماعه ذلك ان يخفي قدميه شبه العاريتين واسماله البالية .. ان الكاهن يقصده للمرة الثانية ، وانه ليستشعر من ذلك الخجل . واجال نظره حوله فعجب ان يرى الوجوه جامدة ساكنة ، كان هذا الكلام الذي نفذ الى اعماقه لم يسمعه واحد منهم ، او كانه موجه الى سواهم . وفكر في ان الانسة بلانش كانت تشعر بالفخر والاعتزاز لو انها كانت هنا .. ولكن الانسة بلانش كانت مجنونة ! هذا كل ما في الامر !

وانبعثت الموسيقى فاخذ الجميع يصلون . وراح هو يقلدهم دون ان يعي ، وركع مثلهم ، فشعر بان الموسيقى تتسلل الى اعماقه فتذيب فيها كل مرارة او قسوة ، ولا تخلف لديه الا احساسا بالراحة والرضى . واستخفت به فرحة لم يدرك كنهها ، فجعل يبكي بصمت وحنان ، يبكي على نفسه وعلى امه ، وعلى بلاده ، وعلى جميع الذين لا يحب بعضهم بعضا كما اوصاهم المسيح . وبينما كانت دموعه تنهمر ، كانت سعادة رائعة تغمره ، اذ لم يعد يشعر وسط هؤلاء الراكعين انه « غريب » ، وانما كان يحس انه كبير حي ، يحبه الاله اكثر مما يحبه الاخرون ، كما لو ان بشرته كانت بيضاء ، وشعره ناعما اشقر ، كما لو انه لم يكن « واحدا آخر » ...

(٥)

قال له الرجل ان مبيته في ذلك الحان يكلفه ثمانمئة فرنك في الشهر ، وكان من شدة الارهاق والنعاس بحيث لم يجد اية شجاعة للنقاش ، بله المساومة . ودله الرجل على طريق القبو وهو يقول ان عنده الان اثني عشر رجلا ، وان من حسن حظه انه مايزال هناك فراش من القش يستطيع ان ينام فوقه . ولكنه ابلغه انه لايحق له ان ينام اكثر من ثماني ساعات ، وحين ساله عما اذا كان يجلب معه غطاء ، اجاب بالنفي ولكنه اضاف بان لاحاجة به لغطاء .ودلف الىالقبو ، فخيل اليه انه ينفصل عن كل ماهو حي ، وجعل يرتعش في الصمت المثلج وهو يحسب ان هذه صورة الجحيم : سلم يهبط هبوطا سرمديا ومن العبث ان يحاول المرء ارتقاءه من جديد ... وانبعثت في انفه روائح عفن ونتونة ، فعلم انه اصبح في القبو الذي كان يضم رجالا لايتحركون ، وجرذانا تصر باسنانها .. وتلمس طريقه الىالفراش الوحيد الذي بقي فارغا ، وحاذر ان يدوس قدم احد من النائمين ، حتى اذا بلغ فراشه ، ارتمى عليه وهو يتنهد ، وجعل ينتظر ان ياخذه النوم.



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولكنه مالبث ان احس بلسعة البرد ، وعاوده ذلك السعال ، فجهد في أن يكظمه حتى لايوقظ الاخرين . وصمم على ان ينام مهما كلفه الامر ؟ غير انه اخذ يتخيل الجرذان تترصده بعيونها الصغيرة تتاهب لنحت وجهه .. واخفى وجهه بذراعيه ، فشم رائحة نتنة من فراشه ، رائحة غيط وعرق .. ولم يدر اكانت هذه الرائحة تنبعث من الفراش حقا ام من جسده هو بالذات ، فقد كان يعد نفسه منذ ايام طويلة ان يغتسل ولكنه لايجد فرصة لذلك . وقال في نفسه : « حين كنت صغيرا ، كانت امي تغسلني بيديها . » وشق عليه ان يمسك دموعه وهو يجهد في تذكر يدي امه ، فلا يتذكرهما .

ولا يدري لماذا استولى عليه الخوف من جميع هؤلاء الذين كانوا نائمين حوله . وعاد يشعر بالبرد ، فرأى في ركن من القبو ركاما من الجرائد القديمة ، وخشي ان يكون زملاؤه قد استعملوها لحاجتهم ، ولكنه اطمان حين لمسها بيده ، فتناولها والتف بها كما تاتى له .

ومضت فترة ، فشعر بان النوم يسخر منه هو الاخر . وكان الباب يفتح بين لحظة واخرى ، فيخرج رجل ويدخل اخر فيرتمي على الفراش . وكان بعض النائمين يهذون ويهددون ويرسلون قبضاتهم في الهواء ويتقلبون بلا انقطاع . وبعد قليل رأى دريس عربيين يدخلان فيحتلان فراشين ولكنهما لاينامان بل يجلسان ويأخذان في التطلع فوق ، الى الطريق العام ، عبر نافذة صغيرة في اعلى الجدار . وادرك دريس سريعا ان النساء وحدهن كن يجلبن انظارهما ، فيحاولان ان ينظرا ماتحت التنانير ، وكان وضعهما يمكنهما من ذلك ، ولم يكن يبدو انهما يتخذان



ذلك لعبة وتسلية ، بل كانا متشنجي الاعصاب ، متوتري الاطراف . ولقد استشعر دريس من ذلك اشمئزازا كبيرا ، والتفت الى الجدار بحيث لايراهما بعد ولكنه مالبث ان احس في نفسه رغبة في ان يتطلع هو نفسه عبر النافذة . وجعل يفكر في الحب . وقال في نفسه :

« انني اعشق جميع الفتيات ... ليعطوني اية فتاة ، جميلة كانت او قبيحة ، شابة او مسنة ... ان ذلك لايهمني اذا نجحت تلك الفتاة في ان تنسيني من انا لبضع دقائق ! »

والهبت كلمة « فتاة » النابضة بالحرارة رغبته وشهوته . لو انه كان جميلا لتعرف الى امرأة تملك غرفة ، ولسكن عندها .. ولم يكن دريس ليدري ايهما اشد رغبة به : السرير ام المرأة ؟

وتذكر تلك التي كانوا يروون قصتها في منصورة والتي سافرت الى باريس وهي في الخامسة عشرة ، فلم تلبث طويلا حتى افتتنت ببيع نفسها لمواطنين كانوا قد اغتنوا بدورهم .

وحلم بها ، واوشك ان يمد لها يده وان يحتفظ بها لنفسه . غير ان هذا الحلم مالبث ان أمه ، اذ ان البغي تلبست وجه اخته الصغيرة التي تركها في القرية والتي كان يحبها حبا عظيما .

وكسائر الرجال النائمين حوله ، قذف دريس بقبضته في الهواء وارسل انينا متقطعا في النوم .

وحين افاق ، صعدت الى شفتيه صلاة :

« ابتهل اليك ياربي بالا تاتي اختي الصغيرة الى فرنسا ابدا ! »

(٦)

كان دريس يتنقل بين ارصفة المقاهي وهو يعرض على الناس بضاعته من الفستق السوداني الذي علق سلته في ذراعه ، وكان عليه ان يبيع منه بعض الاكياس ، والا فان صديقه حسن الذي عهد اليه في سلته ريثما يتناول غداءه لن يكون راضيا ، ولن يمكنه بعد ذلك ان يساعده في الملمات . اما اذا باع بعض الاكياس ، فسيربح مئة فرنك تمكنه من ان يسد رمقه .

وكان دريس خارجا من احد المقاهي ، حين حسب انه يرى صديقه جاك في احدى سيارات الاوتوبيس المسرعة . وقد شاء ان يعدو خلف السيارة ، ولكن سلته سقطت على الارض ، نائرة محتواها في كل اتجاه. وانفجر ضاحكا فجاة ، وقد بدا له ان حياة جديدة تبدأ ، وان الحياة القديمة بدأت تولي .

واتجه دريس الى بيت جاك ، وانشأ يترقب دخوله او خروجه من منزله ... جاك ، صديق الطفولة الذي كان يكور قبضته للدفاع عنه حين كان احدهم يؤذيه او يتهدده ، وكان لايقبل المشاركة في لعبة لايشارك فيها دريس ، وكان يساعده في قراءة الفرنسية وكتابتها .. جاك الذي بكى خفية حين تغيب رفيقه الجزائري عن المدرسة ذات يوم ..

وتسرب نوع من القلق الى رأس دريس : لماذا عاد جاك ، وهو الذي كان يدعي انه يحب الجزائر اكثر من اي بلد في العالم ويود ان يبقى فيها الى الابد ؟ اتراه حين عاد الى هذا الحي الانيق من باريس فايزال يحتفظ بالبساطة التي كان يبدو عليها في منصورة ؟

وفيما هو يتساءل كذلك ، برزت ام جاك ، فامتلأ رعبا لرؤيتها واولاها ظهره حتى لاتعرفه . وقال في نفسه : لو رأتني لظنت اني عدت اطلب مالا ، ولابلغت جاك ذلك ومنعته من مقابلتي !

وحين ظهر جاك اخيرا ، ناداه دريس باعلى صوته ، كما لو انهما يلتقيان من جديد في منصورة . وتوقف الشاب الانيق وامره بدا شاردة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على جبينه . وكادت سيارة تسحق دريس حين اجتاز الطريق واذ بلغ مكان صديقه ، وقف خجلا امامه . ولم يبد جاك اية حركة ، فتمتم دريس اسمه مرة ، كانما يبتهل اليه بصمت ان يقطع فترة هذا الانتظار ويعرفه. وكانت الفرحة تفيض منه وتكاد تخنقه حين امسك جاك بذراعه اخيرا ، وكان الالم يطبع وجهه ، كانما لم يكن سعيدا بلقائه مرة اخرى ، وكان يبتسم بسمة مقتسرة وهو يتفحص ثيابه ويقف نظره عند حذائه المطاط فساله وهو يضحك للمرة الاولى :

« اليس هذا هو الحذاء الذي اشتريته في منصورة وكنا معا ؟ »

فاجابه دريس « تريد ان تقول ان الحذاء قد تغير كثيرا ، اليس كذلك ؟ » ومن غير ان ينتظر جوابه ، استطرد يقول : « مهما يكن، فاني سعيد بان اراك هنا . سوف تساعدني على ان اعود الى بلدي »

فقطب جاك حاجبيه وعاد يقول ضاحكا : « اراك على عجل ! فماذا هناك ؟ الست سعيدا في فرنسا ؟ في « بلدك » ؟

واستعاد رصانته فجاة ، ثم امر ذراعيه تحت ذراع دريس وقال له : « هيا ، تعال نتنزه ، كما كنا نفعل هناك ... »

ومضيا يسيران بلا غاية . ومضت لحظات من الصمت شعرا فيها بان السنوات التي قضياها معا تبتعد عنهما ، هذه السنوات التي لن يلتقيا بها بعد ابدا ، واحسا بانه لم يبق بينهما شيء يربط احدهما بالاخر . ولكي يبدأ معا من جديد ، ويحاولا ان يملاءا هذه الفجوة التي كانت تفصل بينهما ، اخذا يتحدثان عن الطقس وعن البرد الذي نسيه كلاهما .

(٧)

« كتب عليكم القتال وهو كره لكم »

القرآن

دخلا حانة صغيرة خالية واتجها الى طاولة في جوف القاعة . وطلب جاك من دريس ان يتكلم فاجاب « بل تكلم انت ، فانا ليس عندي شيء.. ليس من عمل ، فليس من مال اذن ، لاشيء ... »

وانتفض جاك . لقد كان هو ايضا شقيا منذ غادر الجزائر .

ـ اعرف ذلك يادريس . اعرف انكم الاف من العاطلين تنامون تحت الجسور وتتضورون جوعا . لم اكن بحاجة الى وقت طويل لمعرفة ذلك .

وساله دريس بابتسامة صفراء :

ـ هل سعيت الى لقائي ؟

ـ نعم . لقد اخبرني اهلي بزيارتك وبدا لي انهم منزعجون ، فماذا عملت لهم ؟ ان بوسعي ان اتخيل انه لم يكن عليك الا ان تقف في وسط صالونهم الجميل حتى يشعروا بانهم مذنبون . ولم يريدوا تصديقي حين حدثتهم عن بؤسك .. ولكن ليس عليهم الا ان يعبروا هذه الاحياء التي اعرفها الان .. فاذا لم يجرؤوا على فتح عيونهم كبيرة واسعة ، فليخفوها وليخفوا نظراتهم ! سيكونون مضطرين آنذاك الى معرفة بؤسكم . ولكن الحقيقة انهم يتفادون التردد الى هذه الاحياء ، يتجنبون سؤال الاطفال الذين يهربون من حول سياراتهم حين يدخلون بها هذه الجهات . وحين يقال لهم انكم جموع تتعلمون احتقارهم يضحكون ويتهمونني باني قليل الخبرة لحداثة سني ، ويتخيلون انك ستغير رايك على مر الايام ، حين تربح مالا يكفي لشراء سيارة واقتناء كل ماترغبه . انهم يتصورون انك ستنسى ....

وقاطعه دريس قائلا ـ انني لم احتقرهم بعد ، ولكن يجب ان اعود الى بلدي ياجاك . فساعدني . لقد ادركت اني لن اصل هنا الى شيء.

ـ كنت اجهل ذلك كله يا عزيزي ، والا لمنعتك من المجيء.

ـ ولكن الذي لاافهمه هو : لماذا عدت انت ؟

ـ لاستطيع اولا ، كما اعتقد ، ان انظر اليك هذا المساء كما افعل الان ، من غير ان اخفي عنك شيئا . فلو بقيت اكثر من ذلك ولو يوما واحدا ، وكنت مضطرا الى قتل احد مواطنيك ، لكان علي ان اهرب حين اراك ، فاني لن اجرؤ على لقائك مرة اخرى .

وصمت لحظة ، وكان دريس ينتظر ان يتم كلامه بتنبه شديد :

ـ ورجعت كذلك بسببي انا : اريد ان استطيع ان انظر الى صورتي في مرآة وانا اقول لنفسي : « ان من تراه هو انت ، ومن انت في الحقيقة ؟ » وحين يطرح الانسان على نفسه هذا السؤال بصورة عامة يفاجأ ويخاف . والحق اني لم اعد استطيع ان اجيب على نفسي كما كان في السابق ، وكنت اتفادى ان انظر الى صورتي في مرآة ، وكنت ازداد زهدا في ان احلل ذاتي . كنت اهرب من نفسي ، بكلمة واحدة .

فساله دريس بصوت اصم :

ـ ولكن ماذا حدث ؟ وماذا رأيت تماما ؟ لماذا تغيرت هذا التغير ؟

ـ تذكر .. لقد بدأ كل شيء في تشرين الثاني ، بالقرب من قسطنطينة ... وكنا آنذاك قد افترقنا ، وكنت انت على وشك السفر دون ان تشعر بشيء . لقد تركت سيدي بلعباس لاتجه الى « بطنا » . وسوف اتذكر دائما ذلك المشهد الذي كان ينتظرني . لقد كان مريعا . لقد ارتكبتم وما تزالون ترتكبون الفظاعات ضد الفرنسيين اصدقائي . انكم تقتلونهم بقسوة مرهفة حتى يخيل للمرء ان ذلك لعبة في نظركم . لقد قتلتم نساء وذبحتم اطفالا .. كما لو ان الحياة البشرية لا قيمة لها.

واستطرد جاك بصوت منخفض :

« ولكننا نحن قد احرقنا قرى برمتها ، وقتلنا من الخلف الوفا من

قريبا جدا يصدر عن « دار الثقافة » :

تاريخ لبنان

للدكتور فيليب حتي

ترجمة الدكتور أنيس فريحه

ومراجعة الدكتور نقولا زياده

انه لسفر عظيم فخم وتاريخ صميم ضخم ، مرجع كل بحاثة متعمق وزاد وفير لكل استاذ مدرس . أنيق الطباعة والاخراج، مزين بالرسوم الملونة النادرة والخرائط الجغرافية المتقنة . يقع بحوالي ٧٥٠ من القطع الكبير. بادروا الى حجز نسختكم منه واطلبوه من « **دار الثقافة** » ومن جميع الدور الكبرى

عن « دار الثقافة »

صدر المجلد السادس عشر من كتاب **الاغاني** لابي الفرج الاصبهاني . كتاب غني عن التعريف مفخرة المكتبة العربية وانيس المتأدبين وينبوع ثر للادباء.

وقد تم كذلك طبع المجلدين السابع عشر والثامن عشر ودار الثقافة اذ تقدم اليوم هذه الاجزاء تتعهد بانهاء هذه السفر الجليل في بحر هذا العام . وهكذا سيصبح عدد المجلدات كلها ٢٥ مجلدا بما فيه المجلدان للفهارس والاضافات للتراجم المنسية في جميع النسخات المطبوعة سابقا .

باشروا الى حجز نسختكم منه مع العلم ان ثمن النسخة اليوم ٦ ليرات لبنانية وبدل الاشتراك في المجموعة كلها ٢٥ ليرة لبنانية بما فيه اجرة البريد المسجل

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواطنيك في ظهورهم لنروي ثارنا . فماذا تريدني ان افعل وسط هذا الانقلاب كله ، انا الذي احب شعبك حبي لشعبي ؟ لااريد ان اعرف من منهما كان البادىء . فليس هذا هو المهم ، وهذا لايبرر شيئا .. »

ونطق جاك بالعبارة الاخيرة في هدير ، وكان يضغط راسه بين قبضتيه ضغطا شديدا تبيض منه اظافره ، فكانما كان يريد ان يسحق بين يديه كل ماكان يثير حنقه وغضبه .

وكان دريس يترصد جاك ، من غير ان تأتيه كلمة واحدة من الاسئلة الكثيرة التي كان يود ان يطرحها عليه . لقد لقي صديقه مرة اخرى ، ولكنه لم يكن يستطيع ان يتحدث اليه بقلب مفتوح كالسابق . كان يستحيل عليه ان يصارحه بهذه السعادة التي كانت تغمره اذ يفكر بان شعبه قد استيقظ اخيرا وبدا ينفض عنه جموده الطويل . كان يشعر ، وعيناه تلتمعان بالحماسة ، بانه يعيش بكثافة سلسلة طويلة من الايام التي تعوض عن تلك الساعات الضائعة الفارغة ، اللامجدية .

وكان يتمتع بهذه الهنيهات حتى ليكاد يصاب منها بالدوار . سوف يصبح ، ابتداء من هذه اللحظة ، انسانا اخر ، انسانا افضل ...

ـ انهم اذن يقاتلون ؟ ايجرؤون حقا على مهاجمتكم ؟

وكان وجهه يعبر عن الفرحة والاعتزاز . وقال جاك :

ـ اجل ، انهم يتقاتلون ، ولكنهم جميعا على ضلال . فلئن كان بعضهم قد شهروا السلاح لانهم يتعفنون في الشقاء والبؤس ، ولانهم لايريدون ان يروا نساءهم واطفالهم يموتون جوعا ، فان اخرين يقاتلون ليستولوا على السلطة ويحكموا هم انفسم . وهناك ايضا من لايستطيعون ان يشرحوا لماذا هم يقتلون .. انه لمفر للمرء ان يشعر بانه ينتقم حين لايكون سعيدا ! ويبقى اخيرا اولئك الذين يقتلون بدافع الجهل ، لانهم لا يعرفون الفرنسيين ، ولانهم يريدون ان ينسوا مافعلوه لاجلهم ولا يذكروا الا رجالا اذلوهم واساءوا معاملتهم . والحق اني اخشى الا نكون بمنجى من الماخذ . فنحن لم نذهب لنراهم في اكواخهم ، وظللنا بعيدين عن الاغلبية الكبرى ، عن تلك الجموع التي تحتاج الى خبز ، والتي تموت بالامراض والقذارات . ان بوسع الاطباء ان يشفوهم ، اذا كان هناك ، خارج المدن ، اكثر من عشرة اطباء لمئة الف نسمة .

« وها ان هذه الجموع تنفجر الان حقدا وكراهية .. ان الناس حين يتضورون جوعا لايطلبون الا معرفة المسؤولين . ونحن لم نخفض رؤوسنا بما فيه الكفاية لندخل تلك الاقبية التي لم تكن مضاءة بما فيه الكفاية لنرى ما في داخلها ! »

واضاف جاك كانما يطلب معونة صديقه : « لاادري يادريس من منا على حق . ولهذا تراني قد عدت . فليس في وسع المرء هناك ان يبقى على الحياد ، حين يكون في جيبه مسدس.. وحتى لو اقررنا باننا محقون، فساشعر باني مجرم اذا اطلقت عليك النار . ان الانسان الذي يقتل انسانا اخر ، بائسا عانى طوال حياته ، فينزع منه هذه الفرصة العظيمة التي تمكنه من ان يعرف قليلا من السعادة فوق ارضه التي رواها بعرقه ، ان هذا الانسان هو على خطأ . »

وصمت جاك لحظة ثم التفت الى دريس يقول له : « اعذرني على ان اطلت الكلام. فالحق انه ليس هناك سواك من استطيع ان قول له ما قلت. وانا لااشعر اني قادر على ان اناقش جميع اولئك الاشخاص الذين لم يضعوا قدمهم في ارض الجزائر وهم يسمحون مع ذلك ان يتحدثوا في موضوعها ويفرضوا عليك الصمت ...

فقال دريس متأثرا : « ان كل ما تقوله صحيح يا جاك ، وانا سعيد بان القاك ثانية »

فابتسم له جاك بسمة ود وقال : « انا لم اكن اود لقاءك كثيرا . اما وانك الان هنا ، الى قربي اليست مكافاة لي ان اغرق عيني في عينيك ، بلا خوف ولا افكار مسبقة ؟ لقد غادرت ذلك البلد الذي كنت احبه فارغ اليدين ، وتركت فيه كل ماكان يهمني . اما هنا ، فعلي ان ابدا كل شيء من جديد . ولكنك تظل دائما صديقي . وانا على حق بان اقول ذلك لاني قررت ، يوم اعطوني سلاحا وسمحوا لي بان استعمله ، ان اعود في اول طائرة . »

ولم تصل هذه الكلمات الاخيرة الى سمع دريس الا من خلال ضباب ، فقد كان يتابع فكرة في ذهنه عبر عنها بقوله :

ـ اذا كان اخوتي يقاتلون ، فعلي ان انضم اليهم .

وقفز جاك لدى سماعه كلمة « اخوة » وفتح فمه ، ولكن لم يقل شيئا . وساله دريس عما اذا كان قد زار امه قبل مجيئه الى فرنسا فاجاب جاك بانه ألم بمنصورة ورأى امه فوجدها تعلم كل مايحدث وتشعر بالسعادة ، وسالها اذا كانت تود ان ترسل لدريس شيئا فاجابت بنها لو كانت تحسن الكتابة لكتبت له مجلدا ضخما، ولكنها تضع كل املها في العام القادم :

ـ لقد كانت تتصور انهم سيعطونها ارضا بعد اشهر من الصراع . وقد بدت لي مسرورة وغير مضطربة للدم الذي يجري ، وتبدو لها المذبحة الحالية طبيعية .

وقال دريس : ـ لقد تالمت كثيرا ، ولم يبق لها ماتفقده . تصور انها اضطرت الى اخراجي من المدرسة حين كانتشديدة الفخر بما كنت احرزه من تقدم . فما كان جدوى ذلك ، اخر الامر ؟ كان لدي هناك من العمل

صدر حديثا عن دار المكشوف

المحيـــط

في ادب البكالوريـا

الجزء الاول

لجبران مسعود

وهو يتبسط في منهج الادب العربي في البكالوريا اللبنانية ، فيتناول المواد التي تدرس في الصف الثانوي الخامس ، باسلوب علمي جديد معزز بالدراسات التمهيدية ، والتحليل الوافي ، والمقارنات الواضحة ، والنصوص المبوبة المشروحة

تحت الطبع : الجزء الثاني

وفيه منهج الصف الثانوي السادس (البكالوريا)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكثر مما اجد هنا ؟

واستولت على جاك سورة غضب جديدة فصاح بصديقه :

ــ هذا صحيح ! فما الذي تفعله في هذه البلاد ؟ كل يوم يصل عدد اخر من اقربائك او رفاقك ! ومع ذلك ، فانكم تشغلون جميع الاعمال القذرة هنا .. فلماذا اتيتم بهذه الكثرة الى فرنسا ؟ مايفعل هذه الجيش اللجب من الرؤوس الجاهلة والايدي الفارغة ؟ اي شيء تاملون صنعه ؟ ان مجرد رؤية اشخاصكم ترعب النساء وتوحي للاخرين الحذر . فلماذا ؟ ساجيبك لماذا ! لقد قدموا لكم وعودا كثيرة ثم وضعوها على الرف .. فكم ارسلت الى امك منذ ذهابك ؟ لقد كرروا ورددوا انكم فرنسيون . ولقد شعرتم ان باريس لاتخصكم كما تخص الاخرين . الم يبرهن لكم سكانها على انكم مختلفون عنهم ، وانكم تنتمون الى وطن اخر .. ان شعورك بانك فرنسي يشبه الى حد شعور ابي بانه عربي حين يدخل مشتى من مشاتيكم . فبأي حق نجذبكم الينا ، بينما نحتفظ بقبضاتنا مكورة ولا نريد ان نضع شيئا في ايديكم ؟

وكان احساس دريس يزداد عمقا بان صديقه يعبر عن افكاره هو بالذات ، وانه يثور كثورته ، ويحس بمثل اشمئزازه . وما لبث بريق الفخر ان حل في عيني جاك محل بريق الغضب حين قال : « قبل سفري كنت أودع بلادك ممتلىء القلب حسرة لاني كنت انفي نفسي وافقد كنزا ثمينا . ولقد اتت امك تودعني فعانقتني وقبلتني وكانت تبكي . وانت تعرف انها كانت تحبني ، وهي مع ذلك لم تطلب مني ان ابقى ، بل كانت تقر عزمي . وكانت اخر كلمة لفظتها اسمك ؟ ولكني كنت مقصودا بهذه الكلمة . كانت كانها تناديني « دريس » لاكون انا ايضا ابنها ، كما لو ان ذهابي كان يعني في نظرها ماعناه ذهابك ، وكان يخلف عندها الاسى نفسه . »

ــ حين اعود الى وطني ، ساتذكرك وانا اتحدث عن الفرنسيين ، وساصف لقومي موقفك ورأيك . حتى اذا انتهى كل شيء فسوف تعود وستكون امي سعيدة .

ــ حين تعود الى وطنك ، لن تسمع عن فرنسا الا حديث سوء ... ومهما يكن ، فلا حاجة اليك في فرنسا ، واما في بلدك ، فانت ضروري . ان عليك ان تنضم اليهم وتجمع صوتك الى اصواتهم لتطلبوا انقاذ الجزائر مما هي فيه وتنظيف جميع زواياها . ان عليك ان تصبح قائدا ، انت الذي تعرف اكثر مما يعرف الاخرون وتتحدث خيرا مما يتحدثون . اما نحن ، فاننا للاسف نتصرف بحيث لايبقى بعد بضع سنوات اي اسم فرنسي مسجلا على احد شوارعكم ، بينما كان في الامكان ان تحمل احدى اللوحات اسم « جادة التفاهم الفرنسي الجزائري . »

وبعد صمت قصير ساله دريس :

ــ الم يقل لك اخي شيئا ؟

فلم يجب جاك ، وانما خفض عينيه .

ــ ماذا حدث له ؟ قل لي بصراحة . فانه لايحق لك ان تخفي عني شيئا . فقال جاك بصوت متالم :

ــ لقد اظهر اخوك شجاعة عظيمة ، ويجب الا تكون انت اقل شجاعة .

ثم اضاف : ــ ابتهل اليك الا تبكي يادريس ..

وكان الفتى الجزائري قد احاط وجهه بيديه واغمض عينيه .

ــ لقد حملوه الى امك ، وعلى وجهه غطاء ، ولكنها سرعان مافهمت . ويبدو انها لم تبك وقالت انه بكل تاكيد اسعد في الجنة .

واستولى الضيق والكراهية على كيان دريس : ــ لماذا قتل ؟

ــ كان يحمل اسلحة لم يرد ان يسلمها ، وقد قتل بينما كان يحاول الفرار .

وقال دريس ببسمة صفراء : ــ قتل في ظهره ، ليس كذلك ؟

فاجاب جاك وقد تملكته ثورة مفاجئة ــ اجل ، في ظهره ... ولكن ماذا تظن ؟ لقد قتل هو ايضا كثيرين في ظهورهم !

وحدق دريس فيه : ماذا ، ايمكن لجاك ان يتحدث بهذه اللهجة ؟

وتبادلا النظرات ، وادرك دريس انه كان ثمة حقد وغضب . ولم يرد ان يقوم هذا بينهما ، فاعتذر وقال ان من السخف ان يتنازعا ، ثم عاد يخفي وجهه بين ذراعيه . كم هو آسف انه لم يكن الى جانب اخيه ليدافع عنه ، هذا الاخ الذي كان اشجع منه واجدر بالحياة ! انه لم يخف قط ان يقاتل ولا ان يجوع . فكم كان اعدل واجدى لوطنهما انيموت هو ، دريس ...

(٨)

دخل دريس محل « اندريه » ليبتاع زوجا من الاحذية وهو يشعر بان يديه ثقيلتان .. انه منذ اللحظة يرى على راحتيه عبء ساعات الجهد التي ستسمح له ، يوما بعد يوم ان يسدد لجاك دينه . ولكن لماذا تراه قرر ان يبتاع حذاء ، بينما كان المفروض ان يرصد هذا المبلغ للسيد « ارمان » الذي ارشدوه اليه والذي يتوسط لدى الشركات لايجاد الاعمال للعاطلين ؟ وفيما هو كذلك ، اقبلت العاملة تسأله عن قياس قدمه ففوجىء بذلك لانه لم يعرف هذا القياس من قبل ، وكان معتادا في منصورة ان يجرب عدة ازواج من الاحذية حتى يجد ما يناسبه ... ثم تذكر ان عليه ان يعرض اصابعه المريضة الموحلة ، وان هذه العاملة الانيقة

جغرافية العالم

سلسلة حديثة مصورة في الجغرافية

لمرحلة التعليم الثانوي

تقع هذه السلسلة في اربعة اجزاء ، وهي معدة للتدريس في الصفوف الثانوية في لبنان وسائر العالم العربي .

وهذا الكتاب باجزائه الاربعة مأخوذ من كتاب «العالم» الذي وضعه الجغرافي الانكليزي الشهير ددلي استامب . وليس بين اساتذة الجغرافية المعاصرين من لم يتتلمذ على مؤلفاته و لم يفد من تحقيقاته الجغرافية . وهذه هي المرة الاولى التي ينقل فيها كتابه « العالم » الى العربية ، بعد ان اجريت فيه تعديلات مختلفة . وقد تولى المؤلف بنفسه اضافة بعض الفصول بناء على طلب **لجنة التاليف المدرسي** ، ليأتي الكتاب متلائما مع المنهاج اللبناني الرسمي .

الناشر : **لجنة التاليف المدرسي** ــ بيروت

ستاخذ قدميه بيديها النظيفتين الناصعتين .. وانتهز فرصة ذهابهـا لحظة ، فنهض واتجه ركضا نحو الباب ، مثيرا استغراب الناس حوله ، وظل يعدو حتى تاكد من ان الانظار قد كفت عنه فتوقف وهو يشعـر بـذل كبيـر ..

واستمر يمشي باتجاه المقهى الذي سيلقى فيه السيد ارمان . وتاثر لمرأى عاشقين يتبادلان القبل في ركن من الشارع . كم مضى عليـه من الوقت دون ان يقبل شفتي امراة ؟ ان جميع الناس تقريبا يقبلـون واحدا على الاقل في اليوم ، وهذه الحركة تصل الناس فيما بينهم .

وكانت اخر مرة عانق فيها شخصا ، حين ضم اليه امه ضمة عاجلة فتشبثت به وهي تمد له خدها المتجعد ... ليته كان يعلم ... ومنـذ ذلك الحين نسي اثر القبلات في الشفاه . ان شفتيه جافتان في هـذه الساعة .. واخرج يده من جيبه وامرها على فمه ، وراح يحلم بالفتيات اللواتي قبلهن ، اثنتان او ثلاث فقط . اما في منصورة ، فلم يكن يملك الوقت لذلك .

وقال في نفسه وهو يضحك ـ لو انهن كن في باريس ، لكان بوسعي ان اهتم بهن !

وما لبث ان طرد هذه الافكار من راسه . انه اذا توقف عندها اطول من ذلك ، فسيصبح بعد حين شقيا . سيزعجه جسده الذي يستحيـل ارضـاؤه !.

(٩)

التقى دريس في المقهى زهاء عشرة من الافريقيين الشماليين كانـوا جميعا ينتظرون السيد ارمان ويمنون انفسهم بعمل يستطيعون ان يمسكوا به اودهم .. ولكن السيد ارمان عاد يقلب شفتيه ويقول انه لم يوفـق في ايجاد اي عمل لاحدهم حتى الان ، ولكنه يامل ان يوفق في الاسبوع التالي ، فهو يتردد على مختلف المصانع لتلك الغاية . واخذ الجزائريون ينفضون واحدا بعد واحد ، فيشعر دريس بالاسى ويتمنى لو يناديهـم ويبلغهم ان هناك اعمالا لهم ، لا لشيء الا ليرى وجوههم الكئيبة الميتة تشرق بالحياة والنور . وفكر في ان اي واحد منهم لا يملك خمسة الاف فرنك مثله .. وكان لا يزال في المقهى شاب طويل كان يبدو انه ذو مقام بينهم ، وكان يدعى « عبد » ، وقد انس دريس به وشعر له بالارتياح ، ثم توجه الى السيد ارمان يطلب منه ان يسعى له بايجاد عمل، ثم يبسط له الآف الفرنكات الخمسة التي اعطاها اياها صديقه جاك ، فيتناولها الرجل ويطلب منه ان يعود بعد اسبوع ليلقاه في المقهى نفسه حوالي السابعة مساء. ثم يسالها عن الاعمال التي يحسنها فلا يجـد دريس ما يجيبه به ، فاذا به يغضب وتتشنج عيناه وينفجر وهـو ينعي عليه انه لا يعرف ان يستعمل اصابعه العشرة ... وهنا يقتـرب الشاب الجزائري « عبد » فيرد على السيد ارمان بلهجة حازمة : « لقد دفع لك المبلغ الذي تدبر له به عملا ، فما جدوى هذه الدروس كلها ؟ ان عليك ان تختار مهنة اخرى اذا كانت هذه لا تعجبك . لقد قبلت دراهمه ، فاهتم بشانه !

وقال دريس بصوت خجول :

ـ كان لي في منصوره بعض الاصحاب الذين سافروا الى فرنسا واخذوا يرسلون بعض ما يكسبونه الى ذويهم . ولهذا جئت الى هنـا حين مات ابي وبدات العائلة تجوع .

فعاد السيد ارمان يعده بان يجد له عملا بعد اسبوع ، ثم خرج .. وبقي دريس وجها لوجه مع عبد الذي عرض عليه ، بعد ان عرف انه لا ماوى له ، ان ينام عنده ، فقبل دريس شاكرا ، ولكنه ساله عما اذا كان ذلك سيزعج احدا ، فكان جواب عبد انه كان لا يزال ثمة مكـان للنوم ، ثم اخذ ذراعه وانطلق به وراح يحدثه عما يعانيه في حيـاة البطالة التي يسوقها هو الاخر ، وقال انه يتظاهر بالشجاعة امام الاخرين ولكنه اشدهم خوفا .

وحين دخل دريس ماواه الجديد ، راى شيخا غارقا في كرسي ، واللعاب يقطر من فمه ، وقد سمعه يسال عبد :

ـ ها، وجدته ؟

ـ كلا يا جدي . ان هذا اسمه دريس ، وليس هو ابنك

ـ انه مع ذلك يشبهه . وانا اعلم جيدا انه قد مات !

وروى عبد لدريس ان هذا العجوز كان قد تقاتل ذات مساء مع ابنه تنازعا على الفراش الذي كان ينام فوقه من يعود اولا الى الماوى . وقد قتل الاب ابنه ، مع انه كان يحبه حبا شديدا ، ثم راح يقضي وقتـه في البحث عنه ويسال الجميع ان يعودوا به في المساء ، ويردد لهم « قولوا له اني لست غاضبا عليه ، واني ساتنازل له عن الفراش حين يعود...

وجعل دريس يتمثل القتل والدم ، وخيل اليه ان هذا اللعاب الذي يقطر من فم العجوز لم يكن الا دما ، دما حارا كثيفا ، هو دم الذي يقتل.. « ان دم اخي كان ملك الذي صوب النار الى ظهره ، فاصبح سيد وجوده، وامتلك حياته كلها ، بافراحها واحزانها ... اتراني استطيع ان آخـذ دم رجل انتقاما لاخي ؟ »

وبعد دقائق ، خرجت من الركن المظلم في الحجرة فتاة في حـوالي

ـ التتمة على الصفحة ٧٢ ـ

صدر حديثا

سلسلة مراحل القراءة

تاليف جماعة من المربين

احدث سلسلة لتعليم اللغة العربية في الصفوف الابتدائية وفق أحدث الاساليب التربوية . تتألف من جزئين لروضة الاطفال وخمسة أجزاء لطلاب الصفوف الابتدائية ، وتمتاز بحسن التدرج ، وبراعة الاختيار وجمال الصورة ، وروعة الاخراج.

الناشر : لجنة التاليف المدرسي ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



لوليتا

صار عمري خمسَ عشرهْ
صرتُ احلى الف مرّهْ
صرتُ اكبَرْ ..
صار حبي لكَ اكبَرْ ..
الفَ مرّه ..

★

وربّما من سنتينْ ..
لم تكن تهتم في وجهي المدوَّرْ
كان حسني بينَ بينْ ..
وفساتيني تغطي الركبتينْ ..
كنتُ آتيكَ بثوبي المدرسيّ
وشريطي القرمزيّ
كان يكفيني بأن تُهدي اليّ
دميةً .. قطعةَ سكرْ ..
لم أكن اطلبُ اكثرْ ..

★

وتطوَّرْ ..
بعد هذا كلُّ شيْ
لم أعدْ اقنعُ في قطعة سُكـَّرْ ...
ودُمىً ... تطرحها بين يديْ ..
صارت اللعبة أخطرْ ..
الفَ مرّهْ ..
صرتَ انتَ اللعبةَ الكبرى لديْ ..
صرتَ أحلى لعبةٍ بين يديْ ..
صار عمري خمسَ عشرهْ ..

★

صار عمري خمسَ عشرهْ ..
كل ما في داخلي غنّى وازهرْ ..
كلّ شيءٍ صار أخضرْ ..
شفق .. خوخ .. وياقوتٌ مكسَّرْ ..
وبصدري .. ضحكتْ قبّةُ مرمرْ
وينابيعُ .. وشمسٌ .. وصنوبرْ ..

صرتُ اكبرْ ..
صارت المرآةُ لو تلمس نهدي تتخدَّرْ ..
والذي كان سويّاً .. قبل عامين .. تدوّرْ ..
فتصوّرْ ..
طفلةُ الأمس التي كانت على بابكَ تلعبْ ..
والتي كانت على حضنك تغفو .. حين تتعبْ ..
أصبحت قطعةَ جوهرْ ..
لا تقدّرْ ..
اصبحتْ اروعَ مما تتصوَّرْ ..

★

صار عمري خمسَ عشره ..
صرتُ أجملْ ..
وستدعوني الى الرقص .. وأقبَلْ
سوف التفّ بشالٍ قصبيّ ..
وسأبدو كالأميرات ببهوٍ عربيْ ..
أنتَ .. بعد اليوم .. لن تخجل فيْ ..
فلقد أصبحتُ .. أطولْ ..
آهِ .. كم صليتُ كي اصبحَ اطولْ ..
إصبعاً .. او إصبعينْ ..
آهِ كم حاولتُ ان أظهرَ اكبَرَ ..
سنةً .. أو سنتينْ ..
آهِ كم ثرتُ على وجهي المدوَّرْ ..
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسيْ
وعلى الحبّ .. بشكل أبوي
لا تعاملني .. بشكل أبويْ ..
فلقد اصبح عمري
خمس عشرَهْ ..

بكين – الصين

نزار قباني

الربع الحلال

قصة بقلم فاضل السباعي

ـ مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

وبان لعينيه « باص » يلفظه المنحنى هناك . انه يدنو . لعله واجده فيه . هذا اوان عودة الموظفين . وانه لا ريب موظف . فهيئته تشير الى ذلك . كان لطيفا معه فيالصباح . حسب له الحسبة كلها ، واشترى منه « وحدة » سيقدمها هدية الى خطيبته !

دنا الباص . فضم بحرص صندوقه الصغير الى صدره ، ورجع الى ماوراء « المظلة » خطوتين . وهجم الناس على الباص ، على بابه الخلفي ، هجمتهم المصاعقة . فاشتد الزحام . وسقط على الارض شيخ لم تقه من السقوط عكازه الثقيلة . وولولت امرأة على صدرها رضيع ، وسبت رجلا كان يزحمها !

وقف على مبعدة يتطلع الى داخل الباص ، عله يجده . انه شاب ، اسمر ، واسع العينين ، فوق فمه الصغير استقر شاربان رفيعان . كان لطيفا معه . انه يريد ان يرد اليه ربع الليرة ، الباقي مما دفع .

لم تقع عليه عيناه. صاح :

ـ مسكه شكلز ... الوحدة بربع ..

ومضى الباص . سار اول امره وئيدا وقد امتص حاجته من الوقوف. ثم اغلق الباب ، وغذ مسرعا لا يلوي . فتفرق الناس بعد التئام ، ووقفوا وقفتهم الاولى تحت المظلة .

ـ مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

وانضمت الى الوقوف تحت المظلة فتاة شقراء ترتدي معطفا من الفرو. اقترب منها ، وفي يمناه وحدة :

ـ المسكه الاصلية .. شكلز ..

لم تلتفت اليه .

ـ مسكه شكلز ، يا آنسة ..

ادارت رأسها الى الجانب الاخر ! لن تشتري ، فيما يبدو . رفع يده الى ساعدها ، ولمس معطفها ، ماانعمه ! التفتت اليه ، وقالت تسأله :

ـ ماذا تريد ، ياصبي ؟

ـ أما تشترين مسكه ؟

ـ لا !

ـ هذي شكلز الاصلية . خالية من الغش .. تسليك وقت الملل .

فتبسمت . وتناولتها منه . والقتها في حقيبتها . ودفعت اليه بالربع. وتحسس النقود في جيبه . وعد الوحدات المتبقية في الصندوق . انها عشرون . باع حتى الان سبعا . كسب سبعة فرنكات ، ودفعت له امرأة طيبة فرنكا زيادة ، فالكسب ثمانية . ولكن هذه الربع الزائدة ، انها من حق الشاب الاسمر الطيب. رآه في الصباح مع الواقفين. يلبس بذلة بنية اللون ويتأبط حقيبة . لابد انه موظف . عرض عليه ان يشتري « شكلز » . فاعتذر بانه لايمضغها . ان الرجال دائما يعتذرون له كذلك . فمضى عنه مدللا على بضاعته . لم يكن قد باع شيئا مما في صندوقه . في الصباح عادة لايشتري الناس شكلز . يكونون مسرعين الى اعمالهم . وقلما تخرج النساء صباحا . كانت تشغل عليه خاطره وقتها حسبة شراء . مر في الصباح بدكان « ابو العبد » ، بائع الشكلزبالجملة. كان صندوقه قد خلا في المساء الماضي تماما . طلب منه « دستتين » . انه يعرف حسبها : ان له في كل يوم تقريبا دستتين . ولكن لم يكن اليوم في دكان ابو العبد غير دستة وسبع وحدات . حسبها ابو العبد على الورق . وطلب منه خمس ليرات ونصفا . ترى ، احقا ثمن الوحدات خمس ونصف ؟ .... ذلك ماكان يشغل عليه خاطره في الصباح . فلما رأى الشاب الاسمر ، توسم فيه الطيبة . لايدري لم ! لعلها نظراته التي طمأنته اليه واعتذاره الرقيق بانه لايمضغ . وسرعان ماكر اليه يسأله :

ـ استاذ ، اتعرف تحسب ؟؟

فطفرت من تحت شاربيه بسمة طيبة :

ـ نعم . أعرف .

ـ اذا كان ثمن « الوحدة » عشرين قرشا ، فما ثمن السبع والعشرين ؟

جعل الشاب يحسبها في عقله ..... ثم قال :

ـ خمس ليرات و ... اربعون قرشا .

فما ملك ان صفر مغيظا من ابو العبد ، هذا الغشاش . لقد لعب عليه بعشرة قروش ، ربح وحدتين ! وسأله الشاب عما يشغل ذهنه ؟ فأجاب :

ـ ابو العبد غشني. قبض مني خمس ليرات ونصفا . وما رد لي فرنكين !

فقال الشاب :

ـ عليك به . طالبه بهما . لعله اخطأ الحساب .

ـ مااخطأ ، استاذ . استغل جهلي ، وسرقني . سرق مني ربح وحدتين .

ـ او تربح بالوحدة فرنكا ؟

ـ فرنك واحد . اشتري الوحدة بعشرين قرشا ، وأبيعها بربع .

ـ وكيف حال البيع معك ، يا ... ؟

ـ اسمي محمد . والله ، البيع ماهو شيء . النساء عدلن عن المضغ هذه الايام .

فضحك الشاب .

ـ ولماذا عدلن ؟

ـ يبدو انهن يفضلن الثرثرة !

ـ وكيف عرفت ؟

ـ لانهن لايشترين الشكلز !

فضحك الشاب حتى بانت نواجذه . وسر هو لضحكه . لعله يشتري منه وحدة بعد هذا .

ـ والرجال ؟ ! ليس منهن زبائن ، يامحمد ؟

ـ انهم لايمضغون . ولكن ربما اشترى الرجل وحده ودسها في جيبه.

ـ اليمضغهـــا ؟

ـ لا . ليهديهـــا زوجـه .

وكان الباص قد حط في الوقف . فطلع اليه الشاب في الزحمة ، ليستقر بجوار النافذة ويتطلع اليه ويبتسم . فدنا منه ، واشرأب الى النافذة ، وقال كالهامس :

ـ استاذ ... اليس لك خطيبة تهديهـــا شكلز ؟

فلمح بريقا في عينيه يومض . ثم ظللت وجهه سحابة . وقال :

ـ هــــات وحـــدة !

فمد اليه بالحال يده بوحدة . فسحبها منه ، ليناوله بدلا عنها نصف ليرة . فاخذها ، ودس يده في جيبه يبحث عن ربع بين نقوده ..... وما كاد يرفع اليه بالربع يده ، حتى كان الباص قد تحرك ، ثم انطلـــق كالسهـــم .

الربع في جيبه الان . سيردها الى صاحبها ، لابد . ولكن ، اما كـان يستطيع ان يردها اليه لحظتها ؟ ؟ كان بوسعه ان يجري تحت النافذة، او يتسلق سلم الباب قبل ان يقفل . كم من مرة فعلها . ولكنه ما اندفع الى ذلك . قصر بعض الشيء . لايدري لم ! لعله ساورته رغبة غامضـة بان يبقيها في جيبه . ولكن ، ماكان بامكانه ان يتسلق الباب فـــي الزحـام . انه عازم على ردها الى الاستاذ . انه يترصد عودته . لابد سيقبل الان في انصراف الموظفين . انه موظف .....

ـ عمي ، كم الساعة ؟

سل الشيخ ساعته من زناره . نظر اليها ، وقال :

ـ الثانيـة .

ـ الثانية ، تماما ؟

اعاد الرجل نظره الى الساعة :

ـ الثانية و ... ثلاث دقائق !

اذن ، فقد آن اوان انصراف الموظفين . تطلع الى بعيد ، الى المنحنى. ليس ثمة باص جديد . لابد سيقبل بعد قليل . سيرد اليه ربعه . ابدى نحوه اللطف والعطف . لن يغتصب له ربعه . سيردها اليه . لقد حسب له الحسبة . ابو العبد غشه . سيطالبه غدا بالفرنكين . ربح وحدتين . بـاع حتى الان سبعا . بقي عشرون ....

ـ شكلز .. مسكه شكلز .. الوحدة بربع ..

بص بامرأة ثخينة في ملاءة سوداء تحدث بصوت مسموع اخرى تحمل اغـراضـــا .

ـ مسكه شكلز .. بربع ليرة ..

لم تلتفتا اليه . دنا منهما .

ـ مسكه شكلز ..

لم تردا . كانت الثخينة تقص خبر سلفتها التي اوغرت صدر حماتها عليها . رفع يده بوحدة وجعل يلوح بها قبالة وجهها :

ـ خالة .. مسكه شكلز .. طيبة .. الوحدة بربع ..

فقطعت حديثها فجاة . والتفتت اليـه :

ـ امش من قدامي ، يامسوخ .. بلا مسكه ، بلا علاك !!

ارتد الى الوراء مجفلا ! لقد ارعبته ! مابها ؟ لاتشتري ! من يجبرها ؟

رزقه ليس عليها .. رزقه على الله !

ـ مسكه شكلز ..

ها قد اقبل باص جديد . لعله فيه . لاريب فيه . هذا اوان انصرافهم. جعل يتطلع عبر النوافذ الى المقاعد . كلهم قيام . اشرأب بقامته. وتطلع الى الباب الامامي ، حيث بدا يندفق سيل النازلين : اهذا ، الذي نزل ؟ لا . ولا الذي يليه . ولا ذاك الاخر ...... آ . هوذا . ها قد نزل .. الشاب الاسمر الطيب ذو الشاربين الرفيعين .

ـ استاذ .. استاذ ...

لم يسمعه . جعل ينادي وهو يركض نحوه :

ـ مسكه شكلز ... شكلز ...

صار جنبـــه .

ـ مساء الخير ، استاذ .

فالتفت اليه . وارتسمت في الحال بسمة تحت شاربيه الرفيعين .

ـ اهـــلا ، محمـــد ..

سار الى جواره .

ـ كيف الحال ، استاذ ؟

ـ الحمد لله . كيف حالك انت ؟

ـ مليـــح .

ـ كم وحدة بعت ؟ هل بقي شيء من السبع والعشرين ؟

ـ لا ، استاذ ! السوق في الصباح تكون واقفة . بعد الظهر احسن !

ومد يده الى جيبه . تحسس قطع النقود . عثرت كفه على ربع . امسكها باصبعيه . سل يده من جيبه .

ـ استاذ ... اليوم ما لحقت ارد لك الربع .. تحرك الباص ، فمـا لحقـت .

فانشقت شفتا الاستاذ عن بسمة :

ـ ابقها لك ، يامحمد .

لم يصدق !

ـ استـــاذ ....

ـ ابقهـــا لـــك .

ـ لكني .. لم ابع قط الوحدة بنصف ليرة ! لم يدفع لي احد نصف ليـــرة !

ـ ماعليه .. ابقها لـــك .

ـ الله يخلي لك خطيبتك . اتحبها كثيرا ، يااستاذ ؟

نظر اليه الاستاذ . لم يتكلم . ثم ربت ظهره ، وقال :

ـ مر بابو العبد . وطالبه بالفرنكين .

فانفك عنه وقد تذكر الفرنكين . سيطالب ابو العبد بالفرنكين ..

ـ مع السلامة ، استاذ . الله يديمك .

***

وفيما كان يغيب عنه الشاب في الزحام ، كان يتحسس الربع فـــي كفه . اصبحت له حلالا . كم هو طيب الاستاذ ! لو كان لكل شاب خطيبة يهديها شكلز ، لراجت بضاعته ايما رواج . ربع ليرة يربح بالوحدة ! كم هذا رائع ! اللهم زد في عدد الطيبين . الخاطبين .

واذ عاد الى المظلة ، كانت دمعتان تترجرجان في موقيه . الا انـــه تماسك قليلا . ثم مالبث ان رفع صوته مناديا بحرارة :

ـ شكلز ... مسكه شكلز .. الوحدة بربع .....

حلب — **فاضل السباعي**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعب أحلى قصيدة !

« الى كمال عمار .. صديقي ، وصديق الناس »

**

اغنيتي لكم، يا شعب (*)
اغنيتي لكم من هذا القلب
اغنيتي خرجت لكم في حب
يا شعبي ياأجمل اجمل ما اكتب
خرجت مني.. خرجت منكم.. عادت لي مثقلة بالحب

*

اعرفه كان حزينا
كان يحدثني عن شعب قتلوا أفراحه
عن شعب كسروا في الليل جناحه
لكني أحمل في شعري لهم، مصباحا
حتى أصنع لهم الافراحا ...
أعرفه كان حزينا
صاغ الشعر عيونا ..
يكتب شعرا يخرج كالنار
تتلقاه عيون الاحرار ..
صاغ الشعر من الناس
كانوا هم فيه الاحساس ...
ان انت سمعت له شعرا لرأيتهم بحرا تتلاطم فيه الانفاس
اعرفه كان حزينا
يبكي من اجل الناس يصوغ لهم شعرا كالناس بسيطا
يحمل في اشعار جبالا
ويصوغ الشعر لهم موالا
حتى تحفظه الناس ...
شالته الناس كأغلى شيء في الاعماق
في كل صباح يتفتح في أعينهم ، في كل صباح ، في ذهب الاحداق

ان يوما يبدو مهموما جاءته الناس تخفف أحزانه
فيذوب اسى .. حبا ... ويرد جميلهم يكتب شعرا ... بركانا
لكن فوق البركان ترفرف واحة حب
كان ... وليت الشاعر ظل كما كان
فلقد دارت معه الازمان
خطفته الايدي الشريره
صار اجيرا
يكتب للسلطان ...
كم ملك اجَّر شعره
فتخلت عنه الناس
فتخلى من ساعتها عنه الاحساس
سقط بعين الناس
اما يكتب يكتب شعرا أجدب
يكتب شعرا ... صبارا جف
أولى ان يوضع هذا الشاعر في متحف !

*

فلأني صغت الشعر بسيطا كحياة الناس
وحزينا كحياة الناس
لكن يبحث عن أمل خلف الاحساس
ولاني ذات مساء في مقهى سمعت اذناي
اثنين بسيطين
كل ردد شعري للاخر في حب
سأظل عنيدا
اكتب هذا الشعر بسيطا
واظل سعيدا
ما دام الناس يشيلوني كالياقوتة
بدل القلب !

(*) من ديوان «الشعب احلى قصيدة» الذي يصدر قريبا

القاهرة — **مجاهد عبد المنعم مجاهد**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



عدو الشعب

مسرحية في خمسة فصول

بقلم
هنريك ابسن

ترجمة
عصام صفدي

كان اول عهدي بهذه المسرحية يوم قرأتها باللغة الانجليزية وانا على مقعد الدراسة الجامعية . ولقد مررت بها اذ ذاك في جولة طويلة مع المسرحيات العالمية ، تبدأ بالمسرحية الاغريقية وتنتهي بتنسي وليامز . وما انتهيت من قراءتها واخذت استعيدها في ذهني حتى تملكني شعور غامر بالنشوة ، نشوة إعتادت ان تتخذ طريقها الى شغاف قلبي كلما جلست اتأمل جمالا يهزني : سواء اتخذ شكل قصيدة مجنحة ، أو تسربل زي فتاة! ثم تركت الجامعة وما زلت اشعر بصدى المسرحية يتردد في قلبي . فعدت اليها وما تركتها الا وقد انتهيت من ترجمتها . وكنت اود لو انتهت مهمتي بانتهاء الترجمة ، ولكن «الآداب» تريد ان تكون للمسرحية مقدمة،واذا بي أعود للمسرحية من جديد ، والعودة تسرني وتسعدني ، اما كتابة المقدمة فاقول فيها ما قاله مالك في الخمر ، وما قاله الدكتور ستوكمان في الاغلبية المتراصة ، كما سترى .

فماذا تراني اقول لك ايها القارىء العزيز في تقديم هذه المسرحية ؟اقدم لك كاتبها ؟ انه كاتب نرويجي ولد في ١٨٢٨ وكتب آخر مسرحياته في ١٨٩٩ ومات في ١٩٠٦ . وقد قوبل بعواصف الاحتجاج والاستنكار حين نزل بمسرحياته الى ميدان المجتمع مهاجما مؤسساته البالية ، ولكن صوت العبقرية الحقة كان اقوى من مسرحيات الموت ، واذا بابسن يدفع المسرحيةفي اعظم نقطة تحول في تاريخها الحديث، لا من ناحية الموضوع فحسب، بل من الناحية الفنية ايضا . فقد نزل بموضوعها كما مر الى رحاب الواقع ، ووقف مع المشاكل الاجتماعية وجها لوجه ، والقى في وجه الكثير من القيم الاجتماعية الف علامة استفهام ، وتعجب . اما من ناحية الشكل فقد استطاع ان يعطي المسرحية شكلا محددا ، يضع حدا للثرثرة التي طال امدها حول وحدات الزمان والمكان والموضوع ، وان يرتفع بها عن مستوى الميلو دراما واضرابها الى مكانتها اللائقة . لست ادري ان تكن هذه السطور قد اعطتك فكرة عابرة عن المؤلف ، ولكني افضل الف مرة ان تقرأ شيئا كتبه ابسن على ان تقرأ الف شيء كتب عنه .

ام تراني احدثك عن هذه المسرحية ؟ ولعل اول ما سيلفت انتباهك يا عزيزي القارىء في هذه المسرحية تماسكها وبناؤها الفني المتين . فهي وحدة متكاملة ، تتحرك من تلقاء ذاتها ، بلا معجزات خارجية او مفاجئات تخرج عن منطق التسلسل المسرحي . فلكل حدث جذور او تلميحات او ظروف تبرره دون ان تطفيء تشوق القاريء او المشاهد لمتابعة المسرحية . ولكن هذا حديث يطول ، وسأكتفي بلفت النظر الى مظهر واحد من مظاهر هذا التماسك ، وهو تفاعل الاحداث والشخصيات في وحدة رائعة . واول ما تتجلى هذه الظاهرة في تنسيق العلاقات بين الشخصيات، تشابك هذه العلاقات وتعقدها . فهذه العلاقات تجعل كل شخصية من شخصيات المسرحية ضرورية لموضوعها ، وذات أثر فعال في تطور الشخصيات الاخرى ، وفي سير المسرحية ككل ، احداثها وشخصياتها ، الى الامام . وهذه العلاقات ايضا عرضة للتأثر باحداث الرواية ، وللتلون حسب انعكاساتها وهي تسير في خط التسلسل المسرحي. ورغم قلة احداث المسرحية ، فهي كافية لتسيير المسرحية ، ولتعميق مختلف اوجه تفاعلها مع الشخصيات . ويكسو المؤلف هذا كله ثوبا من الحوار الرائع ، اللاذع في سخريته ، والعميق في مرارته ، وهو ما يتميز به ابسن شاعرا وناثرا . والمسرحية كلها امثلة على هذا ، كما سيتضح اثناء قراءتها .

وربما تجد ايها القاريء العزيز في هذه الرواية احداثا مرت بك وجوا عشت فيه ، واشخاصا التقيت بهم . فما اشبه اوضاع البلدة التي تدور فيها حوادث المسرحية باوضاع بلادنا . ستجد انك تعرف الكثيرين من امثال عمدة البلدة، وستتعرف في هوفستاد على صحفيين يعيشون بيننا، بل وستجد انك تعرف الف نافخ في بوق كنافخ البوق في الفصل الرابع من هذه المسرحية .

وبعد يا صديقي القاريء ، فما أردت بهذا الحديث القصير الا ان نقطع وحشة الطريق حتى نصل الى باب المسرح، وانا حريص على ان اتركك تدخل وحدك، فما اريد ان اثرثر وانت تتبع المسرحية ، وكلي امل انك لن تشعر بالوحدة فستعيش مع اشخاص احياء سرعان ما تتعرف عليهم .عجل يا اخي ، اظنهم بدأوا يتناولون العشاء !

عصام صفدي

شخصيات المسرحية

الدكتور توماس ستوكمان : طبيب حمامات البلدية
السيدة ستوكمان : زوجته
بيترا : ابنتهما ، معلمة
ايلف } ابناهما ، عمر الاول ١٣ عاما والثاني ١٠ اعوام
مورتن }
بطرس ستوكمان : شقيق الدكتور الاكبر، عمدة البلدة ورئيس الشرطة ، رئيس لجنة الحمامات ، الخ
مورتن كيل : رئيس الدباغين (والد السيدة ستوكمان بالتبني)
هوفستاد : محرر جريدة « مراسل الشعب »
بيليخ : مساعد المحرر
هورستر : قبطان سفينة
اسلاكسن : عامل مطبعة
المشتركون في اجتماع المواطنين : رجال من طبقات ومراكز مختلفة، بعض النساء ، وجماعة من تلاميذ المدارس.

تجري أحداث المسرحية في بلدة ساحلية في جنوب النرويج

الفصل الاول

(المنظر ـ مساء . غرفة الجلوس للدكتور ستوكمان . بسيطة الزخارف والاثاث ولكنها أنيقة . يوجد بابان في الحائط الايمن ، يؤدي البعيد الى القاعة ، والقريب الى مكتبة الدكتور . ويوجد في الحائط المواجه ، مقابل باب القاعة ، باب يؤدي الى غرف المنزل الاخرى . وتنتصب المدفأة في منتصف هذا الحائط ، وامامها كنبة توجد خلفها مرآة وامامها طاولة بيضاوية لها غطاء وعلى الطاولة مصباح مضاء له مظلة . وفي الحائط الخلفي باب مفتوح يؤدي الى غرفة الطعام ، يشاهد بيليخ جالسا الى مائدة العشاء وفوطة على صدره . السيدة ستوكمان واقفة قرب المائدة ، تضع امامه طبقا فيه فخذ كبير من لحم البقر المشوي . المقاعد الاخرى حول الطاولة خالية . وتكاد الطاولة تكون في حالة فوضى ، وكانها بعد وجبة) .

السيدة ستوكمان ـ أترى ان عليك ان تحتمل عشاء باردا ، يا سيد بيليخ ، اذا ما تاخرت ساعة .

بيليخ (وهو ياكل) انه ممتاز ـ شكرا لك ـ عشاء من الدرجة الاولى.

السيدة ستوكمان ـ انك تعلم ان ستوكمان يصر على انتظام مواعيد الوجبات

بيليخ ـ اوه ، انا لا ابالي ابدا . واكاد اعتقد انني التذ بعشائي اكثر عندما أتناوله هكذا ، منفردا دون ازعاج .

السيدة ستوكمان ـ اوه ، حسنا ، ان كنت تلتذ به ـ (تستدير نحو باب القاعة وترهف السمع نحوه) اظن ان السيد هوفستاد قادم هو الاخر .

بيليخ ـ محتمل جدا .

(يدخل بطرس ستوكمان ، العمدة ، مرتديا معطفا وقبعته الرسمية ذات الشرائط المذهبة ، وهو يحمل عصا .)

العمدة ـ مساء الخير ، كاترين .

السيدة ستوكمان ـ (تتقدم في غرفة الجلوس) ـ آه ، مساء الخير ـ اهذا انت ؟ انه لطف منك ان تأتي لتزورنا !

العمدة ـ اتفق ان كنت مارا وهكذا (ينظر نحو غرفة الطعام) . ولكني ارى ان عندك ضيوفا .

السيدة ستوكمان (متضايقة قليلا) ـ آه ، كلا ـ مجرد صدفة(بسرعة) الا تدخل وتتناول عشاء بسيطا ؟

العمدة ـ أنا ! لا ، شكرا لك . يا للعجب ـ لحم ساخن في المساء! هذا لا يلائم معدتي .

السيدة ستوكمان ـ أوه ، ولكن مرة على سبيل الاستثناء

العمدة ـ كلا ، كلا ، اشكرك يا سيدتي ، انني اقتصر على الشاي والخبز والزبدة . فالاستمرار على هذا صحي اكثر ، واكثر توفيرا، ايضا.

السيدة ستوكمان (مبتسمة) ـ ينبغي الا تظن ان أيا منا ، توماس وانا مبذر

العمدة ـ اما انت فلست كذلك ، يا عزيزتي ، لن اظنك مبذرة (يشير الى مكتبة الدكتور) هل هو في البيت ؟

السيدة ستوكمان ـ لقد ذهب ليتمشى قليلا بعد العشاء ـ مع الاولاد.

العمدة ـ أشك في ان هذا عمل لائق . (ينصت .) اخاله اتى الان.

السيدة ستوكمان ـ لا ، ذلك ليس هو (يسمع نقر على الباب). ادخل !.

(يدخل هوفستاد من القاعة) أوه ، انه السيد هوفستاد ـ

هوفستاد ـ ينبغي ان تعذريني ، لقد اخرني عامل المطبعة . مساء الخير ، حضرة العمدة

العمدة (ينحني بفتور) . مساء الخير . لا ريب انك اتيت لشغل .

هوفستاد ـ الى حد ما . انه يتعلق بمقال للجريدة

العمدة ـ هذا ما توقعت . سمعت ان شقيقي يكثر من الكتابة في « مراسل الشعب » .

هوفستاد ـ نعم . ومن لطفه انه يخص « مراسل لشعب » بما يكتب عندما يود الحديث في موضوع ما او آخر .

السيدة ستوكمان (مخاطبة هوفستاد) . ولكن ألا ـ ؟ (تشير الى غرفة الطعام)

العمدة ـ حسنا ، حسنا . لست الومه لانه يكتب لفئة من القراء يجدها اكثر تجاوبا معه . وانا شخصيا لا ارى سببا يجعلني احمل لجريدتك اية نية سيئة ، سيد هوفستاد

هوفستاد ـ انني متفق معك تماما

العمدة ـ يمكن للمرء ان يقول ، بشكل عام ، ان روحا طيبة من التسامح المتبادل تسود بلدتنا ـ روحا عامة رائعة . وذلك لان لنا مصلحة عظيمة واحدة تجمعنا معا ـ مصلحة يهتم بها كل مواطن سليم الادراك على السواء .

هوفستاد ـ نعم ، الحمامات

العمدة ـ بالضبط . حماماتنا الجديدة الممتازة . انتبه لكلماتي ، يا سيد هوفستاد . ستتركز كل حياة البلدة في الحمامات ! لا يجوز ان نشك في هذا .

السيدة ستوكمان ـ هذا هو ما يقوله توماس

العمدة ـ ما اروع تطور المكان في العامين الماضيين ! لقد تواردت علينا العملة المتداولة وجاءت معها بالحياة والحركة . فاسعار البيوت والاراضي ترتفع كل يوم

هوفستاد ـ وخفت البطالة

العمدة ـ نعم ، هذا صحيح ايضا . لقد تضاءل عبء الضرائب عن الفقراء ، وهذا يسعد الطبقات المالكة ، وستزيد هذه السعادة ان كان صيف هذا العام جيدا حقا ـ فليتدفق الزوار ـ وليأت عدد كبير من المرضى ـ فهذا يزيد الحمامات شهرة .

هوفستاد ـ وقد سمعت ان هناك بشائر تدل على هذا

العمدة ـ تبدو الامور مبشرة ، فالاستسفارات عن الغرف ونحوها ما تزال تتدفق .

هوفستاد ـ سيكون مقال الدكتور في الوقت المناسب تماما .

العمدة ـ هل كتب شيئا في هذه الايام؟

هوفستاد ـ هذا مقال كتبه في الشتاء، واوضح فيه ميزات الحمامات واحوال البلدة الصحية . وارجأت نشره اذ ذاك .

العمدة ـ آه ـ بسبب بعض المتاعب ، على ما اعتقد ؟

هوفستاد ـ كلا ، على الاطلاق ، ولكني ظننت ان من الافضل ان احتفظ به حتى الربيع ، عندما يأخذ الناس بالتطلع حولهم والتفكير بالاصطياف.

العمدة ـ لقد كنت مصيبا ، مصيبا جدا ، يا سيد هوفستاد

السيدة ستوكمان ـ نعم ، ان توماس فعلا لا يني عن الاهتمام بشؤون الحمامات .

العمدة ـ حسنا ، ولكن تذكري ان هذا واجبه فهو الطبيب المسؤول عن الحمامات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هوفستاد ـ نعم ، وبالاضافة الى ذلك فقد كان هو في الحقيقة موجد الحمامات .

العمدة ـ أكان كذلك ؟ حقا ! يبدو لي ان اشخاصا معينين لهم هذا الرأي . ولكني اعتقد انني ايضا كان لي دور متواضع في ذلك المشروع.

السيدة ستوكمان ـ نعم ، هذا ما يقوله توماس دائما .

هوفستاد ـ لا يفكر احد بانكار ذلك، حضرة العمدة . انت سيرت الامر ووضعته على اساس عملي ، الجميع يعرفون هذا . وما عنيت سوى ان الفكرة الاصلية كانت للدكتور .

العمـــدة ـ نعم ، لقد كانت لاخي بالتأكيد افكار مناسبة في ذلك الوقت ـ لسوء الحظ ! ولكن عندما يصل الامر الى مرحلة التحقيق ، سيد هوفستاد ، فاننا نحتاج الى رجال من نوع اخر . وكان ينبغي لي ان اعتقد انه في هذه الدار على الاقل ـ

السيدة ستوكمان ـ يا عزيزي بطرس ـ

هوفستاد ـ كيف يمكنك ان ... ؟

السيدة ستوكمان ـ لم لا تدخل يا سيد هوفستاد وتتناول عشاء . سيعود زوجي حالا بالتأكيد ...

هوفستاد ـ شكرا ، ربما مجرد لقيمات (يدخل غرفة الطعام)

العمـــدة (بصوت منخفض) ـ من الغريب أن من ينحدرون مباشرة من طبقة الفلاحين لا يستطيعون قط ان يتغلبوا على افتقارهم للباقة .

السيدة ستوكمان ـ ولكن لم تتضايق ؟ أنت وتوماس تستطيعان حتما الاشتراك في الفخر كشقيقين .

العمـــدة ـ كان ينبغي ان اظن هذا ، ولكن يبدو ان بعض الناس لا يقتنعون بجزء من الفخر .

السيدة ستوكمان . يا للهراء ! انت وتوماس دائما على وفاق . (ترهف السمع) . هوذا ، اظنه اتى . (تخرج وتفتح باب القاعة) .

الدكتور ستوكمان ـ (يضحك ويتكلم بصوت مرتفع من الخارج) . اليك بهذا الزائر الجديد ، كاترينا . اليس هذا رائعا ، اه ؟ ادخل ، حضرة القبطان هورستر . علق معطفك على ذلك المشجب . ماذا الا ترتدي معطفا ؟ تصوري، كاترينا ، لقد صادفته في الشارع واستطعت بصعوبة ان اقنعه بالدخول . (يدخل القبطان هورستر الغرفة ويحيي السيدة ستوكمان . ويتبعه الدكتور ستوكمان في الممر .) ادخلوا ايها الاولاد . انهم جائعون مرة اخرى ! اتبعني يا هورستر ، يجب ان تجرب لحم البقر المشوي عندنا ـ (يدفع هورستر الى غرفة الطعام . ايلف ومورتن يتبعانهما) .

السيدة ستوكمان ـ ولكن توماس ، الا ترى ؟

الدكتور ستوكمان (يلتفت حوله) ـ اوه ، هل انت هنا ، بطرس ؟ (يذهب اليه ويصافحه) . هذا سار جدا .

العمـــدة ـ لسوء الحظ ، علي ان اذهب فورا ـ

الدكتور ستوكمان ـ هراء ! سنتناول بعض التودي (1) بعد دقيقة . لعلك لم تنس التودي ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان ـ طبعا لا ، ان الماء يغلي (تدخل غرفة الطعام)

العمـــدة ـ تودي ايضا ـ !

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، اجلس ودعنا نسترح

العمـــدة ـ شكرا ، انا لا اشترك قط في حفلات الشرب المسائية

الدكتور ستوكمان ـ ولكن هذه ليست حفلة .

العمـــدة ـ لا ادري ماذا تكون سوى ذلك ـ (ينظر نحو غرفة الطعام) من الغريب ان يتمكنوا من اكل كل ذلك الطعام.

الدكتور ستوكمان (يفرك يديه) ـ نعم الا يسر المرء ان يرى الصغار ياكلون ؟ دوما جائعون ! كذلك ينبغي ان يكونوا . انهم بحاجة الى لحم جيد دسم لتقويتهم ! انهم هم الذين سيتاصلون اضطرابات المستقبل يا بطرس .

العمـــدة ـ هل لي ان اسأل ما الذي يراد « استئصاله » كما قلت؟

الدكتور ستوكمان ـ عليك ان تسال الصغار عن ذلك عندما يحين الوقت ونحن لن نشهد ذلك طبعا . وهذا معقول ـ فانت وانا عجوزان رجعيان ـ

العمدة ـ اسمع ، سمع ! لا شك ان ستعمال هذا التعبير مستهجن جدا

الدكتور ستوكمان ـ أوه ، يجب الا تهتم بثرثرتي ، يا بطرس . انني في حالة معنوية عالية ، كما ترى . انني اشعر بسعادة ، لا يمكن الافصاح عنها ، في غمار هذه الحياة النامية المبرعمة . أليس رائعا هذا الوقت الذي نحياه ! يبدو كأن عالما جديدا كاملا يتفتح حولنا .

العمـــدة ـ اتعتقد هذا حقا ؟

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، لا يمكنك ان تراه بنفس الوضوح الذي اراه به . لقد امضيت عمرك ماخوذا في غمار هذا المصر ، وهذا يميت الحساسية . ولكن انا الذي اضطر ان يدفن كل تلك السنوات في ذلك الجحر الصغير في الشمال ، دون ان ارى من يقول لي كلمة تشجيع ـ كل هذا يجعلني اشعر وكانني سقطت فجاة في قلب احدى العواصم الصاخبة .

العمـــدة ـ حسنا ، احدى العواصم

الدكتور ستوكمان ـ اوه اعرف جيدا ان النطاق ضيق هنا اذا ما قورن باماكن اخرى عديدة . ولكن هنا توجد حياة ـ توجد تباشير ـ توجد اشياء لا حصر لها يمكن العمل والنضال من اجلها ، وهذا هو الشيء الرئيسي . (ينادي) . كاترينا ، الم تردني اية رسالة ؟

السيدة ستوكمان (في غرفة الطعام) كلا ، ولا رسالة.

الدكتور ستوكمان ـ وبالاضافة الى ذلك فهناك دخل حسن ، بطرس هذا شيء يتعلم المرء ان يقدره اذا كان قد عاش على أجور لا تغني من جوع ـ

العمـــدة ـ يا لله !

الدكتور ستوكمان ـ في الحقيقة انه يمكنني ان اخبرك اننا غالبا ما قضينا اوقاتا عصيبة هناك . والان نستطيع ان نعيش كالامراء ! فاليوم، مثلا ، كان لدينا لحم بقر مشوي للغداء ، ولدينا بعضه للعشاء ايضا . الا تصيب منه شيئا ؟ هلم ـ انظر اليه فقط ، وعلى اية حال ـ

العمـــدة ـ كلا ، كلا ، كلا على الاطلاق ـ

الدكتور ستوكمان ـ حسنا اذن ، انظر ـ الا ترى اننا اشترينا غطاء للطاولة ؟

العمـــدة ـ بلى ، لاحظت هذا .

الدكتور ستوكمان ـ ومظلة للمصباح ، ايضا . كل هذا بسبب توفير كاترينا . انها تجعل الغرفة مريحة ، اليس كذلك ؟ قف هنا لحظة . كلا، كلا، كلا ليس هناك . هنا تماما . نعم . الان ترى كيف انها تركز الضوء ـ وفي الحقيقة انني اعتقد ان لها تاثيرا فنيا . اليس كذلك ؟

العمدة ـ بلى ، عندما يتمكن المرء من توفير مثل هذه الكماليات ـ

الدكتور ستوكمان ـ اوه ، بامكاني توفيرها الان . تقول كاترينا انني

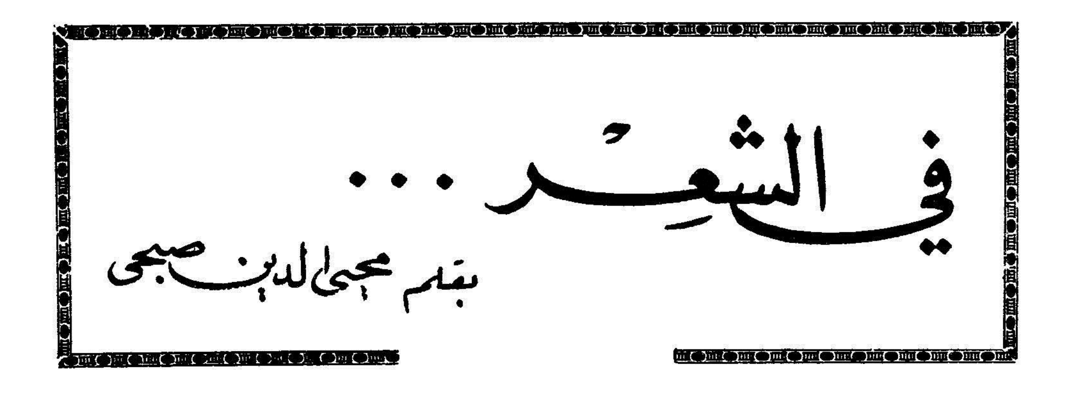
---

(1) شراب يتألف من مزيج من الويسكي ، او اي مشروب روحي اخر ، مع ماء ساخن وسكر (المعرب) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اكسب قدر ما ننفق تقريبا .
العمـــدة ـ آه ، تقريبا
الدكتور ستوكمان ـ ولكن المتعلم يجب ان يعيش في مستوى ما . واعتقد تمام الاعتقاد ان الموظف العادي ينفق سنويا اكثر بكثير مما انفق.
العمـــدة ـ نعم ، ربما . موظف ـ رجل في منصب له دخل جيد ـ
الدكتور ستوكمان ـ حسنا اذن ، حتى اي تاجر عادي ! ان رجلا من هذا النوع ينفق عدة اضعاف ـ
العمـــدة ـ هذا يعتمد بالطبع على الظروف .
الدكتور ستوكمان ـ وعلى اية حال يا بطرس ، فانا حقا لا ابدد اية نقود . ولكني لا استطيع ان احرم نفسي بهجة اكرام اصدقائي . يجب ان يكونوا حولي . فبعد ان عشت كل تلك الفترة خارج العالم ، اعتبرها ضرورة من ضرورات الحياة ان يكون حولي شبان ، لامعون ، مرحون ، محبون للحرية،دؤوبون على العمل ـ وهذه هي حالهم جميعا ـ الجالسون هناك ياكلون بشهية . اود لو تعرف المزيد عن هوفستاد
العمدة ـ بهذه المناسبة ، اخبرني هوفستاد انه سينشر مقالا اخر لك.
الدكتور ستوكمان ـ مقالا لي ؟
العمدة ـ نعم ، عن الحمامات . مقالا كتبته انت في الشتاء الماضي.
الدكتور ستوكمان ـ ذلك المقال ! ولكني لا اريد نشره في الوقت الحاضر
العمـــدة ـ لم لا ؟ يبدو لي ان هذا انسب وقت له :
الدكتور ستوكمان : محتمل جـدا ـ في ظروف عادية (يذرع الغرفة)
العمدة ـ (يلاحقه بعينيه) . وهل هناك ما هو غير عادي في الظروف الحاضرة ؟ .
الدكتور ستوكمان (يتوقف ساكنا) ـ في الحقيقة انني لا استطيع اخبارك الان ، يا بطرس ، وليس في هذه الامسية على اية حال . ربمـا يوجد دليل على وجود الكثير مما هو غير عادي الان . ومن ناحية اخرى، ربما لا يوجد شيء على الاطلاق . ربما كان وهمي هو كل ما في الامر .
العمـــدة ـ في ذمتي انك محير . هل هنالك ما تاتي به الريح ؟ أيوجد شيء لا بد من ابقائي في الظلام فيما يتعلق به ؟ ينبغي ان اعتقد، كرئيس للجنة الحمامات ـ
الدكتور ستوكمان ـ وانا ينبغي ان اعتقد انني ـ حسنا ، حسنا ، لا تدعنا نثور يا بطرس .
العمـــدة ـ لا سمح الله ! انا لست معتادا ان « أثور » على حد قولك. ولكن يجب ان اصر الاصرار كله على ضرورة اتخاذ وتنفيذ كل الترتيبات بطريقة رسمية ، وعن طريق السلطات المختصة حقا . فليس يمكنني الانحياز للوسائل الملتوية الاحتيالية .
الدكتور ستوكمان ـ وهل كنت قط مختصا في الوسائل الملتوية او الاحتيالية ؟
العمـــدة ـ على أية حال ، ان لك ميلا فطرياً للسير في طريقك الخاص . وهذا ايضا ، في الاوساط الحسنة التنظيم ، يكاد يكون غير مسموح به . يجب ان يخضع الفرد نفسه للمجتمع ، او ، بدقة اكثر ، للسلطات التي من واجبها ان تراقب رفاهية المجتمع .
الدكتور ستوكمان ـ ربما . ولكن ما علاقة هذا بي والعياذ بالله ؟
العمـــدة ـ لماذا ، هذا هو بالذات ما يبدو لي انك لن تتعلمه ، يا عزيزي توماس . ولكن حذار ، سوف تضطر ان تدفع ثمن ذلك ـ عاجلا ام اجلا . لقد حذرتك الان . وداعا .
الدكتور ستوكمان ـ هل فقدت عقلك ؟ انك على ضلال مبين ـ
العمـــدة ـ لست انا من يكون على ضلال مبين ، في أغلب الاحيان. وبالاضافة الى ذلك ، علي ان احتج على ـ (ينحني نحو غرفة الطعام) . وداعا ، يا عزيزتي . طاب مساؤكم ايها السادة . (يخرج)
السيدة ستوكمان (تدخل غرفة الجلوس) ـ هل ذهب ؟
الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وفي مزاج سيء جدا .
السيدة ستوكمان ـ لماذا ، ماذا فعلت له ، يا عزيزي ؟
الدكتور ستوكمان ـ لا شيء اطلاقا وعلى كل فلا يستطيع ارغامي على ان اوضح له كل شيء قبل الاوان .
السيدة ستوكمان ـ ماذا لديك مما يحتاج الى توضيح ؟
الدكتور ستوكمان ـ احم ، ـ لا تكترثي بذلك ، كاترينا ـ مـن الغريب الا ياتي ساعي البريد .
(هوفستاد، وبيليغ، وهورستر ينهضون عن المائدة ويدخلون غرفة الجلوس ، يتبعهم ايلف ومورتن)
بيليغ (متمطيا) ـ آه ! فلاضرب حتى الموت ان لم يشعر المرء انـه رجل جديد بعد وجبة كهذه .
هوفستاد ـ ان العمدة لم يبد في احسن مزاج هذا المساء .
الدكتور ستوكمان ـ بسبب معدته ،ان هضمه ضعيف
هوفستـــاد ـ اخال ان هيئة « المراسل » هي ما يجده اصعب شيء لمعدته .
السيدة ستوكمان ـ ظننت انكم على وفاق معتدل معه
هوفستاد ـ نعم ، ولكن ذلك نوع من الهدنة بيننا
بيليغ ـ الامر كذلك . هذه الكلمة تلخص الموقف
الدكتور ستوكمان ـ ينبغي انتتذكر ان بطرس اعزب وحيد،يا للشيطان المسكين ! ليس له بيت يسعد فيه ، عمل فحسب ، عمل . وبعد ذلك يذهب ويصب في جوفه كل ذلك الشاي الخفيف اللعين ! والان ، ضعوا الكراسي حول الطاولة ، يا اولاد . كاترينا ، الن نشرب التودي الان ؟
السيدة ستوكمان (تذهب نحو غرفة الطعام) ـ اني على وشك احضاره
الدكتور ستوكمان ـ وانت يا كابتن هورستر ، اجلس بجانبي عـلى الكنبة ـ انت ضيف نادر ـ اجلسوا ايها السادة ، اجلسوا .
(يجلسون حول الطاولة ، تحضر السيدة ستوكمان صينية عليها ابريق ، وكؤوس ، وزجاجات مختومة ، الخ)
السيدة ستوكمان ـ هاكم : هذا عرق ، وهذا روم ، وها هو الكونياك. والان ، تفضلوا .
الدكتور ستوكمان (يتناول كاسا) ـ وهذا ما سنفعله ، (يمزجون التودي). والان الي بالسيجار . ايلف ، اظنك تعرف اين هو الصندوق. وانت يا مورتن ، ارجو ان تحضر لي غليوني . (يدخل الولدان الغرفة الى اليمين) . لدي شك بان ايلف يختلس سيجارا بين الحين والاخر ، ولكني اتظاهر باني لا الاحظ ذلك . (ينادي) وقبعة التدخين التنكرية، مورتن ! كاترينا ، الا يمكنك ان تخبريه اين تركتها ؟ آه ، لقد احضرها . (يحضر الاولاد الاشياء المختلفة) . والان ، ايها الاصدقاء ، تفضـلوا . انني اتمسك بغليوني ، كما تعرفون ، ـ هذا الغليون كان معي في اكثر من رحلة عاصفة ، هناك في الشمال (يقرعون الكؤوس) نخب صحتكم ! آه، ما اجمل ان يجلس المرء هنا مرتاحا ، آمنا الريح والطقس
السيدة ستوكمان (وهي تحيك) ـ هل ستبحر قريبا ، هورستر؟
هورستر ـ آمل ان اكون مستعدا للابحار في الاسبوع المقبل .

ـ التتمة على الصفحة ٤٩ ـ



الشعر .. غيضان قلب من يأس ، خفق جوارح في فرحة عرمة . غناء شاعر ألقى بنفسه بين أحضان الوجود في أمل . صرخة خائب في وجه الحياة بلذتها والمها : باطل الاباطيل . الكل باطل .

انه تلك الاحساسات الصغيرة بما يدرك بالحس والفكر كالزمن وبشرة رائقة النعومة ، وهو شامل لما بين الفكر والحس من عمليات رمزية وجذبية مثل ذكرى تستيقظ في النفس من رسالة زرقاء الى درب قتل فيه صديق . وهو التقاط زئبقيات هاربة مثل عين محيرة النظرات او نشوة نغم يتخايل لنا من البعيد البعيد .. وهو حديث هامس متسائل عن كل غامض غير محدود مثل شكوك عابد في الرب . وهو استقرار عميق في نفس متأمل رواقي يستشرف العالم من عل كما انه طفرة متحمس لخلق عالم جديد . فهو يتناول كل شيء له هوية وكل ما يمر في نفس الانسان ويحدث لها رعشة توسع اتصالها بالكون او تعمق احساسها بالحياة . وكينونته تأتي من هذا التفاعل بين الانساني ونصف الانساني . انه مركب ثالث مثل الماء. ويمكننا ان نمضي بعيدا في مقارنة الشعر بالماء، فكما ان الماء يهبط من هتون الحزن او يتفجر عيونا من باطن التراب فان الشعر يستوحي من الخير والمثل ومن الحمأ والجريمة . وفي الاساطير اصل الحياة ماء وهوعامل على انعاشها فكذلك اصل الاداب الشعر وهو ينعشها دائما بما فيه من رموز واشارات . والقوم ينتشرون حول نهر يلخص حياتهم ويختصرها وملحمة من الشعر تكثف حياة امة وتركز معنى صراعها .. واخيرا فالماء كثير كثير ولكن العذب الفرات نادر نفيس، وكذلك فاليتيمة والمفردة والابدة بين القصائد كنسبة النبع الى المحيط العظيم . ومسيل الماء يسقي عديدا من الاقطار ، والشعر كالسحاب شيء عالمي يسمو على الحدود وما يعتم شاعر القبيلة ان يصبح شاعر الامة والانسانية كلها .

وما دامت للشعر هذه الصلة الوثيقة بالحياة ، فالحياة ـ الشعر تستوحي كل جليل وجمبل وسواليهما ، وبقدر صلتها بهذه العناصر وفرة وبقوة تزداد الحياة ـ الشعر نماء وخصوبة ، على اننا لا يجوز لنا تفاؤل في قضية انتشار الحياة ـ الشعر بين الناس ، لحاجة الاحساس فيها الى رهافة نفس وذكاء قلب ومضاء فهم . والعادي الجلف لا يعانيها اكثر من مرتين او ثلاثا ، اولاها رجفة بلوغ المراهقة واكتشاف العضوية انها أهل لان تحفظ الحياة ثم تورثها فهي فرحة بامكان خلق . وما اظنه قد خلق ، ذلك الرجل الذي يعيش الحياة ـ الشعر معيشة يومية ، لان الحياة ـ الشعر تنفي الصدأ الذي تفرزه الحياة اليومية ولان الحياة ـ الشعر تكسر القضبان الحديدية للعادات التي تسير عليها الحياة اليومية ، فهي ضد سيزيف في رتابة عمله ، وهي اذا تناولتها خلقتها خلقا جديدا . وهي لذلك ترفض الكليشهات والتعبيرات الجاهزة . ومتى فقدت الحياة ـ الشعر اطارها المبتكر ووضعت في قوالب صنعها الاخرون اختنقت وماتت فليس فيها حد وسط : اما ان تكون محدثة كلها او لا تكون قط ، وهذا لا ينفي ارتباطها بماضي الابداع في وسطها كالنبتة الفينانة في غابة قديمة العهد تمتص من ثراها ما يكفل لها الحياة ويكفي اورادها ان تزدهر وثمارها ان تينع . وسلوكها ينسجم مع ماهيتها لذلك ليس لوحيها زمان موقوت ولا اغراء مرصود ، والذين يستدعون الخمر العتيق او فخذين عبلتين ويقدمونهما ضحية على مذبح الالهام مثلهم في ذلك كمثل الضارعين الى السماء بذبيحتهم كي تنزل عليهم المطر او المن والسلوى: لا احد يعبأ بهم وانما تعبأ السماء وساعة الوحي بمن يصونون الخير في قنوات ويعملون على ابقاء الخصب أيام المحل وفي السنوات العجاف .

والشعر مثل قطعة من الماس بين الحصى ، تظل كدرة كابية حتى تصقل وتشذب فتغدو جوهرة يأخذ بريقها بالابصار ، فاذا طرحها الجوهري الى السوق تناولها ناقد بصير وراح يعرض محاسنها ويقربها بمقارنتها بغيرها حتى تغدو مجلوة كأنما الف خيال براها . فاذا وصلت الى القارىء كانت تثير من رف اردانها أجواء من العطر والسحر والغنج فتدفعه الى ما تريد من المعجزات بعد ان تذهله وتطير بلبه فكل قيمة الشعر تكمن في ايحائيته : انه حافز ومثير .

وذوو الجناح الهيض وحدهم يعالجون النظم ـ رب لا تغفر لهم ـ بأفكار المباديء والنظريات ووقائع الحوادث والمناسبات فيطمرهم ركام اوراقهم ويموت قصيدهم ساعة يولد لارتباطه بجزئي سريع نسيانه، فهم منفصلون عما هو خالد مطلق او ابدي . أنهم يأمرون بقسوة مثلمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مثل سيد محدث نعمة لم يتعلم ان يشعر الاخرين حوله بانسانيتهم لانه لا يشعر بكرامته . اما السيد العريق في شاعريته فانه قريب منك ، قريب اليك ، تبلغ كلماته فؤادك دون ان يكلمك الا وحيا ويفهمك واجبك دون ان يذكره لك تماما ، بل انك لتحتاج الى العمل فهو قد أثار فاعليتك نحوه ، وحفزك الى تغيير حياتك الراكدة والى تغيير العالم من حولك. انك محتاج لان تقلب الاوضاع بثورة لاهبة وان تأخذ فتاتك بين اضلاعك لتبوح لها بما ترددت في قوله مرارا .. لقد خلقت من جديد فأنك ثائر وانت قديس وانت عاشق . انك ـ بعد قراءة الشعر ـ انسان جديد ، فقد خلق الشاعر منك بطلا !

وانت مهما فعلت ترجع اليه متسائلا : هل فعلت حقا ما يريد ؟ ذلك ان الشعر الجيد مثل الحلوة الذكية لا تعطي كل ما عندها من المرة الاولى .

.. أما وقد اصبحت بطلا فأنت اخو سفر جواب آفاق، تكتشف كل يوم معنى وفتنة وجمالا . والقراءات المتتالية تزيد الاثر عمقا في نفسك حتى تنعتق فيه وتصبح قصيدة على شفاه الناس زدتها انت من معانيك ابعادا ، فالبذرة الاصيلة لا تنمو الا في الارض الخصبة ، واذا كان الشعر رقصا فان تلقيه وتذوقه طيران بأجنحة ليلكية .

والشعر يتأطر بالحاضر ان كان الشاعر مستغرقا في عصره وحضارة عصره ، ويستشرف المستقبل في شفافية العارف المتنبيء وحماسة الهادم المتمرد ، او يتبنى مشكلة خالدة تنبثق من طبيعة الحياة والانسان كالموت او الغيرة، وهو في كل الحالات يعيش حياته وفق افكاره ، فهو في الحقيقة الانسان ـ المثال ، وهو أفكار تسير بين الناس على صورة انسان . وما همه الا يقرها الاخرون ؟ تراهم عاشوا الحياة كما تمثلها ؟ وهل كشفت لهم الحجب ؟

والزمان حاكم عادل لا يعبط احدا ولا يغصبه حقه فما دام كل شاعر يعبر عن ناحية انسانية ، وما دامت كل حضارة تلتزم زاوية انسانية فانها لا بد ان تحتضن من يقف موقفها ، كذلك احتضنت الحضارة الانكليزية الخيام قبل ان يولد فيها اليوت . وهكذا . ففي الطبيعة لا يفنى شيء ولكن ـ في الحق ـ تولد اشياء كثيرة وجديدة جدة انتصارات الانسان على نفسه وتقاليده ومجتمعه والطبيعة التي حوله . ان طبيعة الحياة لا تتغير كثيرا ، او قل لم يتسن لانسان ان يشهد الفارق بين انسان العصر الحجري وانسان العصر الذري. لكن يتاح لكل انسان ان يشهد في عمره القصير تغير الحياة نفسها من حوله وفي اعماقه كلما حققت الجماعة حلما من احلام الانسان الراقد في اعماقها . وهل مراودة الشمس وتركيب العناصر والغاء المسافات واختصار الزمان الا موضوعات ملحمية من نتاج اخيلة الشعراء والحالمين الطامحين ؟

محيي الدين صبحي

الطائر المعفّر

من هناك .. من الارض السليبة
من الشمال .. هذا الطائر المعفر ..

**

حط على نافذتي ، .. طير جريح اخضر
دماه من جناحه .. على الحديد .. تقطر
من الشمال .. حيث اطياف الاماني تخطر
وحيث .. احشاء الصخور ، بالحنين تزهر
حيث الربى تحكي الروايات .. ويشدو عنتر
من الشمال .. حيث ايام الشباب تقبر
وحيث يدفن الصبا .. هناك حيث يقهر
من الشمال من ذرى .. تاقت اليها الانسر
قد عشش البغي لها .. وافرخ المستعمر
والليل فوق صدرها ، .. ليل كئيب أغبر
من الشمال حيث اجناد الفساد عسكروا
وحيث أشياع الاذى بالمكرمات استهتروا
من الشمال .. حط هذا الطائر المعفر
الريح من ورائه .. والعاصفات تزأر
والموت ، والليل الرهيب .. والاذى والعسكر
مشرد مثلي .. ومثل والدي .. محير

**

يا طائرا يزقو .. على نافذتي ويزفر
ويضرب الحديد من آلامه وينقر
الليل مهما أمتد .. لابد الغداة يقهر
والظالمون في غد .. اعلامهم تكسر
وانت .. انت .. من جديد في الفضاء تصفر
وتملأ الدنيا ... غناء طائري وتسحر
فالفجر من جناحك .. الدامي غدا سيظهر
وفوق كل ارضنا ... نور الصباح ينشر

هارون هاشم رشيد غزة : فلسطين

حول تاريخنا في اسبانيا

بقلم الدكتور خالد الصوفي

حدثت الانطلاقة العربية الاسلامية في اوائل القرن السابع الميلادي ، فخرجت القبائل العربية من صحرائها وانقضت على البلاد المجاورة فاحتلتها ودخلت في حوزة الدولة الناشئة الجديدة معظم املاك الامبراطوريتين الرومانية والفارسية ، اللتين ماعتمتا ان تداعتا امام قوى العرب والاسلام فامتد نفوذ الامبراطورية الجديدة من الشام الى المحيط الاطلسي ، وسيطر العرب على قسم من بلاد السند والهند . بل اضطر ملك الصين ان يطلب منهم الصلح حين استطاع قتيبة بن مسلمة الباهلي الوصول الى كاشغر عاصمة التركستان الصينية .

هذا ولم تنج اراضي روسيا الحالية نفسها من غزو العرب اذ احتلوا مدة من الزمن ، الاراضي الواقعة بين نهري سيحون وجيحون في التركستان الروسية .

وهكذا قبل ان يمضي قرن واحد على بدء انسياح العرب وظهور الراية الاسلامية ، اصبحت معظم قارتي اسيا وافريقيا خاضعة للفاتح العربي . بيد ان الفاتحين الجدد كانوا يعتقدون برسالة سامية الهية جعلتهم لايقنعون بالسيطرة على القارتين المذكورتين وانما ارادوا مد سيطرتهم الى القارة الثالثة الهامة انذاك : اوروبا .

كانت الامبراطورية العربية تتصل حينذاك باوروبا من الجهتين الغربية والشرقية . اما اتصالها بها من الغرب فقد كان عن طريق المغرب (مراكش) واما من الشرق فقد كان عن طريق اسيا الصغرى والقسطنطينية. لكن لابد ان اذكر هنا ان القسطنطينية كانت تابعة انذاك للامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزنطا) . ولذلك كان يعتمل في نفوس الخلفاء المسلمين رغبة شديدة في احتلال هذه المدينة التاريخية المنيعة كي يوجهوا ضربة قاضية الى الامبراطورية البيزنطية ، ويضعوا ايديهم على تلك المدينة الضخمة التي كانت تعتبر المفتاح الرئيسي للقارة الاوروبية .

اختمرت فكرة القسطنطينية في نفس اول خلفاء بني امية ، معاوية بن ابي سفيان ، فامر بتنفيذها حالا ، ولكن الحصار البري ـ البحري الذي فرضه الجيش العربي على المدينة لم يكلل بالنجاح رغم الحصار الطويل لاسوارها ، وذلك بسبب مناعتها وقوة الدفاع عنها . ثم نام المشروع حوالي نصف قرن تقريبا حتى عاد فبعث على يدي الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي جهز اسطولا ضخما وامره بالاستيلاء على عاصمة بيزنطا . ولكن في هذه المرة ايضا استطاعت النار الغريغورية ان ترغم المحاصرين على التراجع . ومع ان القوى العربية كانت تبدي في كل مرة عزما وجلدا وتفانيا في الحصار الا ان النجاح لم يحالفها في كلتا المرتين ، وفشل مشروع الخلافة في التوسع في اوروبا عن طريق الشرق .

بضعة سنوات قبل ان يحدث حصار القسطنطينية الثاني ونظرا لعدم تأكد العرب من استطاعتهم النفوذ الى اوربا عن طريق الشرق اخذ بعض المسؤولين بينهم يفكرون في تنفيذ ذلك من الناحية الغربية أعني : اسبانيا. ولا مجال هنا لان اعرض الوضع في شمالي افريقيا وفي المغرب (مراكش) خاصة تحت الحكم العربي منذ ان وصل عقبة بن نافع الى شواطىء المحيط الاطلسي وخاض البحر بفرسه قائلا : « يارب لولا هذا البحر الخضم لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك ، انشر دينك المبين رافعا راية الاسلام فوق كل مكان حصين استعصى على جبابرة الاقدمين » ، ولا مجال ايضا لان اتكلم باسهاب عن حالة اسبانيا السياسية والاقتصادية والعسكرية انذاك اذ ليس هذا هو ماابتغيه في مقالتي هذه ولذلك اكتفي بالقول ان دوافع الانسياح في اوربا عن طريق اسبانيا تجمعت لدى المسؤولين العرب في الوقت الذي كان فيه موسى بن نصير يحكم شمالي افريقيا بتفويض من الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك وفي الوقت الذي كانت فيه اسبانيا تحكم من قبل قائد قوطي اسمه رودريك .

لم يكن رودريك قديم العهد بالملك اذ لم يكن قد مضى على انتزاعه العرش من اصحابه الشرعيين اكثر من سنة كان قبلها قائدا عاديا لغيره من قواد الاشراف في الجيش الاسباني . وقد انتزع رودريك العرش من سلفه بدعوى القضاء على الفساد والفوضى واعادة الهدوء والطمانينة والعدل الى النفوس لكنه ماعتم ان انغمس هو بدوره في ابهة الملك وترفه وملذاته تاركا بذلك المجال لاعدائه من انصار الملك المخلوع للتآمر ضده والعمل على اسقاطه والانتقام منه .

وكان هناك على الشاطىء الجنوبي من مضيق جبل طارق في اقصى الشمال من مراكش مدينة صغيرة تدعى سبته كانت لاتزال هي الوحيدة التابعة لاسبانيا بين مدن شمالي افريقيا كلها . واما حاكم هذه المدينة من قبل رودريك فقد كان يدعى « يوليان » وكان من انصار الملك القديم وينتمي الى الحزب المعادي للعرش . كان هذا الحاكم يبذل ما في وسعه لمقاومة العرب ومنعهم من الاستيلاء على اخر معقل لاسبانيا في شمالي افريقيا ، وهو مدينة سبته كما قدمت . ولم يكن خلافه الشديد مع مليكه الاسباني وانتماؤه بشكل متطرف الى الحزب المعارض ليدفعه الى خيانة وطنه لو لم تحدث حادثة تجمع الروايات العربية على انها كانت الى جانب العوامل السياسية ، السبب المباشر في احتلال العرب لاسبانيا .

كان من عادة الاشراف في العصور الوسطى ارسال بناتهم الى البلاط كي يتلقين هناك دروسا في التربية الاجتماعية ويرين عن كثب حياة الطبقة الارستقراطية في بلادهم . وكان لحاكم سبته المذكور يوليان فتاة رائعة الجمال اسمها « فلورندا » ارسلها هو ايضا بدوره الى بلاط الملك رودريك كي تقضي فيه ردحا من الزمن كوصيفة للملكة . وقد استرعى جمالها انظار ملك اسبانيا رودريك فشغلت فكره ولم يعد يستطيع التفكير الا بها ، فاخذ يتقرب منها شيئا فشيئا حتى توطدت الصلات بين الاثنين فاقدم على اغتصابها وانتهاك عفافها ثم اعرض عنها .

سمع يوليان والد فلورندا وحاكم سبتة بالخبر فثارت ثائرته خاصة وانه من اعداء الملك السياسيين وصمم على الانتقام لشرف ابنته مهما كلفه ذلك غاليا . ومن اجل الوصول الى هدفه لم ير حاكم سبتة حلفاء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاقوياء يستطيع ان يستنصرهم ويستعديهم على مليكه الظالم سوى العرب ، فما عتم ان اتصل بواليهم موسى بن نصير وعرض عليه مساعدته لاجتياز مضيق جبل طارق وغزو شبه الجزيرة الايبرية .

اغلب الظن ان يوليان وحلفاءه من اعداء الملك رودريك لم يقصدوا بدعوة موسى ان يمتلك العرب اسبانيا وان يحكموها بل كان مشروعهم ان يستعينوا بالعرب على محاربة المغتصب واسقاطه واستخلاص الملك لانفسهم .

على اي حال رحب الوالي العربي بعرض يوليان وارسل الى الوليد بن عبد الملك في دمشق يخبره بالامر ويستأذنه في القيام بتلك العملية الحربية الهامة . تردد الخليفة الوليد في بادىء الامر ثم اذن له ان يفعل بعد ان ياخذ كل الاحتياطات الممكنة حتى لاتكون خدعة من يوليان يريد بها تغرير العرب والقضاء على نفوذهم في تلك المنطقة .

كان موسى متندا حكيما فلم يشأ ان يخاطر منذ اللحظة الاولى بالاسطول والجيش العربيين فاكتفى بارسال حملة صغيرة مؤلفة من خمسمائة جندي بقيادة طريف بن مالك سنة ٩١ هـ (٧١٠م) على اربع من سفن يوليان نفسه ومعهم ادلاء من القوط . نزلت الحملة في اقصى الجنوب من اسبانيا في نقطة تدعى الجزيرة الخضراء واستولى العرب على كثير من الاموال ثم عادوا دون ان يتوغلوا داخل البلاد لان غاية الحملة كانت غاية استطلاعية .

قد اثبتت هذه الحملة لموسى امرين هما اولا ضعف قوى الدفاع في الاندلس . وثانيا صدق يوليان في حلفه للعرب .

حينذاك اعد موسى الحملة الكبرى لغزو اسبانيا وسلم قيادتها الى طارق بن زياد حاكم مدينة طنجة انذاك . واستطاع هذا المولى الاسود طارق بحفنة من الجنود لايتجاوز عدد افرادها عشر الجيش القوطي الذي اشتبك معه ان يخط في كتاب القدر صفحة خالدة من البطولة والجراة والاقدام .

لم يكن مع طارق سوى سبعة الاف من الجنود بينما كان رودريك يقود حوالي مائة الف من الجند المدربين النظاميين . ورأى طارق بان الفرق شاسع بين عدد جنده وعدد جنود الاعداء فارسل الى موسى يستنجده بحملة جديدة فارسل اليه هذا خمسة الاف جندي جديد انضموا الى سابقيهم فاصبح عدد الجيش العربي اثني عشر الف مقاتل ، استطاعوا التغلب على عشرة اضعافهم تقريبا في المعركة الهائلة التي جرت عند « نهر وادي لكه » Guadalete والتي دامت سبعة ايام وانتهت بهزيمة القوط هزيمة منكرة واختفاء مليكهم رودريك دون ان يعرف مصيره بعد ذلك .

وقد قال بعضهم ان رودريك مات مدافعا عن عرشه وامته بينما ذكر البعض الاخر انه فر عقب الهزيمة على ظهر جواده ولكنه غرق في مياه النهر وعثر على جواده وسرجه الذهبي دون أن يعثر على جثته . والمهم ان العرب قد انتصروا ومات عدوهم رودريك فنسج الاسبان الاساطير حول شخصيته وظلوا يرددون مدة من الزمن انه لم يمت وانه سيعود لينقذ البلاد من ايدي الفاتحين العرب .

بعد معركة نهر وادي لكه لم يلق العرب المسلمون صعوبات كبيرة في الفتح فاستطاعوا في بضعة اشهر ان يستولوا على سائر المدن الاسبانية ووصل طارق الى جبال استورياس فعبرها وانتهى الى مدينة المائدة خلفها فعثر هناك على مائدة سليمان بن داوود وهي خضراء من زبرجد حافاتها منها وارجلها ثلثمائة وخمس وستون . ويقال ان هذه المائدة غنمها الرومان من المشرق او بيت المقدس في بعض غزواتهم ثم نقلوها الى روما فغنمها القوط حين افتتحوا روما ونقلوها الى اسبانيا حيث عثر عليها العرب .

واستمر طارق في سيره حتى اشرف على ميناء « خيخون » Jijon في اقصى الشمال فرده عباب المحيط عن التقدم فعاد الى طليطلة حيث تلقى اوامر موسى بوقف الفتح .

لن اتابع هنا كلامي عن تطور الحكم العربي في اسبانيا لانه لامجال كذلك في هذا المقال الضيق وانما اريد ان اخلص الى القول بان العرب بعد ان توطد ملكهم في ربوع اسبانيا واختلطوا باهل البلاد المفتوحة وامتزجوا بهم امتزاجا تاما عن طريق التزاوج والتقارب والتجارة والثقافة ... انشاوا في تلك البلاد حضارة مزدهرة رائعة فاقت كل حضارة اخرى في العالم انذاك .

ان الدولة العربية التي اسسها موسى وطارق في اسبانيا والتي ساعد على تثبيت اسسها بعض الولاة الذين اتوا بعدهما امثال السمح بن مالك الخولاني وعبد الرحمن الغافقي ويوسف بن عبد الرحمن الفهري وغيرهم والتي وصلت الى اوج عزها ومجدها وازدهارها في عهد خلفاء عبد الرحمن الداخل الاموي ، ان هذه الدولة العربية في اسبانيا هي التي نقلت لى الغرب حضارة العرب وهي التي سمحت للاوروبيين بالاطلاع على الكنوز العلمية العربية والاغتراف منها ومحاولة تقليدها دون ان يتوصلوا الى ذلك حتى اوائل عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي .

ان المصادر التاريخية القديمة العربية منها والاجنبية تفيض بذكر تقدم العلوم والفنون والمعارف العربية في العصور الوسطى فتظهر لتاكيف انهم استطاعوا ان يسودوا العالم سياسيا واقتصاديا وفكريا حقبة من الزمن لاتقل عن السبعة قرون ، بين القرن السابع والقرن الرابع عشر ، وكيف انه في الوقت الذي كان فيه عرب الاندلس يكتبون اروع المؤلفات العلمية والفلسفية والادبية كان معاصرهم شارلمان يحاول ان يتعلم القراءة والكتابة ، وكيف انه في الوقت الذي كانت قرطبة فيه محط امال العلماء والادباء من جميع انحاء العالم ونهاية مطافهم ومقصدهم من كل حدب وصوب ، كانت اوروبا حينذاك غارقة في ظلام الجهل والتأخر يتنازع السيطرة عليها قبائل متوحشة من الغال والجرمان والسكسون وغيرهم .. لايفقهون من الحياة سوى الفتح والتدمير والسلب والنهب ، اللهم الا بعض اثار المدنية التي بقيت في القسطنطينية وبعض اجزاء ايطاليا .

ربما شغل امراء العرب الاولون في الاندلس عن البناء والعمران والزخرفة باخماد الثورات وتوطيد الحكم ، ولكن ما ان وصل عبد الرحمن الاول الاموي وانتصر على الصعوبات التي كانت تواجهه في الاندلس واسس ملكا ثابتا له ولاحفاده من بعده حتى اتبع سياسة البناء والعمران وتشجيع الادب والعلم . وكان من اروع مأثره بناء الجامع الاموي في قرطبة ، هذا الجامع الذي كان ولا يزال يعتبر درة من درر البناء في العصور الوسطى والحديثة معا .

*

وقد هبطت الى قرطبة في سنة ١٩٥٦ ، وكانت تلك هي المرة الاولى التي يتاح لي فيها زيارة الاندلس ، اذ زرتها بعد ذلك عدة مرات بين سنة ١٩٥٦ — ١٩٥٩ وكانت جل رغبتي منصبة على مشاهدة ماتركه العرب من الاثار الخالدة في تلك المدينة العظيمة التي كانت تعد نصف مليون نسمة على الاقل والتي بقيت عاصمة للعرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مابنوف على اربعة قرون واحتفظت بمركزها حتى بعد زوال الخلافة الاموية منها .

كان اول مافكرت به هو الذهاب لمشاهدة الجامع الذي بدأ بناءه عبد الرحمن الداخل في سنة ١٦٨ هـ (٧٨٤م) واتمه بعده خلفاؤه من الامويين . ولم احتج الى السير اكثر من بضع دقائق من وسط المدينة حتى وجدت نفسي وجها لوجه امام اروع جامع بني في العالم الاسلامي حتى يومنا هذا .

يشغل الجامع مساحة واسعة تقدر بنحو ثلاثين الف متر مربع على الاقل ، وله واحد وعشرون بابا طليت بالنحاس الاصفر اللماع ، وفي داخله الف ومائتان وتسعون عمودا من المرمر المصقول ، قد اجريت الفضة في حيطان محرابه المزين بالفسيفساء . كان يتسع الجامع لعدد ضخم جدا من المصلين ويحيط به عدد من المآذن . اما المنبر فقد صنع من العاج ونفيس الخشب ، وهو مؤلف من ستة وثلاثين الف قطعة منفصلة . اما الماء فكان يصل اليه من الجبال الى الينابيع التي اعدت لوضوء المصلين وكانت هذه الينابيع تقذف بمائها ليلا ونهارا .

لو اردت ان استرسل في سرد الاحصاءات عن المسجد الجامع الاموي في قرطبة ، لملأت بذلك الصفحات ولكن يهمني اكثر من ذلك ان اكتفي بذكر مابقي اليوم من ذلك الجامع . فالابواب قد بقي معظمها حتى يومنا هذا محافظا على الوانه وجماله ، والاعمدة لا زالت موجودة لم ينقص منها شيء ، والمحراب لازال على روعته التي تاخذ بمجامع القلوب ، وسقف الجامع لازال تحفة من تحف فن البناء في العصر الوسيط ، والزجاج الفاخر الذي استحضره صناع ماهرون من بيزنطة لازال يلمع لمعان الجواهر واشجار البرتقال المورقة في صحن الجامع لا زالت تساير امتداد الاعمدة ... ولكن شوه ذلك كله بتحويل هذا الجامع الى كاتدرائية كبيرة وضع في وسطها الهيكل الاكبر والصلبان والشموع فجرد الجامع من صفته الاساسية على الرغم من ان عددا جما من العلماء والمواطنين الاسبان انتقدوا ذلك وفضلوا الاحتفاظ بهذا الاثر الفني الرائع .

وقد وقفت اشاهد عظمة ذلك المسجد وجماله وروعة بنائه ودقة زخرفته فعادت بي الذكرى الى ايام مجد العرب وازدهار قرطبة وتخيلت كيف ان التفرقة والانانية والمصالح الخاصة قضت على الدولة العربية في تلك الربوع .

لم يكن المسجد الجامع هو الشيء الوحيد الذي تركه العرب شاهدا على حضارتهم اذ ان مدينة الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر في احد ارباض قرطبة ليجعلها عاصمة جديدة لملكه بذت عواصم العالم كلها وأصبحت انذاك اية من ايات الله .

لن افيض فيما كانت عليه الزهراء من العز والروعة والسؤدد والعظمة والجمال ، بل اكتفي بالقول بانني رأيتها وتجولت فيها واطلعت على مابقي منها فلم ار فيها الشيء الكثير اذ ان عروس الاندلس قد اندثرت اندثارا يكاد يكون شاملا ولم يبق منها الا الشكل العام وبعض الجدران المتداعية وبعض البلاطات الجميلة التي كانت تزين افناءها وبعض الاوائل والادوات التي تعثر عليها مصلحة الاثار الاسبانية التي تنقب في تلك الاطلال ولكن هذا القليل الذي رأيته افرح نفسي مع ذلك لانني كنت اطل بام عيني على عاصمة عبد الرحمن الناصر عاصمة الحضارة في العالم انذاك .

انتقلت بعد ذلك الى اشبيليه فكان اول ماوقعت عليه عيني من المدينة مئذنتها الشامخة المسماة « الخيرالدا » Jiralda

وهي مئذنة المسجد الجامع الذي بناه خليفة الموحدين ابو يعقوب يوسف سلطان المغرب والاندلس في سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢م) اثناء اقامته في اشبيليه . وقد خرج هذا المسجد بعد بنائه تحفة في الاتقان والجمال واشتهر خاصة بمنارته الذائعة الصيت « الخيرالدا » .

لما سقطت اشبيليه في يد النصارى سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨م) حول مسجدها الى كنيسة فهدم معظمه ولم يبق منه الان سوى صحنه الذي يوجد في وسطه نافورة اندلسية ، وباب الجامع الرئيسي الواقع في شمالي الصحن والذي لازال يحتفظ بزخارفه البرونزية الاسلامية وقد نقشت على كل من قبضتيه الضخمتين مايأتي : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد » .

اما المئذنة « الخيرالدا » فقد بقيت على ماكانت عليه ، ويبلغ ارتفاعها ستة وتسعين مترا يصعد اليها من الداخل بواسطة مساطب منحدرة مرصوفة باجر تبلغ حوالي الثلاثين ولكل مسطبة شباك صغير يطل على الخارج وقد زينت واجهاتها بنقوش عربية ومغربية بديعة .

صعدت الى اعلاها واشرفت على مدينة اشبيلية التي تعتبر الآن رابع مدينة في اسبانيا وتجمع بين القديم والحديث فشاهدت منها القصر الرائع الذي بناه المعتمد ابن عباد الى جانب المسجد الجامع والذي لازال موجودا محافظا على زخارفه ونقوشه وكتابته العربية والوانه وطابعه وروعته ....

لم اترك رؤية القصر تفوتني طبعا ، ولا ابالغ اذا قلت انني اعجبت به اعجابي بقصر الحمراء في غرناطة فيما بعد وخاصة البهو الرائع المسمى ببهو السفراء .

اما البرج الثمن الذهبي الذي يقع على شاطىء نهر الوادي الكبير

هل قرأت

ديواني الشاعرتين الكبيرتين
نازك الملائكة وفدوى طوقان ؟

قرارة الموجة

وجدتها

اطلبهما من
دار الآداب

Guadalquivir الذي يخترق مدينة اشبيليه في وسطها فهو من بقايا اسوار المدينة العربية وقد حول الان الى متحف صغير جميل يجلب اليه الكثير من السائحين .

ثم ماذا اقول عن غرناطة وقصر الحمراء وجنة العريف ؟ لم اتخيل نفسي وانا في غرناطة الا في مدينة شرقية بحتة تكتنفها مسحة اوروبية انما تحتفظ بعض احيائها بطابع اندلسي غالب يعيد الى الاذهان حياة المدينة وشكلها منذ الف سنة خلت .

السواح كثر في غرناطه كما في مدن الاندلس الاخرى الهامة . ففنادقها وشوارعها ومخازنها مكتظة بهم وكلهم يتجهون نحو الاثار العربية الخالدة وبالدرجة الاولى نحو قصر الحمراء وقصر جنة العريف والحدائق المحيطة بهما .

ان السلطان يوسف ابي الحجاج اعظم سلاطين بني نصر هو الذي بنى قصر الحمراء في سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨م) ، وقد بناه على هضبة مرتفعة تطل على غرناطه كلها تقريبا .

كنت وانا اصعد الهضبة متجها اليه اشعر بشعور من الغبطة والفرح يعتمل في نفسي لانني قادم على رؤية ذلك الاثر العربي الرائع الذي يشهد على سمو الفن الاندلسي وعلو مكانته في العصر الوسيط .

مئات بل الوف بل عشرات الالوف من السواح يقصدون يوميا ذلك القصر الاثري العظيم ويقفون ايا كانت جنسيتهم ، مشدوهين امام تلك النقوش وتلك الافاريز الرخامية وتلك الابهاء الواسعة والساحات الكبيرة والاعمدة المرمرية اللطيفة والبرك الجميلة النوافير المختلفة الاشكال ، والقبب المزينة المرتفعة ، والزخاريف الفريدة من نوعها ،والاروقة المتعددة الطويلة ، والاسود التي تزار كلما مر بها الهواء وتصب من افواهها ماء عذبا قراحا ... يقف كل اولئك السائحين ويتاملون تلك الروائع العربية فيعجبون من صناعها الذين بلغوا منذ اكثر من الف سنة ذلك الشاو من الحضارة والمدنية .

لقد شعرت ايها القارىء العزيز وانا اتجول في فناء الريحان وفي بهو السفراء وفي قاعة الاختين وفي فناء الاسود وفي قاعة بني سراج وفي قاعة الملوك ... وفي قصر جنة العريف المجاور لقصر الحمراء وفي الحدائق الملكية المحيطة بكل هذا ، شعرت وانا اتجول ضمن مجموعة السواح الذين كانوا يزورون القصر انذاك ، بالغبطة والفخر والعزة تملأ جوانحي وانا استمع الى شرح الدليل يقص علينا قصة ذلك القصر ويشرح لنا قصة بناء كل حجرة من حجره واسم الملك او المهندس العربي الذي اشرف على بنائها ، شعرت بالسعادة لكوني عربيا وتمنيت ضمنا ان يعلم الباقون بانني عربي اذ كنت متاكدا ان نظرتهم الي حينئذ سيشوبها كثير من الاعجاب والاكبار لكوني حفيدا من احفاد بناة قصر الحمراء .

اما الابراج المحيطة بالقصر فلا زالت كما كانت عليه واشهرها برج قمارش وبرج السيدات وبرج الاكام وبرج الاسيره وبرج الاميرات وبرج الماء وغيرها ...

ليست هذه هي الاثار العربية الوحيدة الباقية في غرناطة بل هناك في كل زاوية من زوايا المدينة اثر اندلسي باق ولو بصورة جزئية كما هو الامر في قصر شنيل الذي نرى على مدخله اية قرانية هي « لاغالب الا الله » شعار ملوك بني نصر طوال حكمهم ، وقد نقش ايضا في عقد المدخل ماياتي :

يا ثقتي ياأملي انت الرجاء انت الولي
فيا للنبي المرسلي اختم بخير عملي

لو اردت ان احدثكم عن طليطلة ، واثارها وعن سرقسطة وقصر الجعفر فيها وعن مالقه وقصبتها وعن المرية وقلعتها وعن رنده والقنطره العربية فيها وعن مدينة طريف وحصنها وعن الجزيرة الخضراء والاثار العربية المتفرقة الباقية فيها وعن المدن الاسبانية الباقية لطال بي البحث وتشعب .

ولذلك فانني انتقل الى القول بان هذه القرون الثمانية تقريبا التي قضاها العرب مابين سنة ٩١ هـ — ٨٩٨ هـ (٧١١ — ١٤٩٢ م) ، في هذا الجزء الهام من اوروبا ، والاثار الملموسة الخالدة التي تركوها فيها ليس فقط على صفحات الكتب انما على اديم الارض ايضا ، هذه الاثار التي لازالت قائمة مزهوة بنفسها وببانيها والتي تجلب لاسبانيا عددا لايستخف به من السواح الاجانب من اقصى اقطار العالم ، هذه الفترة وهذه الاثار تستحق من كل مواطن عربي الاهتمام بتاريخها وبنشاتها لانني اقول مع الاسف ان المهتمين بالتاريخ الاندلسي هم قلائل مع ما لهذا التاريخ من اهمية ومن قيمة في الحضارة العالمية ، فلو اراد القارىء العربي الرجوع الى مصدر علمي حديث لتاريخ العرب في اسبانيا لما استطاع ان يجد على مااعتقد سوى النزر اليسير جدا من المؤلفات ، مما لايكفي ابدا لالقاء ضوء على هذه الحقبة الطويلة المجيدة التي قضاها العرب في شبه الجزيرة الايبرية وخاصة الفترة المتاخرة فترة ملوك الطوائف في الاندلس الذين كانت حالهم تشبه الى حد ما حالة الدول العربية في الوقت الحاضر التي هي اشد ماتكون حاجة للاعتبار بما جرى منذ الف سنة بالاندلس لتوحد الصف وتجمع شملها في دولة قوية يستحيل على الدول الكبرى معها النفوذ الى قلبها والتدخل في شؤونها .

وانه لما يحز في النفس ان يضطر القارىء العربي الى الرجوع الى الكتب الاسبانية او الاجنبية بصورة عامة كي يطلع على تاريخ العرب في اسبانيا مع ان من صنعوه احق بكتابته من غيرهم .

هذا والادب الاندلسي الرقيق الرفيع الذي يملأ صفحات الكتب الادبية والتاريخية القديمة لايستحق عناية اقل من التاريخ الاندلسي . كما ان الاثار الباقية في انحاء اسبانيا كلها لما يشجع على الاهتمام بدراسة هذه الفترة من مختلف النواحي ، والاطلاع خاصة على المؤلفات القيمة الرائعة التي تركها العرب الذين عاشوا هناك والذي لازال قسم وافر منها محفوظا في دير الاسكوريال قرب مدريد وفي المجمع التاريخي الملكي الاسباني وفي مدرسة الدراسات العربية في مدريد وفي مكتبات المستشرقين في غرناطة وطليطلة وغيرها .... كي توفي هذه الفترة حقها المغموط من الدراسة ويصبح بمتناول الجميع الاطلاع على فترة من ماضيهم كان اسلافهم فيها اسياد العالم حضاريا وسياسيا وعسكريا .

خالد الصوفي

كتابان خطيران

عارنا في الجزائر : لجان بول سارتر
الجلادون : لهنري اليغ

ترجمة عايدة وسهيل ادريس

دار الاداب

تموز الذي مرّ بالأمس

«الى الرفيق انس ... الذي جرته العصابات في شوارع البصره العربية»

*
* *

لقد جرّوه بالأمسِ
لقد جروهْ
على مرأى من الشمسِ
وما ذكروا
بأنّ عيون محرومين تنتظرُ
فقد يأتي
وفي كفيه بعض الخبز والحلوى
وفي عينيهْ
حنان غامر يبعث في اعماقهم سلوى

لقد جرّوه
وقالوا في سبيل الخبز والحبِّ
قتلناهُ
وساروا ينقلون الرعب من درب إلى دربِ
ومن دار إلى دارِ
« قتلناهُ
سحقناهُ مع العار » .

وكانت شمس آذارِ
تطوف بيوت اخوتنا التي ظلّت بلا نارِ ...
خلال سنين ... لم تحملْ سنا ضوء حواشيها
لتخرج كلّ من فيها
لتسمعهم صراخ الموت ... تدعوهم لرؤياهُ
يَهُبّ على القرى فكأنّ أكداساً من السُحُبِ
تفيض على ذرى « ارجيش » لا تنفك تأتيها
وتنهمرُ
إلى ان تجعل الوديان تياراً بتيّارِ
تنام على هدير الصخر محموماً من التَعَبِ
لتمنح نهرنا « الظمآن » ما ضمت مجاريها
لترفده بإعصار
أتانا من ذرى « أرْجيش » كالطوفان ينحدرُ

* *
*

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليترك كلّ ما شادته اجيال بأيديها
حطاماً... بعض آثارِ
فلا نخلٌ... ولا ثـمَرُ

وضمّت.وحشة الصمتِ
مدينتنا ... وألقت فوق كلّ « زرائب القَصَبِ »
وكل « مضارب العربِ »
ستاراً من رؤى الموتِ
يسير بتمتمات الخوف من بيت إلى بيتِ
أخي أمّاهُ هل يأتي ...!
أحس بأنهم جرّوهْ .
احسّ بأنهم ضحّوهْ
لربٍ ما عرفناهُ
وأنا قد تركناهُ
تدوس الأرجل العفنات في تيه بقاياهُ ...
كأنّ خيول « هولاكو » على الأبواب ؛ والتترُ
وحوش يستثير الجوع شهوتها فيزجيها
لتأكل كل كلّ ما ابقت عهود الجوع والنَصَبِ
وتنثر في مياه النهر كلّ خزائن الكُتُبِ
وتتركنا على الأطلال نبكيها

أيأتي أرضنا التَتَرُ
وتموز على الابواب ينتظرُ
سلال الخبز في كفيه والأزهار والثَمَرُ
ونحن نعدّ للاطفال ... للمرضى ... عطاياهُ
نمنّيهم بما انتظروا
بلقياهُ
فبالأمسِ
رأيناهُ
يَمرّ على النخيل ومن جوار « عرائش العنبِ »
مجردتين كفـّاهُ
ودامعتينِ عيناه
يجرّ خطاه في ربواتنا... في زيّ مغتربِ
ويهمس للصغار غدا سآتيكم بأزهاري

غدا تنهلُّ في بغداد مثل نيازك الشُهُبِ
و « دجلة » حينما تنهال اكداس من السُحُبِ
على « أرجيش » ترفده بما جادت أعاليها
كتائب من بني العَرَبِ
تلاقت من ربى « وهران » من « صنعاء » من « حَلَبِ »
لتبني مسجداً هدمته طغمة فاتح ضاري
وترجع للخزائن ما أضاعته من الكُتُبِ

أنا اسمع صوت الموت في الدربِ
« قتلناهُ
سحقناهُ مع العارِ »
يطوفُ الحيّ من دار إلى دارِ
قتلناهُ
لينعم بعده الباقون بالخبز وبالحبّ
واسمع صوت صارخة ...
أخي جروه أمّاهُ
وتموز على الابواب ، اثقالُ عطاياهُ
ينقّط في البراعم كلّ ما حملته كفاهُ
من الاطياب يُعطيها
مواسم ليس يعرفها عراق الجوع والرُعبِ
ولا حلمت لمثل ثمارها أيام مرضاهُ
لقد كنّا نريد لقاء زائرنا ... وإيّاهُ
ولكنّا فقدناهُ ...
فقدناهُ ...!

أحسّ بأنّ تموز الذي قد مَرّ بالأمسِ
بلا دفء ... بلا ضوءِ ... بلا شمسِ
مجردتين كفّاهُ
ودامعتين عيناهُ
يجرّ خطاه في ربواتنا ؛ في زي مغتربِ ...
كأنا ما سألناهُ
عن الشوفان والرُطَبِ
سيحمل في غدٍ لبيوتنا أشهى هداياهُ ..

الكويت

ناجي علوش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشمس باردة في خط الاستواء !

قصة بقلم جان الكسان

اني اختنق ..

ضيق عجيب يشد اضلاع صدري الى داخل .. خيبة كبيرة احسها دوامة عنيفة انداح فيها بيأس ، والعينان الاسرتان في وجه « ثروة » تلوح فيهما سخرية متعبة .. متعبة ..

هناك لم اكن هكذا ، واحلامي كانت تقطع كل المفازات وتتحدى جبالا وتلالا وسهوبا ، وتظل في اطلالة عالية كصهيل الخيل المتمرد وقد حطمت عناد قمة . اشعر اليوم انني انتهيت من حيث كان علي ان ابدأ .. انني عاجز تماما عن قلب مفهوم بدايتي ونهايتي في مدينتي هذه الكبيرة التي اضاعتني .. انا لست بطلا فيها .. هناك قالوا عني انني بطل ، ولكن للبطولة هنا مفهوما اخر ، لا اصلح له وفي قلبي هذه الطيبة البليدة التي ترتعش معها الخاطرات الحلوة في عيني وعروقي ثم تموت بسرعة ..

مدينتي بدأت تخيفني .. تثير القرف في نفسي تشعرني بضياع كبير لا اجد منفذا للتخلص منه .. لم تكن هكذا قبل ان اغادرها الى هناك ، كانت في نظري عجوزا فاتنة ، أفتن من الصبايا ، اقبل عليها بنهم وامتص كل ذرات فتنتها . لم اكن اعرف حقيقتها قبلا ، كنت انسانا بلا تجارب عميقة لااعرف الا مدرسة التجهيز ، وخمارة ابي ابراهيم ، ودار البغاء ، وشلة الرفاق التي التقي ببعض افرادها في احد الاماكن او القاهم مجتمعين في مقهى السلوان يقتلون الوقت ـ وانا بينهم ـ في لعب الكونكان ..

ابي اخطأ في تدليلي .. هذا ما ادركته الان ، وكذلك امي ، واختي سميحة ، و « ثروة » جعلتني العن الان تلوي جسدها الشعباني كلما ثار بياض ساقيها على حرير ثيابها الداخلية . البارحة بصقت في وجهها طردتها من غرفتي ، اردت عبثا ان تملأ فراغ قلبي ، كانت من قبل تثيرني بتثني جسدها الشعباني ، اما اليوم فقد أثارت في هي الاخرى القرف ، ماذا تختلف عن رابحة التي ازورها في دار البغاء ؟.

انها نهاية عجيبة هذه التي وصلت اليها ، تذكرني ببداية سابقة مضادة لها في المفهوم وفي المسار الذي سلكته وفي نوع أيلولتها .. بداية وعيي على حقيقة المدينة وحقيقة الحياة ، يوم غادرت هذه المدينة الى الخطوط الامامية للحدود في الجنوب .

***

البداية .. يوم وقف والدي العجوز بقامة منتصبة في المحطة قبل ان اصعد الى القطار ، يشد على يدي ويقول : هذه الارض قد رعتك ياولدي حتى اصبحت هذا الرجل الذي يقف امامي ، لقد امضيت انا في الجندية عشرين سنة ، حاربت في ميسلون والغوطة وجبل العرب والدردنيل وفلسطين ، وكنت دائما اعرف واجبي ، وعليك انت ان تعرف واجبك اليوم في حياتك الجديدة .

وسار القطار .. وانزويت في مكاني افكر في كلمات ابي ، لقد اعجبني رجل ولد فيه مع ميلاد هذه الكلمات ، كان دائما يدللني بكلمات رقيقة .. كان يجعلني دائما لا ارى في معنى وجودي الا معنى سعي لا مبال انطلق فيه متواكلا . كنت اتوقع ان يعانقني ويقبلني بحنان ، ويبكي ، ويقول لي : حاول ان تعود نفسك على حياة الجندية ياولدي ، انها حياة قاسية ولكنها ستنتهي .

لكنه لم يفعل شيئا من هذا ، لقد قال كلماته تلك وربت على كتفي بهمة شاب معتد بقوته ، لقد شعرت يومذاك باعتزاز كبير ، شعرت بدماء حارة تتدفق في عروقي ورأسي ، وبقلبي يكبر ويكبر ، حتى خيل الي لحظتها ان في وسعي ان اوقف القطار بسبابة يدي .

في المعسكر ، قالوا عني في الايام الاولى انني جندي جبان ...اهانة قاسية جاءت كأنها ضربة مطرقة هائلة ارتج لها كياني وزاغت عيناي فبدت امامهما الرؤى باهتة مهزوزة ... وانزويت في « البلوكوس » افتش عن الجبن في ذاتي فلا اجد له ظلا سوى انطوائي على نفسي واجتراري ذكريات المدينة ، وصور التجهيز ، ودار البغاء ، ومقهى السلوان ، وخمارة ابي ابراهيم وشلة الرفاق ، وساقي « ثروة » الثائرتين ابدا على حرير ثيابها الداخلية .

ووجدتني حبيس ذاتي ، حبيس هذه الذكريات التي ماتنفك تسلب ارادتي فاذا انا ادور معها وادور ... وادور ..

« جندي جبان » !.

كنت لم اخض معركة بعد ، ولم يعجم عود شجاعتي ، ففيم الاهانة ؟.

حاولت جاهدا ان اقنع رفاقي ورؤسائي بانني لست جبانا ، وان تهمتهم باطلة ، ولكني عبثا كنت احاول ، وادركت الفرق بين حياتي في المدينة وحياتي في الخطوط . في المدينة كنت ارد التهم بتزييف الحقائق ، باجتراح موهوم ، ابديه بافتعال امام الكاذبين والحاسدين ، فيصدقني الناس .. امي كانت تفعل هذا .. كانت تقول لجارتنا ام سهيلة عندما تسألها كم تقدر لها من العمر : لا اظنك تتجاوزين الثلاثين ، فتشيع ابتسامة رضى عريضة على وجه ام سهيلة طيلة الجلسة ، حتى اذا انصرفت وثرت على مراءاة امي ربتت بيدها على خدي وهي تقول : انت لاتعرف الحياة بعد .. يجب أن تساير الناس لكي تستطيع ان تعيش بين الناس .

واظل في انطوائي ، احتل ركنا منزويا في البلوكوس وانا سادر في استعادة ذكرياتي في المدينة اجترها مع جرعات الشاي الاسود الثقيل ، ولعنة الكلمة ، جبان تصطرع في نفسي بعنف وانا انظر الى وجوه رفاقي سعيد ، وعايش ، وسمعان ، وسلمان القصير ذي السحنة الصفراء والاسنان الكبيرة وهو يضج في المكان ويصيح قبل وبعد كل جملة « ياقرد » ، ثم يخرج من جيبه كتابا اصفر يقرأ فيه سيرة الزير وابي زيد الهلالي .

كم كرهت هؤلاء في اول عهدي بالمعسكر ، شعرت بخيوط النقمة تتدافع من كياني ليلتف كل منها على واحد منهم ، وكان يتراءى لي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ن الخيط الذي يلتف حول سليمان ، اغلظ تلك الخيوط ، واشدها قسوة، واقدر على هصر رقبته المعروقة .

ـ . جبان .. جبان ..

وصحت به : لماذا ياسليمان .. لماذا تهينني ؟.

ـ . جبان .. جبان .. جبان !.

لم اكن اتصور ان لكفي كل هذه القوة الا عندما رأيت سليمان يتداعى على نفسه ويسقط ، ولولا ان انقذه مني العريف ناصر في اخر لحظة ، لاجهزت عليه .

وقال الملازم عدنان امر السرية : لماذا ضربت رفيقك ؟.

ـ . ...

ـ . قلت لك لماذا ضربته ؟.

ـ . لانه اهانني .

ـ . ماذا قال لك ؟.

ـ . قال انني جبان .

ـ . ولكنك اخطأت في عملك ، سأرفع تقريرا بسجنك ثلاثة ايام مع طلب الزيادة . وحاول ان تكون قدوة بين رفاقك ، انت تتهرب من التدريب ، وتتمارض ولا تحاول ان تتسلق التل معهم ، وتدعي دائما ان حذاءك غير مريح ، تلح في طلب المأذونية لتزور اهلك ، هذه الاشياء ، وان كانت لاتدل على الجبن الحقيقي الا انها ليست من صفات الجندي ، هل فهمت ؟. اذهب الان ، وحاول الا تثبت لي ماينعتك به رفاقك .

***

واصبحت بطلا ...

قال لي كل من في القطاع : « انت بطل » .. كان اولهم سليمان .. لاول مرة لم يزد كلمة « ياقرد » على جملة قالها ..

وعبثا حاولت ان اقنع رؤسائي ورفاقي انني لست بطلا ، وان ماقمت به يستطيع ان يقوم به اي واحد منهم .. لقد اسكتوني غير مقتنعين وقال الملازم عدنان ، واكد على ذلك الرئيس شوكت : لاشك ان كل اخوانك الجنود بواسل شجعان ، ولكن للبطولة معنى اخر في الميدان .

كان امر السرية قد قال لنا في اجتماع مفاجيء : امامنا عمل خطير يجب ان يتم ، يجب ان يتطوع احدكم لينسف الجسر .

« كان الجسر عقدة مواصلات العدو » .

وفي صباح اليوم التالي كان خبر تسللي الى مراكز العدو ونسفي للجسر ، حديث الخطوط على طولها .

واصبحت سعيدا .. كدت ان ابكي من فرحي عندما علق امر الفوج على صدري وساما وقرأ على الجنود ثناء القيادة العليا . وبعدها ،تكامل ايماني بالقيم الحقة ، وكفرت بفلسفة امي وام سهيلة والف الف واحدة من امثالهما .. الحقيقة وحدها اقنعتني بانها فوق التهم الباطلة .

***

اني اختنق ..

كنت انذاك اكثر سعادة ، وفي عروقي كنت استشعر استمرارا حارا لتوثب دافق ، كنت اشعر بنفسي اكاد الامس حدود المطلق من السعادة عندما اتمدد بثياب الميدان على العشب ، وجهي الى الارض امرغه في قطرات الندى الباردة اللامعة على السوق الصغيرة ، وذهني صاف خال من خواطر المدينة التي عدت احياها اليوم واقعا يجعلها تتسلق جبهتي بضنك ، ثم تتساقط كالعقارب الميتة ..

مدينتي كلها ، العجوز الفاتنة كنت اقبل عليها بنهم وامتص كل ذرات فتنتها اصبحت امامي كومة من الافخاذ المريضة العارية يتسلقها دود كثير ملون ، يحك جلدها بقسوة ثم يزرق فيه لعابا ساما ..

وانوارها .. انوارها التي كانت تبهرني في الامسيات الدافئة . اصبحت بدورها كومة من عيون عفاريت وقحة تبعث نورا يتراقص بجنون فوق الواجهات ، او يجثم ببلاهة على اعمدة طويلة ..

وشلة الاصدقاء ، ندماء المدرسة والخمارة والمقهى ودار البغاء ، اصبحت امقتهم .. اصبحت غريبا فيهم ، بدأت احس بتفاهة تمزقني في قهقهاتهم الجوفاء وهي تنفجر في وجهي حمقاء ، بلا رجولة .

كلهم ، بدوا امامي اقزاما مشوهين ضاعوا في ثيابهم وفي اشيائهم الاخرى السخيفة ، اليوم ـ وانا بينهم ـ تمنيت لو وقفوا امامي رتلا لاكيل لهم ، واحدا تلو الاخر صفعات قوية ، حانقة .

لماذا يضيعون عن الحقيقة ؟. لماذا لايتخلون عن ايمانهم بفلسفة امي وام سهيلة ، سامي ميسر قال لي منذ يومين : انك كنت في حالة سكر عندما تسللت ونسفت الجسر .

ونعيم ظل يدافع ساعة وهو يفاضل بين جسدي رابحة وكاميليا اجمل امرأتين في دار البغاء ، ثم ينفتل الي فجأة ويقول : اسمع يا « بطل » لولا ان ابي دفع لي بدل خدمة العلم نقودا لسبقتك الى هذه البطولة ، ولكن حظك اقوى ..

واحاول ان اصدق كلامه ، واحترم له عزمه على الاقتراب من الحقيقة ، ولكنه سرعان مايفجر بين اشداقه ضحكة سمجة ينهار معها الهرم الذي بنيته له ، فاذا هو قزم امام الحقيقة العملاقة .

واسائل نفسي : هل انا مريض ؟. الم اعد اصلح للحياة بين الناس ؟. واتذكر قول امي « يجب ان تساير الناس لكي تستطيع ان تعيش بين الناس » ..

ولكن ، لماذا لا يسايرني الناس بدلا من ان اسايرهم .. انا عرفت الحقيقة ، وهم غافلون عنها ، فلماذا اشد نفسي الى الارض بكلمة انهزامية : « مسايرة » ؟..

***

« يا مدينتي » !.

يافاتنة احببتها لانني لم اكن اعرف منها غير فتنتها .. انك تثيرين الان في نفسي القرف .. اشعر انني انتهيت فيك حيث كان علي ان ابدأ لقد ضعت في ثناياك العفنة ، وصدمتني مراءاة عجيبة في نفوس اناسك .. انا لست بطلا فيك ، فابطالك مزيفون ، وللبطولة في قاموسك العجيب معنى مضحك ، سخيف .

لن اجعلك تهزئين بي اكثر .. سأذهب الى هناك .. الى الخطوط الامامية ، فقد سئمت المفاهيم المغلوطة وسئمت الضياع ..

. « يامدينتي .. سأرحل .. لانني لا اريد ان اؤمن ،بعد اليوم ان الشمس محرقة في القطب الشمالي .

جان الكسان

دمشق

من « جمعية الادباء العرب »

طبعت على مطابع :
دار الغد للطباعة والنشر
تلفون ٢٢٩٢١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفارس المصلوب

في ذكرى ميسلون

***

لازحف بعد .. ولا ذل ، ولا عار ... ولا طواغيت .. ان الشعب اعصار
الفاتحون .. على ابوابنا وقفوا ... يساومون .. فاقبال .. وادبار
غورو هناك .. وشعبي في انتفاضته ... نهر من النار .. لم تسمع به النار
فأرجف البغي .. مذعورا لصرختهم : ... « تفديك ياوطن الاحرار .. أحرار »
ايعبرون ... وقتلانا جدار دم ... ونحن في زحمة الاقدار .. اقدار
اقوى من الليل قتلانا .. فما هدات ... الا وفي ارضنا .. فجر .. ونوار

**

الفارس الاسمر المخضوب .. مابرحت ... عيناه في الدرب تغلي فيهما النار
يافارس الوطن المصلوب .. قد ازفت ... نهاية الشوط .. مضمار .. فمضمار
فداك قلبي .. ترجل .. فالصليب هوى ... وجن في جنبات الدار .. قيثار
ترنحت بالدم المهراق .. اودية ... وعربدت برحيق الجرح ... ازهار
واخصب الحب في عينيك .. قافية ... يدور فيهما بعرس المجد .. سمار

**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يااخوتي في ربى الاوراس .. قد افلت ... شمس اللصوص .. وهذا الليل ينهار
عمان .. حطمت الاصفاد .. وانطلقت ... يقودها في دروب المجد .. احرار
وفي شوارع بغداد .. التي شربت ... دم الضحايا .. يقاسي الرعب .. جزار
لن يرفع الصنم المأجور هامته ... والفأس في ظمأ .. والشعب هدار

**

على صخور بلادي يستجير دم ... مخضب .. يعربي الوجه .. فوار
دم .. يعربد في اقداح شاربه ... بقصة يرتوي من نارها الثأر
عن الف « غورو » و « هولاكو » اطاح بهم ... فوق الجزائر .. قديسون .. ثوار

**

يايوم ثورتنا الكبرى يهل على ... ارض العروبة معقودا له الغار
وتنتشي راية بيضاء خافقة ... يهزها في يد التاريخ .. « ذيقار »
فترجع الصرخة الحمراء هادرة : ... « الشعب اكبر .. ان الشعب اعصار »

دمشق

فارس قويدر

هؤلاء علموا سلامة موسى..

بقلم غالي شكري

كتاب « هؤلاء علموني » هدية سلامة موسى للنقاد . انه الاضواء والظلال والخطوط التي اسهمت في رسم خريطة حياته . وهو يصدر الكتاب بعبارة جوته « كن رجلا ولا تتبع خطواتي » مدللا على انه ، وان كان قد تربى وتعلم على ايدي هؤلاء العظماء ، الا انه كان مستقلا في اختيار طريقه الخاص. وفي ذلك يقول ، ان المؤلف العظيم ، لا يدعنا نرى الدنيا بعينيه ، ونشهد على الناس والاشياء بضميره . وانما هو الذي يعلمنا الاستقلال رائين ومشاهدين في آن واحد ، وان كانت رؤيته قد فتحت بصيرتنا .

وسلامه موسى يرى ان المؤلفين هم الذين يغيرون العالم . وتعريفه للمؤلف هو انه الانسان الذي لا يتحفنا بضجة مفتعلة من الزخارف اللغوية المبهرجة ، وانما هو الذي يصنع شيئا من اجل تطوير حياتنا وتغييرها . هو الذي يوقظنا على معنى جديد او ينبه وعينا على فكرة جديدة . ولا ريب ان جولة سلامه في اوروبا اكسبته هذا التعريف . فقد سافر اليها في وقت كان الشرق فيه ينعم برقدة عميقة ، اما اوروبا فكانت تغلي بثورات متوالية في العلم والصناعة والتاريخ. وربما كانت نظرية التطور واصل الانسان هي البذرة الاولى التي التقطتها روح الشاب المصري ، وانبتت فيما بعد فلسفة حياته القائلة بان التطور ليس قاصرا على الجانب البيولوجي من الانسان ، وانما التطور يشمل التاريخ والاخلاق والاقتصاد ايضا . ويبرز هنا المفكر الانجليزي هربرت سبنسر جليا واضحا

والكتاب الذي يفخر سلامه بتاليفه هو « حياته » ، ولذلك نرى ان جميع الذين علموه ، لم يعزلوا حياتهم عن مؤلفاتهم ، بل كانت هذه الحياة في الاغلب هي مؤلفهم الاول .

وحين يقول سلامه موسى ان المؤلفين يغيرون الدنيا ، فهو لا يقصد ان الافراد يبدلون وجه التاريخ، بل يستهدف العكس تماما . فالساسة والعسكريون في نظره لا يصنعون تاريخ البشر بسياساتهم وحروبهم . والناس فقط ، بتفاعلهم الحي مع الظروف المحيطة بهم ، هم الذين يصنعون تاريخ انفسهم . ففي الحربين العالميتين ، لم يرجع السبب في اشعالهما الا الى اختراع الالة البخارية ، التي لم يكن توصل جيمس واط الى التفكير في اختراعها الا تعبيرا عن حاجة اجتماعية نشات خلال ظروف تاريخية معينة . وهذه الالة عممت بدورها الانتاج الكبير في الصناعة وفي ظل النظام الاقتصادي الاستغلالي الذي كان سائدا في ذلك الحين على اوروبا ، كان الانتاج الكبير يدفع الدول الاحتكارية الى الحرب فالاستعمار . « والدلالة هنا ان السياسي والعسكري قد سار كلاهما في اثر المفكر او المخترع الذي انبعث الى التفكير والاختراع بقوات اجتماعية اخرى »

وحين يتأمل سلامة الشخصيات العظيمة التي اثرت في حياته تغييرا او توجيها ، ويبحث عن القوة الجذبية التي ربطته بهم ، يجد انها ثلاثة طرز .

* واما الطراز الاول ، فهو أولئك الذين تتسم حياتهم او مؤلفاتهم بغلواء حين يحيون او يفكرون على القمة او الذروة . فهم نيتشه في جنونه المقدس يحيل عمره الى مغامرة فلسفية، ويدعونا الى ان ننسلخ من رواسب الخرافات الماضية ، ونتولى بانفسنا مصير مستقبلنا . وهم دستويفسكي في حبه الغامر للبشر ، والاحساس الديني الذي تتذبذب به اوتار نفسه . وهم غاندي الذي يكافح امبراطورية سوداء بكلمات عذبة من الطهر والشرف ، فيخجل منه العالم ويسلم باستقلال الهند .

* واما الطراز الثاني ، فهو اولئك الذين اعطوه منهجا للحياة . فهم جوته الذي عاش طالبا مدى حياته ، يمتص وجدانه كافة التجارب والخبرات في ميادين العلم والثقافة والادب والسياسة . وهم برناردشو يجعل من ادبه كفاحا للظلم والاستبداد والدناءة والقبح . وهم ويلز يرفع الصحافة الى مقام الفلسفة ، فيدرس شئون العالم في تدين بشرى جديد .

* واما الطراز الثالث ، فهو اولئك الذين امدوه بالمعارف الخصبة والافكار الحوامل . مثل فكرة التطور التي احدثت له مركبات ثقافية كانها العقد النفسية في المريض تدأب في تفرع ، ولكن مع التسلل والتستر. ولقد استطاعت هذه الفكرة الداروينية ان تجعل من حياته استطلاعا دائما. وهم فرويد الذي ساعده في تشريح النفس البشرية ، وهم اليوت سميث الذي فتح له ابواب الحضارة الانسانية .

يقول سلامه موسى « هؤلاء علموني . اكسبوني الحياة الغالية التي عاشوها على القمم ايحاءات كانها صلوات بالقلب . او اعطوني منهجا اعيش به عيشة الخدمة والكرامة والشرف مع الرضى بالتضحية . او غرسوا في ذهني غراسا صالحة تنمو وتتفرع كانها نبت ينير خلايا المخ ويسطع انوارا تقشع ظلام الجهل »

عار العائلة

والمعلم الاول في حياة سلامه موسى هو داروين . واللقاء الاول بين التلميذ واستاذه حدث منذ نصف قرن . كان عمر سلامه حينذاك عشرين عاما . شاب شرقي انخمت ذهنه فلسفات الشرق وغيبياته ، فهرب الى اوروبا ، عساه ان يستنشق هواء جديدا . وهناك التقى بداروين . كان عمر كتابه « اصل الانواع » نصف قرن . وعثر الشاب المصري على الهواء الجديد الذي ملأ رئتي اوروبا في ذلك الحين باسم «التطور».

شيئان هامان عنى داروين بتوضيحهما في كتابه : اولهما « معارف » تكاد تكون حقائق عن اصل الانواع في الحيوان والنبات ، وانها جميعا تعود الى اصل واحد ، او اصول قليلة . وثانيهما « منهج للدراسة » هو ان الاستقرار لا تعرفه الطبيعة ، وان الانسان والحيوان والنبات في تغير مستمر .

وقد فرضت هذه النظرية نفسها على كافة ميادين الحياة . اذ لم يقف داروين عند حد اكتشاف النظرية ، فقد سبقه الى ذلك بصورة غير دقيقة وولاس وجده (1). ولكن داروين انتهى الى تعليل التطور، بتنازع

(1) جد داروين

البقاء الموجود في الطبيعة ، فالقوي يبقى ، اما الضعيف فعوامل ضعفه مكفلة بافنائه . ومن هنا تتطور الحياة نحو الافضل – اي للاقوى . وتسلطت هذه النظرية – كما قلت – على كافة ميادين النشاط الانساني. فالتقطها رواد الفلسفة الاستعمارية في ميدان السياسة ، وبرروا بواسطتها استغلالهم للشعوب الضعيفة . وفي الاخلاق لم يصبح مهذبا من يعطي الفقير قرشا او من يهب المريض علاجا . وفي الفلسفة اصبح الحكم للصفوة الممتازة .

وبادر الى تأكيد هذا التفسير الملتوي لنظرية داروين ، قسيس انجليزي يدعى مالتس قال ان الناس يتوالدون حسب نظام تضاعفي ١٦،٨،٤،٢ الخ بينما المحصولات لا تنتج الا على نظام حسابي ٤،٣،٢،١ الخ فاذا عاش الناس بلا مرض او جوع او حرب ما استطاعت المحصولات ان تكفي هذه الملايين المهولة . وقد فات المفكر المتشائم ان التقدم العلمي لن يتيح لرقعة الارض فرصة السيادة . كما اننا حين ننقل نظرية بيولوجية – كنظرية التطور – الى بقية العلوم الاخرى يجب ان نراعي بدقة ووعي طبيعة تلك العلوم في اختلافها الحاسم عن علم البيولوجيا .

وعظمة داروين هنا هي النظرية نفسها ، التي عثر الذهن البشري بواسطتها على مفتاح العالم . وقد حمل داروين – عن جدارة – عبء النقلة التاريخية من التسليم الغيبي للموجودات ، الى الحقيقة العلمية لهذه الموجودات ، وهي انها في تطور مستمر غير مستقر ، وتفجرت بالتالي في اعماقنا شهوة البحث والاستفسار والقلق والكشف وعدم الرضا والاطمئنان المؤمن الى عقائد الاولين .

ويقول سلامه موسى ص ٣٩ « لا اعرف كاتبا تأثرت منه اكثر مما تأثرت من داروين . فانه اعطاني القلب الذي أزن به احيانا ، واحيانا اهدم به التقاليد . وجعل التطور مزاجا تفكيريا ونفسيا عندي ، بل جعله عقيدتي البشرية النائية عن الغيبيات . وقد اصبحت اقيس الامم بمقدار تطورها، واقيس آمالي الاجتماعية بمقدار ما اجد من قدرة على التطور. ذلك ان التطور في اساسه منطق علمي ، ولكنه استحال عندي الى عقيدة قلبية واذن يجب ان اعد داروين المعلم الاول الذي علمني » . وهذا حق . فالقلب الانساني في حاجة دائما الى الدين . وحين القى سلامه موسى ، وراء ظهره ، بالمفهوم الغيبي للدين ، احس بالقلق .. ثم اعاد له داروين ثقته في الانسان واحترامه للحياة ، بالمفهوم البشري للدين .

★

وكان لامارك – قبل داروين – قد علل التطور بالعادات البيئية ، اي ان الوسط المحيط بالكائن الحي من طعام واعداء ومناخ يؤثر في تركيبه العضوي ، فيغيره الى شكل يتلاءم مع الوسط . فاذا جاء نسله ورث هذا التغير . وتتراكم التغيرات على مدى الاجيال بالمئات والالوف ، فتظهر سلالات جديدة تختلف عن اسلافها . ثم تتراكم التغيرات في هذه السلالات حتى تفصل ما بينها وبين الاسلاف ، وتصبح السلالات القريبة انواعا مستقلة . وقد سلم داروين بهذا التعليل مع تمسكه بتنازع البقاء، حتى جاء وايزمان – المفكر الالماني – فعارض لامارك قائلا ان الصفات جميعها وراثية ، وان الوسط لا يؤثر اطلاقا في الكائن الحي. والتقى بذلك مع نظرة الراهب مندل . وقد اخذ سلامه موسى برأي وايزمان فترة طويلة ، يصف نفسه خلالها بانه « فسد » ذهنيا . فما دامت الوراثة ثابتة وتتحكم في الموجودات ، فلا ضرورة لبقاء الضعفاء والمرضى والمتأخرين .

والتجربة العلمية فقط هي التي ارغمت سلامه موسى ان يسلم لوايزمان . والتجربة العلمية ايضا هي التي أزاحت عنه هذا الكابوس حين وقع في يده كتاب « وود جونس » في العادة والوراثة. وقد اثبت فيه ان الوسط يؤثر في الكائن الحي تأثيرا مباشرا في تكوين العادة التي تورث بتعاقب الاجيال .

وقد شحنت نظرية وايزمان – قبل انهيارها – نفس سلامه موسى بالريبة والقلق . اذ وجد – على ضوء هذه النظرية – ان اصلاح الوسط والبيئة ضرب من العبث ، كما ان جمود الوراثة في نقل الصفات ، اصبح قريب الشبه جدا من الغيبيات والقدرية . وهما شيئان نزعت جذورهما من اعماق سلامه نظرية التطور . ومن هنا يكرر دائما ان وايزمان هو الرجل الذي افسد ذهنه .

وليس غريبا أن تترجم افكار وايزمان الى الفلسفة الالمانية على يدي نيتشه . وليس غريبا اذن ان يكون المقال الاول لسلامه موسى عن « نيتشه وابن الانسان »(1) . وكانت اوروبا في ذلك الوقت تغلي بنظرية التطور . فالمسيحيون يحاربون المعول الذي يهدم « القاعدة الاصلية » للدين ، والملحدون يهدمون التسليم الغيبي للمسيحية ولكنهم يجمعون على ان الاخلاق المسيحية هي الاخلاق المثلى .

وجاء نيتشه ليهدم المسيحية من زاوية مجدها الاخلاقي . فقال ان الرحمة والتعاون والحب ، وكافة الفضائل المسيحية هي مجموعة من الدجل والخرافات تستهدف رعاية « الغوغاء » و « الدهماء » و «القطعان» وهؤلاء جميعا من فقراء وضعفاء ومرضى يعوقون التطور الانساني . في حين اننا يجب ان نخلص لنوعنا البشري ، بأن نبقى على الاقوياء في الذهن والجسم والروح ونعمل على افناء الاخرين ، حتى نحصل في النهاية على السوبرمان . فهو يصف الانسان الحاضر بانه جسر او قنطرة من الفرد الى الانسان الاعلى . وواجبنا اذن ان نضحي بالضعاف حتى نضمن للجنس البشري ارتقاءه الاعلى .

وقد تلقف النازيون والفاشستيون اقوال نيتشه بلهفة، واستقبلها اعداء الديمقراطية بحفاوة بالغة وكأنه المسيح المنتظر .

ورغم ذلك فانت تنتشي بسحره حين يقول مثلا « الزواج هو اجتماع ارادتين ، لايجاد شخص اعلى من الزوجين » و « الانتقام الصغير اكثر انسانية من العفو عند المقدرة » و « لانك جعلت الخطر حرفتك ، لذلك أدفنك بيدي » . وهذه الخمر اسكرت سلامه موسى . فالرغبة في ايجاد السوبرمان ، وتمجيد الاقوياء الممتازين ، واللغة الشعرية الساحرة التي عرض بها نيتشه افكاره .. جميعها تآمرت على تفكير الشاب المصري اثناء انغماسه في نظرية التطور ومناقشة وايزمان .

ولكن نهاية نيتشه في حياة سلامه موسى ، كانت كنهاية وايزمان . فقد عثر – فيما بعد – على من اخذ بيده الى الطريق الصواب ، حتى انه يحذر من يقرأ نيتشه بانه كالسم لا يظهر في العسل ، اما اثره فسرعان ما يبدو قاتلا .

والخمر لا تترك اخر كلمات نيتشه فيقول لشقيقته « عديني انني عندما اموت لن يقف حول نعش سوى اصدقائي ، ولن يكون حولي احد من الغوغاء الفضوليين . واعملي على الا يلقى قسيس على قبري بضعة اكاذيب ، وانا عاجز عن حماية نفسي . ودعيني انحدر الى قبري وانا وثني شريف » . ويعلق سلامه موسى على هذه الكلمات قائلا : ومات نيتشه، وفي نفسي له حب وعداء ، اقبال وصدود .

ولعل احد اسرار « العداء » الذي انتهت به العلاقة بين نيتشه وسلامه

(1) المقتطف – مجلد عام ١٩٠٩

هو الحرب الشاذة التي اعلنها الفيلسوف الالماني بلا هوادة على المسيح. فهو لم يجرده من الغيبيات فحسب ، بل عاداه لتزعمه الضعفاء والمساكين وحبه لهم .

وهذا السبب نفسه ، غرس الحب في قلب سلامه نحو الكاتب الفرنسي ارنست رينان . فقد جرد هذا الكاتب المسيح من الغيبيات ، وان لم يغفل دوره الكفاحي من اجل الناس ، ومناداته بالحب كعلاج سام لمشكلات البشر . رسم رينان شخصية المسيح لدرجة فتنت سلامه موسى ودعته يقول « لقد احببت تلك الشخصية السامية التي وصفها رينان في كلمات الحب والاعزاز ، والتي احاول مع العجز، ولكن مع الامل ، ان ارتفع الى الاخلاق التي رسمها في شخصية المسيح ».

واحترام سلامه موسى لشخصية المسيح لا يجره الى الخرافات المحيطة بهذا الانسان العظيم . فقد التقى سلامه في بدء حياته الفكرية بالمطرقة التي حطمت هذه الخرافات . التقى بفولتير.

وليس لفولتير عبرة او دلالة واحدة لعصرنا ، وانما له عبر ودلالات كثيرة . فاننا نفهم منه ان حرية العقل وحرية العقيدة وحرية الضمير هي اثمن ما يملكه البشر . وقد حاربته الكنيسة الكاثوليكية بعنف ، فحرمت تداول كتبه واحرقتها وشردته بين فرنسا وسويسرا ، فكان يكتب رسائله بتوقيعات مزورة . ونجح فولتير في النهاية ، اذ فصل الدين عن الدولة وكفت الكنيسة عن محاربة اعدائها . وهو لم يكن ملحدا بالمعنى العلمي، ولكنه كان انسانا ، ولذلك فهو يقول « كلمة الالهي هي الوصف الوحيد الذي يليق بالانسان ، والطبيعة هي الكتاب الوحيد الذي يجدر ان نقراه والديانة الوحيدة هي ان يكون لنا شرف وامانة . وهذه الديانة الصافية الخالدة لن تكون سببا في الاذى »

واذا كان فولتير هو معول سلامه موسى الذي حطم به مثاليات الشرق، فقد كان البيرت شفيتزر هو النموذج الانساني الذي استولى على قلب الشاب المصري .

ملأت شفيتزر في صدر شبابه رغبة حارة في خدمة الزنوج . وحين تساءلوا عما يستطيع ان يفعله من اجلهم ، كان الجواب انه دكتور في اللاهوت ، ويستطيع ان ينشر المسيحية بينهم. فاحس بمرارة وهو يسمع الاقتراح ، لانه كان على يقين واثق بان من المبشرين من يحفل تاريخهم العريض بالوان الجاسوسية ومساندة الاستعمار . وتساءل مرة اخرى : كيف نقدم للزنوج تعاليم المسيحية ، وهم قد عرفوا ان هؤلاء المسيحيين الذين تربوا بهذه التعاليم ، هم انفسهم الذين ينهبونهم ويذلونهم ويحرمونهم الثقافة والمدنية والعدل والشرف ؟

ولذلك رحل شفيتزر الى باريس وهو في الثالثة والثلاثين ، حيث قضى اربع سنوات في دراسة الطب. وقضى بعد ذلك قرابة اربعين عاما في افريقيا الغربية يعالج امراض الزنوج بالمجان ، ويجمع لهم التبرعات من اوروبا وامريكا ، ويغرى الاطباء الاوروبيين بالهجرة الى هذه البلاد النائية ، ليخدموا مسيحيتهم الخدمة الحقيقية . وعاد في سن الثمانين الى بلاده وهو اعمى ، اذ لم تتحمل عيناه شمس افريقيا .

والى هنا ـ كما يقول سلامه موسى ـ نستطيع ان نقنع باننا عرفنا انسانا بارا بالانسانية . ولكن شفيتزر كما كان رجلا مكافحا ، كان ايضا مفكرا عميقا . فلم يتأثر سلامه بحياته فحسب ، وانما تاثر الى حد كبير بكتابه عن المسيح. فقد عالج حياته بمشرط فرويد بما لا يرضي المسيحيين. والنتيجة التي يستخلصها سلامه موسى من كفاح شفيتزر هو احترامه للحياة . واحترام الحياة مفتاح يهيء لنا التفكير السليم في تطور المجتمع البشري.

يقول سلامه « وتقبلت دعوته الى احترام الحياة في ترحيب وسرور، لان دراستي للتطور جعلتني على احساس عميق بوحدة الحياة نباتا وحيوانا وانسانا . ثم هو بعد ذلك لا يعترض بكلمة واحدة على سمو الاخلاق التي دعا اليها المسيح ».

الوحدة الوجودية

وحدة الوجود التي رفعت الحياة في نظر سلامه موسى الى مقام الالوهية ، هي المذهب الانساني الذي لا يفصل بين النفس والجسم او العقل والمادة او الفكرة والعمل . فالجماد والنبات والحيوان والانسان كلها شيء واحد . والانسان ـ اذن ـ ليس كائنا منفصلا ، وانما هو تعبير خاص للطبيعة « العامة » التي في الجماد والحيوان والنبات . والحقيقة الاولى في هذا العالم هي التغير والاستحالة . فالطبيعة دائبة التحول والتشكل ، والفكر البشري نفسه قد نبع من الطينة التي نبضت بالحياة الاولى .

هذه الوحدة الوجودية ، هي اول ما دعا اليه الشاعر الالماني جوته . واثره في سلامه موسى هو اثر بفري رافق حياته كلها . فهذه النظرة العريضة الشاملة للحياة عند جوته ، دفعته الى ان يكتب الشعر ويجمع الحشرات ويشرح الضفدع ويضع جدولا للالوان ويجرب الكهرباء الجلفانية ، دون ان يحس باية حواجز حاسمة بين مختلف انواع النشاط الانساني . ولذا من الخطأ ان نقول ان جوته حصر اهتمامه في الآداب والعلوم والفنون ، لان اهتمامه الاول كان بالحياة . وهذه النظرة الموسوعية صاحبت تاريخ سلامه موسى الفكري، فقد استلهمها في اسلوبه العلمي البسيط ، كما استوحاها في ان تكون الحياة كلها خامة غنية لموضوعاته .

صدر حديثا

حادثة شرف!

مجموعة قصص رائعة

للقصاص العربي المعروف

الدكتور يوسف ادريس

دار الآداب ـ بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والوصايا العشر التي شرب عصيرها سلامة موسى من يد جوته هي :

* على الانسان ان يميز بين المعارف والحقائق، وان يجمع معارفه واختباراته في فلسفة او دين . وعلى المثقف ان يستخرج الكليات من الجزئيات ، فيحس حركة التاريخ يوما فيوما .

* وعلى الانسان ان يتفاءل بمستقبل البشر في رحابة الحقائق التي وصلت اليه . فالرجل الناضج متدين . وديانته احترام الحياة . وكي نحترم الحياة يجب ان نعمل لرقيها وتطورها الى اعلى .

والعبرة التي حولت هذه الكلمات الى خلايا دموية التحمت بدماء سلامه ، ان جوته نفسه كان هذا الرجل الناضج.

وعلامات النضج في الانسان ان يرتفع من همومه الشخصية الى الاهتمامات العالية . وفي الاديب ان يرفع الادب من آراء واحساسات تكتب الى ممارسة في الحياة . وان يتعرف الاديب الى قوات الخير البازغة فيؤيدها ، وينضم اليها ، ويكون من جنودها وقوادها .

وهكذا افاد سلامه موسى منهجا للحياة . وهو منهج التعلم والاختبار والاستمتاع على حد تعبيره . ان غاية الحياة عند جوته هي الحياة . اي ان شخصيتنا ترتقى بتربيتنا وبسط الافاق امامنا للتعلم والاختبار حتى نزداد فهما لانفسنا وللطبيعة ، فنزداد بذلك استمتاعا .

*

والصديق الجديد الذي ارتاح اليه سلامه موسى في جولته الذهنية بين معلميه ، هو الفيلسوف جون ديوي. وديوي في فلسفته يؤكد حقيقتين، سبق ان اوضحهما جوته وهما :

* اننا وكل الاشياء حولنا في صيرورة ، ولسنا ثابتين على حال لا تتغير .

* كل ما في هذا الكون هو وحدة لا تنقسم ، فليس هناك فرق بين الماديات والمعنويات . ولكن ديوي اوضح حقيقة هامة جديدة ، وان كانت نتيجة للحقيقتين السابقتين، وهي ان معارفنا عن الاشياء والكون مؤقته، اي لوقتنا او عمرنا هذا فقط . وهي لذلك ليست نهائية ، وبالتالي لا نستطيع ان نضفي عليها صفة الصدق الجبري ، ذلك لان هذه الاشياء جميعها في تطور ، وقصارى ما يمكن ان نقوله عن المعارف البشرية انها «آلة» او «وسيلة» نفهم بها الاشياء. وغاية هذا الفهم غير النهائي هي التسلط على الطبيعة واستغلالها لمصلحة البشر .

والذكاء عند ديوي اجتماعي ، اي انه ليس موهبة لبعض الممتازين ، ولكنه ظاهرة طبيعية نتيجة تفاعلنا المباشر وغير المباشر مع المجتمع.

والفلسفة عنده ، ليست ان نعرف اسرار الطبيعة ، بل هي ان نستخدم قوى الطبيعة .

والمدرسة في عرف جون ديوي هي جنين المجتمع . وحين تنطوي المدرسة على نفسها ، وتعلم النظريات ، وتلقى دروسا لا علاقة لها بالمجتمع تعود بالضرر على تلاميذها . ولهذا لا يجب مطلقا ان تنقطع عن الاتصال بالمجتمع . وينتهي ديوي الى ان الغرض من التربية هو ايجاد التلاؤم بين الفرد والمجتمع. وانه ليست هناك اخلاق ثابتة ، وانما هناك تغيرات اجتماعية تؤدي بدورها الى تغيرات اخلاقية . والاخلاق المثلى ـ اذن هي درجة التلاؤم بين فرد ما والمجتمع .

ولا يوافق سلامه الفيلسوف الامريكي على هذه النقطة ، بل يتساءل ما اذا كان من « الاخلاق المثلى » ان يتلاءم الفرد مع المجتمع الفاسد ؟ ام انه يثور ويشذ على هذا المجتمع ، فتكون ثورته هي فضيلته ؟

وما يربط سلامه موسى بجون ديوي هو التزامه الاسلوب العلمي في حل المشكلات الاجتماعية . فقد الح هذا الفيلسوف على استخدام الاسلوب التجريبي في كل شيء : في الآداب والفنون والفلسفة والموسيقى والاجتماع... الخ .. وقد اخذت الولايات المتحدة برايه في التربية ، وعممت نظام المدارس الارتقائية .

وهناك قيمة ثانية ربطت بين المفكرين ، فقد اعتبر ديوي المجتمع ـ اي مجتمع ـ هو « المربي الاول » للانسان ، وبقدر اتصال او انفصال الفرد عن مجتمعه ، تكون تربيته .

*

في احيان كثيرة ، كانت المدينة تخنق بعض من ارهفت حساسيتهم انفعالات معينة ، فيهربون الى الطبيعة الساذجة ، يجربون بدائية العيش ويبعدون عن أدخنة الحضارة الخانقة .

والكاتب الامريكي هنري ثورو احد هؤلاء الذين امتلأ وجدانهم بحب غامر للطبيعة ، واحساس عميق جدا بحنانها واكاد اقول امومتها. وهو لا يدعونا الى دراسة الطبيعة ، وانما الى ان نعيشها. فهو يصف الانسان الاجتماعي في المدينة ، بانه كائن صغير تشغله الهموم الصغيرة. يقضي ستة ايام يعمل ، ويوما واحدا يستريح. ويتساءل ثورو : لماذا لا يكون العكس هو الصحيح ؟ ونسي الكاتب الامريكي ان العكس هو الصحيح فعلا خارج نظام مجتمعه الاستغلالي. فالنظم الاحتكارية تشقى الايدي العاملة اطول فترة ممكنة ليحصل الاحتكاري في النهاية على اقصى ربح ممكن. ومن ثم تصبح علاقات الانتاج قائمة على النهب والامتصاص . ويهرب ثورو وزملاؤه الى الطبيعة بحجة واهية . والحقيقة ان الحضارة الانسانية لا يهرب منها احد ، لو ملك ناصيتها سادة الانتاج الحقيقيون ، الذين بواسطتهم تتغير علاقات البشر من طبيعة المجتمع الرأسمالي الى طبيعة المجتمع الاشتراكي الذي يكفل للانسان كل ما اراده ثورو من سعادة .

وثورو يقول « ان الالتصاق بالطبيعة لن يرهقنا بمطالب العيش كما يحدث في المدينة ـ ويقصد بالطبع مدينته الراسمالية ـ فالبساطة والرغبة الحقيقية في حياة لا تصاحبها رغبة مزعجة في الاقتناء والتنافس، هو عنوان الحياة في الطبيعة » . وهكذا يعترف الكاتب الامريكي بان المباراة الاقتنائية هي السبب المباشر في لجوئه للطبيعة ، ولكنه تجاهل ان هناك نظاما آخر لا يقوم على التنافس والاقتناء ، في استطاعته ان يخلق المدينة التي يحبها .

والفراغ الكبير الذي يلقاه ابناء الطبيعة في احضانها ، فرصة جميلة عند ثورو للاختبار والكشف والمتعة . فالطبيعة مليئة بكل جديد، مما لا تيسر لنا ظروف المدينة فرصة اكتشافه . وهو يقدم لنا نفسه نموذجا عمليا ، اذ قضى عاما ونصفا في احدى الغابات حيث بنى كوخا صغيرا . ثم عاد مرة اخرى الى المدينة ، مما يحملنا على ان نفهم ان عودة البشر الى فطرة الغابة اصبحت مستحيلة .

وفي تجربة ثورو يكتشف سلامه دلالة هامة ، وهي ان « للفقر الارادي » او « العصيان المدني » كما دعاه ثورو ، قيمة يجب الا نستهين بها ، فحياة المدينة .. وما فيها من هرولة وعصبية وهموم ، كل هذا نستطيع النجاة منه بان نجعل شعارنا : كيف نستغني، بدلا من كيف نقتني . ولا ريب ان الدلالة التي اكتشفها سلامة موسى نتيجة طبيعية للمدينة التي عاشها ... المدينة الراسمالية .

وسلامه موسى يقول ان الولايات المتحدة بعد مائة سنة من تجربة ثورو احوج الى عبرته مما كانت عليه في منتصف القرن التاسع عشر ، لان المباراة التي يعيشها الامريكيون هذه الايام ، اقتل للنفس وابعث للقلق

والخوف مما كانت في ايامه . والامريكي حين يقدم اليوم على تجربة ثورو هو رجل سعيد اذا قورن بالمهرولين العصبيين الذين يملأون مستشفيات الامراض العقلية .

ويقول ايضا « انه لمن الحسن ان ينبهنا كاتب باسرافه في الحب للطبيعة الى انه بجانب الشارع والنادي وسهرات الكحول وعد النقود وشراء الارض واقتناء الضياع والاسهم في الشركات ، بجانب كل هذا توجد ارض وسماء واشجار وزهور وانهار وجبال ، وان القمر يضيء في الليل ، فيكسو الحقول باشعته ، وان النجوم تنادينا في الظلام كي نتاملها ونتحدث اليها . واننا من وقت لاخر يجب ان نختلي ونستوحد كي نعيد النظر في حياتنا ونسأل : هل نحن نعيش مسوقين بضغط العادات الاجتماعية التي لم نفكر من قبل في قيمتها ؟ والا يجدر بنا ان نغير هذه العادات او ننقحها بالهام الطبيعة التي تردنا الى الاصول والجذور »

ولم يتأثر سلامه ذهنيا فقط بتجربة ثورو . فاننا نراه في ختام كتابه « تربية سلامه موسى »(١) يقول ان برنامجه في العشر السنوات القادمة بعد سن الستين هو الخلود الى القرية في سكينة وهدوء وتامل . ولكنه لم يستطع ان ينفذ هذا البرنامج ، وقال لي انه وجد في ذلك الهدوء معنى للموت ، وانه سيظل ملتحما بضجيج المدينة حتى نهاية العمر.

اما غاندي، فقد تاثر بتجربة ثورو لدرجة كبيرة ، فقد نقل عنه عبارة « العصيان المدني » في معركته مع الانجليز. ونفذ « الفقر الاختياري » بان صام اكثر من نصف عام على فترات كي يحمل الهندوكيين والمسلمين على الاخاء . وبذلك رفع السياسة الى مستوى القداسة .

والنسك او الرهبنة التي اكسبها غاندي معنى جديدا ، ايقظت في سلامه روحا اوروبية للتقشف ، وفي ذلك يقول : « واني لاكتنز كنوزا نفسية في حياتي لا ارضى بها بديلا . هي اني عشت وعاصرت تولستوي وبرناردشو وشفيتزر وغاندي. وجميعهم قديسون . وليست قداستهم من ذلك النوع القديم حين كان ينزوي الراهب في صومعته بعيدا عن المجتمع كي ينشد خلاص نفسه فقط. لان هذا الراهب في صميمه اناني يطلب الخلاص لنفسه فحسب. ولكن هؤلاء القديسين العصريين كانوا يتألمون ويصومون ويكافحون من اجل خلاص البشر . وقد استطاعوا ان يغيروا الاوزان والقيم البشرية ، وان يغرسوا في قلوبنا حبا جديدا ، وان يعلمونا اسلوبا فلسفيا للعيش »

والرهبنة الارادية التي فرضها هؤلاء العظماء على انفسهم لا تعتبر حرمانا من لذات معينة ، كما يفهم عن رهبان الديانات . لان عظماءنا لم يحسوا – وهم يحرمون انفسهم بالفعل – انهم حرموا شيئا .. وذلك في غمرة انشغالهم بالقيم الجديدة . فغاندي مثلا حرم على نفسه الاتصال الجنسي منذ كان في الرابعة والثلاثين ، ولم يفعل ذلك قهرا ، وانما كان الامر طبيعيا وسط اهتمامه بالاهداف الكبيرة .

وسلامه يرى في غاندي ماركسيا من حيث فهمه لطبيعة الاستعمار ، ومكافحته الانجليز على أساس الاكتفاء الذاتي بمقاطعة الانجليز . ولست ارى أية « ماركسية » في هذه الاشياء . فاي ساذج يعرف ان الاستعمار – في ابسط تعريف له – هو استغلال موارد الشعوب المغلوبة على امرها لمصلحة الدول الاستعمارية . واي ساذج ايضا يعرف ان الاكتفاء الذاتي – في ميدان الاقتصاد – يسهم في معارك الاستقلال بنصيب ملحوظ .

اما طبيعة الاستعمار – من زاوية الفهم الماركسي – فهي قمة النظام الرأسمالي من حيث كونه نظاما يكفل للقوى غلبة على الضعيف ... سواء كان هذا الضعيف طبقة في مجتمع ، او شعبا من الشعوب. ولا ريب ان هذا المعنى لم يخطر على غاندي ، والا كان في استطاعته ان يعيد النظر في طبيعة المجتمع الرأسمالي نفسه. وما كانت « المقاومة السلبية » اذن منهجا صحيحا ، تتمكن به الشعوب من سحق الاستعمار . وما انتصار الهند الا نتيجة موضوعية لظروف كثيرة .

واذا اردت ان افسر رأي سلامه موسى في غاندي « الماركسي » اقول ان سلامة نفسه في فترة من تاريخ مصر الوطني، صنع امتدادا لدعوة لطفي السيد السياسية « مصر للمصريين » فكون جمعية « المصري للمصري » التي دعت الى الاستقلال الاقتصادي (١) . ولكن التكوين الايديولوجي لسلامه والتكوين التاريخي لمصر كانا يختلفان تماما مع التكوين الايديولوجي لغاندي والتكوين التاريخي للهند . وهذا ما فات سلامه موسى حين وصف غاندي بالماركسية على اساس المشابهة والمقارنة ، لما قام به في الهند ، ولما حدث في مصر .

وعبرة ثورو هي ما يستخلصه سلامه من غاندي ايضا. فقد علمنا ان نعيش ليس بالاقتناء وانما بالاستغناء ، واننا نستطيع ان نحقق السعادة على الارض بالقليل من الحاجات دون البذخ الذي يضنينا بلوغه ، ثم نحس بالتعاسة اذا لم نحصل عليه .

★

والمجتمع الحائر القلق الذي عاشه ثورو ، هو نفس البيئة التي عاشها هافلوك اليس . ونحن لا نستطيع ان نقارن بين الطريق الذي سلكه ثورو وغاندي ، والطريق الذي سلكه اليس . فالخصومة الجديدة لم تقع بين الانسان والمدينة ، ولكنها بين الفرد والمعنى الاجتماعي للمدينة . وهذه

(١) طبعة ١٩٤٧ ص ٢٨٨ – نشر دار الكاتب المصري

(١) سلامه موسى : جيوبنا وجيوب الاجانب ✱ تقويم المصري للمصري

صدر جديثا

الخندق العميق

رواية

بقلم الدكتور سهيل ادريس

قصة اسرة تسجل صراع جيلين في لبنان

دار الآداب – بيروت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بؤرة التفكير الانفصالي عند اليس حين عاش مع زوجته كصديقين يتزاوران في بعض الاحيان ، لا كزوجين يعيشان تحت سقف واحد ، وفي ذلك يقول « نحن نرى في الزواج حياة شاملة تحتوي جميع التفاصيل الاخرى في حين كان هذان الزوجان يريان فيه انه بعض الحياة فقط ، وانه يجب ان يترك الزوج حرا لا يتدخل الزواج في تفاصيل حياته ، لان الزوج انسان اولا له طموحه وآماله وحرفته وهوايته وملذاته . وهو يحب ان يجد الحرية في خلوه وفي استقلال لا يفسدهما عليه الزوج الاخر » (١) ولاشك ان هذا المفهوم « الذاتي » للزواج يتعاون مع المثالية في تفسيرها للنشاط البشري. لان المفهوم العلمي للزواج يتيح للفرد فرصة « انسانية » للمشاركة والحب والفهم ، لا تتحقق الا في جو سيكلوجي نفى « بعيدا عن الاستغلال العبودي الموروث » من قبل التقاليد الاقطاعية والراسمالية القائمة على السيادة الاقتصادية .

ويفسر سلامه موسى الشهرة التي لاحقت اليس بانه كان جريئا في علاجه شئون الجنس حين عرضها من زاوية الصحة لا من زاوية المرض. وهذا هو الفرق الحاسم بينه وبين فرويد . ويبدو هذا التفسير قاصرا اذا المنا بالمنهج الفرويدي في تشريح النفس البشرية . فالطفولة هي نقطة الانطلاق عند فرويد ، قبل أن تكون الظروف « مركب اوديب » للفرد. ومن ثم لا يكون فرويد قد عالج النفس من زاوية المرض او الصحة ، وانما باشر بحوثه على اساس الطفل « كخامة » لم تتعقد بعد بملابساتها المحيطة بها . بينما استطاع اليس ان يكتشف الجوانب السالبة والايجابية في المريض والصحيح على السواء. ويتساوى فرويد واليس اذن في جهلهما بالارض الاجتماعية للبشر وتفاعلها المستمر مع الانسان .

ويقول سلامه ان اليس حين يدعو الى الانفصالية في الزواج ، فهو ليس انطوائيا ، ولكنه يريد ان يلهب « احساسنا الاجتماعي » بالحياة . وعبارة الاحساس الاجتماعي تعنى الاهتمامات المتعددة بالفلسفة والفن والاختراع والاكتشاف ، لان هذه الاهتمامات في حاجة الى رصد القوى كلها في خلوة واستقلال . « وقد كان هافلوك اليس من هذه الناحية انسانا جديدا ، ولكنا لا نستطيع ان نبت برأي فيهذه الجدة هل هي للسعادة والخير ام للتعاسة والشر » والحق ان هذا القلق الذي استشعره سلامه موسى في حديثه عن اليس ، ينجم عن ان هذا المفكر الباحث كان تعبيرا صادقا وتجسيدا لروح الفردية التفشية في مجتمعه. وتعبير « الاحساس الاجتماعي » الذي جاء به هو احساس بالنقص الاجتماعي. والصراحة الواقعية التي صبغت احاديث سلامه في شئون الجنس هي ما افاده من بحوث اليس .

داعية الشخصية

والرجل الذي يجب ان تتعرف عليه نساؤنا هذه الايام هو هنريك ابسن . فالمراة الشرقية في القرن العشرين ، هي نسخة قريبة الشبه من المراة الاوروبية في القرن الماضي.

لم تكن المراة في اوروبا ذلك الحين، تلبس الحجاب. ولم تكن سجينة البيت طول النهار . وانما كانت تخرج الى الحفلات والمنتديات ، وتغشى مع زوجها اماكن الفكاهة واللهو . وكانت – وهذا هو المهم – تؤمن في قرارة نفسها انها وصلت الى اقصى درجات الحرية .

وجاء هنريك ابسن ليوقظها من هذا الحلم . قال لها : انت واهمة ، ان ما تظنينه حرية ابعد ما يكون عن المعنى الاصيل لهذه الكلمة . وانزعجت المراة الاوروبية وهي تقرأ « بيت الدمية » . وبدات تراجع نفسها وتفكيرها . وفهمت ان الحرية ليست هي احدث مودة في عالم الازياء ، وليست هي ارتياد الحفلات .. ولكنها الالتحام بالمجتمع ، والالتصاق بمشكلاته ، والتفكير في همومه ، والعمل على ارتقائه . ودخلت المراة الاوروبية المصنع والمستشفى والمعمل والورشة ، ولم تصبح هذه الدمية الجميلة التي وصفها ابسن .

ولم يقتصر الكاتب النرويجي في عمله الكبير على هذا المعنى . لقد اسهم في نقل الدراما من الاطار الرومانسي الى البناء الواقعي .. من التحليق في ضباب الاحلام الى ارض البشر .

وقد حاول سلامه الاهتداء الى المعنى العلمي لحرية المراة . وعثر في الناحية الاقتصادية على العامل الحاسم في هذه المشكلة(١) لان المساواة الاقتصادية بين الزوجين هي النبع الحقيقي للمساواة النفسية بينهما .

والفضيلة الثانية لابسن هو انه اكتشف « الحجاب » الحقيقي . ونجح سلامه موسى في تطبيق هذه النظرية على الرجل . وقال في ذلك ان الفرق بينه وبين المراة هو اختلاف درجي فقط . لان الرجل – داخل جدران المجتمعات المختلفة – يعيش ايامه خلف حجاب ذهني ونفسي. فالانسان الذي يحيا في اسر التقاليد وكانها من طبيعة الاشياء لا تتغير وفي غير حاجة الى التغيير هو انسان « محجب » . واذا كانت المراة قد تخلصت من كونها « لعبة البيت » فان على الرجل والمراة معا ، ان يتخلصا من كونهما لعبة الاقدار او لعبة المجتمع (٢).

والتلميذ المخلص لابسن هوبرناردشو. وشو هو الرفيق المخلص لسلامه موسى ، منذ التقيا في لندن ، ولم يكن الاديب المصري قد تجاوز العشرين عاما . وحين يبدأ سلامه حديثه عن شو يقول « يجب ان ابدأ بكتابه الاكبر وهو حياته » وقد فصل هذه الحياة في كتاب مستقل عن برناردشو (عام ١٩٥٧) وكان قد وعد قراءه بهذا الكتاب منذ ثلاثين عاما (٣) والخط الرئيسي الذي ينتظم صداقة سلامه لشو هو انه – اي شو – اتخذ اسلوبا في العيش يتفق وتعبيره « وانما يكون الانسان فاضلا اذا اعطى مجتمعه اكثر مما اخذ منه » .

وشو نقطة تحول هامة في المسرح الانجليزي ، فقد حوله من مسرح « ابطال » الى مسرح « افكار » ناقش بواسطته كثيرا من القيم العالقة بالاذهان على انها حقائق لا تقبل الجدل . فهو ينبذ الغيبيات ، ويناقش

– التتمة على الصفحة ٥٩ –

(١) هؤلاء علموني ص ١٢٧

(١) راجع « المراة ليست لعبة الرجل » تأليف سلامه موسى

(٢) انظر « الشخصية الناجعة » لسلامهموسى

(٣) انظر « التجديد في الادب الانجليزي الحديث » لسلامه موسى

الشعر العربي في المهجر الامريكي

دراسة فنية

بقلم
وديع ديب

السعر ٣٠٠ غرش لبناني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العربجي!

تهدم الا بقايا شباب موزعة في بقايا اهاب
تنضرها الذكريات العذاب وتلفحها عاديات العذاب
يمر به الفلس مر الكرام ويغمزه من وراء السحاب
قضى العمر يسعى وراء الكفاف له الله من حالم بالسراب!
يهب الى الكدح قبل الهزار ويأوي الى البيت بعد الغراب
تسلح في عيشه بالرجاء فما احتاج يوما لظفر وناب
لقد لقنته الحياة فصولا فكان القناعة فصل الخطاب
ترامت الي فلخصتها سطورا تضم معاني الكتاب :
بني دع الناس في غيهم لقد شردوا عن طريق الصواب
تعاليت عنهم فلا يطمعوا بخبزي ، ولا يحلموا بشرابي
فتحت فؤادي وبابي لهم فلم يعبأوا بفؤادي وبابي
زرعت الكواكب في افقهم فظلت عيونهم في التراب
يحومون حول الحطام الرخيص ذبابا يطنطن خلف ذباب
ولا خير في المال ان لم يكن لتخفيف دمع وغوث مصاب
لئن قلم العلم اظفارهم فما برحوا في طباع الذئاب
يسوط القوي جبين الضعيف ويأكل خبز اليتيم المرابي
جذور حضارتهم في الجحيم وان سبحوا في مراقي العقاب
فلا تأخذنك اوهامهم ولا تنخدع بالحلى والثياب
هي النفس مصدر كل نعيم كما هي مصدر كل عذاب
اذا المرء لم تروه نهلة يموت على ظمأ في العباب

***

تقلص ظلك ياعربجي ومالت بك الشمس نحو الغياب
تحداك « فرد » بشيطانه فسد السهول وغطى الروابي
واغرى النفوس فاعرضن عنك كأنك تحمل سوط العقاب
سقى الله عهدا ـ طوته الليالي ـ ندى الحواشي وضيء الرحاب
زمان تخطر في الطرقات قرير الفؤاد عزيز الجناب
على شفتيك هزيج الحياة وفي ناظريك بريق الشباب
تحوم عليك عيون الشيوخ وتحبو اليك قلوب الشباب
ويعدو وراءك سرب الصغار يحثهم وطر في الركاب
كأنك كف الربيع السخي ترش الرجاء بغير حساب

***

عزاءك ياصاحبي في البلاء فقد يسكن البحر بعد اضطراب
اذا ضاع فضلك عند العباد فما ضاع اجرك يوم الحساب

الارجنتين **زكي قنصل**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنهر ميت ..

قصة بقلم زكريا تامر

انتحبت امي طويلا ، فالذباب اكل عيني صبية نضــرة كسنبلة خضراء ، وقال لي ابي بصوت فظ :

ــ طارق .. كف عن الابتسام .

والتفت الى انثى بؤسها سرق دموعها ، وقال :

ــ الن تبوحي باسم عشيقـك ؟

وفي اليوم التالي مد الموت أذرعه الباردة ، واحتضن بشهوة جسد صبية نضرة كسنبلة خضراء ، وهمس ابي بلهجة حزينـة :

ــ طارق .. كف عن الابتسام .. انت في مقبرة .

وحينما عدت من المقبرة ، وقفت في غرفتي ، وتطلعت في مرآة صغيرة مثبتة على الحائط بوضع مائل ، وتساءلت بصـوت هازىء :

ــ هل هــذا وجهي ؟

فوجهي الوديع الذي تلتصق عليه ابتسامة دائمـة .. يثير غضب ابي ، فيصرخ بحنق : ليتك لم تولد .

فاقهقه مغتبطا .. وقهقه ابي مثلي عندما اخبره بعض اصحابي بانه قبض علي ليلا مع مومس في بستان .. وقال :

ــ انا سعيد جدا .. ولدي طارق لم يعد طفلا .. انه الان رجل .. اتمنى ان يصبح كالنهر .

النهر .. انه صديقي الذي احبه وارهبه في آن واحد .. فهديره متحد بانفاسي .. انه يسلبني طمأنينتي فتبدو لي المدينة بمخلوقاتها .. كتلة كبيرة متموجة باللحم والحجر .. اطل عليها من اعلى بشبق شبيه بالنهر الذي يكره التجمد في شكـل معـين .

واستندت بمرفقي على السور الحجـري ، وثبت نظراتي على مياه النهر المتدفقة تحت ضياء نهار ناعـم .. وقلت لنفسـي :

ــ ليتني نهر .. ليتني بلا اب .. بلا مدينة .. بلا اسم .

اسمي طارق .. ولدت في ليلة مخنوقة بصيف حار .. مدينتي عتيقة جدا كنهرها الذي يخترقها من اولهـــا الـى اخـرهـــا .

وفي يوم ما قديم احرق رجل اسمه طارق السفن التي حملت جيوشه الى شاطىء ارض غريبة ، ثم خاطب رجاله قائلا بصوت مشدود الى طمأنينة مفزعة :

ــ البحر وراءكم .. والعدو امامكم .

ولا بد أن احد الجنود قد سمر آنذاك عينيه الهلعتـين على سحب الدخان المتصاعدة من الحريق ، ثم ترك رأسه يتهدل على صدره فبدا كمشنوق بلا حبل .

وفي يوم من الأيام عشقت فتاة عيناها واسعتان زرقتهما صافية اجمل من اروع سماء ، ولم احاول في اية مرة ان ابوح لها بحبي الذي يعذبني ويشقيني انما اكتفيت بمراقبتها بوله حيثما كانت .. حتى اقبل ليل تعرى في ظلمتــه مخلوقان من اغلالهما الخفية ، وتلألأت اشواقي السجينة.

واشتريت في احدى الاماسي ديوان شـعر بنقـود لا املك سواها .. قرات قصائده الحزينة بحزن :

ماذا يشتهي الإنســـان

ان ملك الذي قد يشتهيه

ماذا ؟ .. ســوى القمـر

الذي قــد يشتهيه

وضحكت ببلادة اذ ان قمري مات جائعا في ليال ثلجها تساقط بغزارة .

وقلت لصديق ينظم قصائد كثيرة يأبى نشرها :

ــ انا احب نجمة لا اشتهي نوالها .

قال : انت مجنون .. النهر مازال حيا .. لــن تجف مياهـــه .

قلت : انا احب نجمة ميتة .

قال : انت مجنــون .

قلت : انا رماد .. سندباد جثة مشنوقة فـي فـراغ المـــدن .

فقهقه بخشونة وقال : انا عنكبوت .

فقلت بأسى : انا غبار .

وانهمر الغبار بكثرة ، وتحجر في شكل حيوان جائـع منذ قرون .. اطلق عواءه في اللحظة التي دخلت فيهـــا جميلة بنت جيراننا الى منزلنا لزيارة امي المريضة التـي لاتفارق سريرها منذ موت صبية نضرة كسنبلة خضراء .

وتمطى الحيوان الجائع بفرح عندما خرجت جميلة من غرفة امي لتملأ كوبا من الماء طلبته امي ، فسارعت الـى تطويق خصرها بساعدي ، وتمسك فمي بشفتها الطريـة فاخذت تغمغم في الفترات التي كنت اسمح لشفتيهـــا ببعض الحريـة :

ــ اتحبني اتحبني اتحبني ؟

قلت : انا احب نجمة زرقــاء .

قالت : لاتمزح .. النجـوم بعيـدة جـدا .. اتحبني اتحبنـي ؟

واغرورقت عينا صديق كنت اجلس في غرفته المضاءة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنور اصفر خفيف .. انصت لعزفه الاسود على الكمان .. وقـال :

ـ انا وحيد رغم حب زوجتي واطفالي واصدقائي وكل المسرات .. النهر يغني رغم كآبتي .. كآبة انسان جريح بعزلته الابديـة .

فقلت بصوت اجوف :

ـ لا زوجة لي .. لا اطفال .. لا اصدقاء .. لا مسرات .. الارض مقبرة كبيرة .. النهر قد يكون تعسا مثلي .

وتطلعت برعب الى صرصار اسود يدب على البلاطات البيضاء ، وصرخ صديقي .

ـ لاتقتله .. ربما كان انسانا وحيدا ..

وارتعد جسدي حينما سمعت صوت انسحاق الصرصار تحت حذائي .. اوه... كنت الها قاسيا كذباب مدينتي الذي اكل عينين زرقاوين .. نبعي حنان تمتلكهما صبية نضرة كسنبلة خضراء . وفي شارع مقفر .. استولى علي خجل ممتزج بخوف عندما بصق في وجهي مخلـوق لا اعرفه ـ ربما كان ابله ـ وقال :

ـ اقتلني ان شئت .. الم تغضب ؟

قلت : أتحب الموت الى هذه الدرجة ؟

قال : الموت شهي كأمراة ناضجة .

قلت : انتحر اذن .

قال : انا لا املك ثمن خنجر يميتني .. ليتني املـك ثمن خنجـر .

فأعطيته نقودا تكفي لتحقيق امنيته ، ثم سألته بينمـا انا افكر بصبية نضرة كسنبلة خضراء .. انتحرت خلسة ذات ليلـة :

ـ هل ستنتحر الان ؟

فضحك بمرح وقال : سأشتري الان خبزا ولحما وقنينة نبيذ .. الحياة جميلة .

فتركته ووقفت في زاوية الشارع ، واخذت اساوم امراة ازمعت شراء جسدها لمدة ساعة واحدة فقط .

قالت : ثمني عشر ليرات .. ستدفعها سلفا .

قلت : هذا ثمن باهظ .. انا فقير .

قالت : انا فقيرة مثلك .

قلت : لن ادفع سوى خمس ليرات .

قالت : عمري عشرون سنة فقط .. جسدي اجمـل بكثير من وجهي .

قلت : انا فقير .. عيناك ليستا زرقاوين .. لن ادفـع سوى خمس ليـرات .

قالت وهي تبتسم بخبث :

ـ ماذا ستفعل ان رفضت الذهاب معك .

فقلت : سأرجع الى غرفتي ، سأوصد بابها .. واتأمل صورة امراة جميلة عارية .

وهطلت الامطار فوقي ، فبكيت بذل ، وقلت بصـوت مرتفـع :

ـ اذار نيسان مايس .. الثلاثاء الاربعاء الخميس .. متى يتوقف هذا الركض المجنون ؟.. سأدفن يوما فـي حفرة ، ويظل النهر حيا .. ليتني نهـر .

واحزنتني للغاية رغبة حارة في البكاء شاهدتها متلألئة في عيني فتاة وجهها وديع كوجه اختي التي اكل ذبـاب المدينة عينيها الزرقاوين اللتين هما أروع من أجمل سماء . اختي اختي يانجمتي المسكينة .. لاأحد سيبكي لاجلي .

وعدت الى غرفتي ، وتمددت على فراشي ، وطفقت احملق بذهول في بياض السقف الباهت .. الجفـاف موسيقاه الخشنة تقتحم كل المخابىء السرية .. واصوات النهر التي ترافقني على الدوام تضمحل بغتة .. هل مـات النهر ؟.. اختي الصبية كسنبلة خضراء ... لماذا ماتت.. كانت تحبني .. هل كانت تحبني ؟.. لماذا ماتت .. لماذا؟. طارق لاتحرق سفنك .. لاتحرقها .. حقدي يتسلـق صخور جبال موحشة .. الجراد يطفىء افراح الحقول.. النهر ميت .. تمزق القناع .. هذا وجهي .. انا ذبـاب المدينة .. النهر ذو الشفاه القاتمة التي غمر لهيبها الشرس صبية نائمة جسدها اوقظ شمسا مجنونة ركضت فـي شوارع الدم المرتعـد . القمر المتسمر خلف زجاج النافذة .... شاهد وحده جسـدي ينزلـق فـي الجسـد الاخر .. همست الصبية بذعر : لا ... ضحكت بارتبـاك ضحكت بنشوة . قبلتني بخجل لم يعش سوى لحظات . انها تحبني . بكت بمرارة . انها تكرهني . هل قبلتني ؟. ماتت لانها تكرهني.. لماذا ماتت ؟ .. اوه .. السفن ... انها تحترق .. انا خائف .. سمرت عيني الهلعتين على سحب الدخان المتصاعدة من الحريق ، ثم تركت رأسـي يتهدل على صدري بذل وانكسار .. ليس لك ابة مدينة ياطارق .. احترقت السفن ..

دمشق — زكريا تامر

« من جمعية الادباء العرب »

« مجموعات » الآداب

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الست الاولى من الآداب تباع كما يلي

		مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٩٥ل.ل	١٠٠ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «
« « السادسة	٢٥ «	٣٠ «

رسالة الى مناضل ...

بقلم عثمان سعدي


موسى سعدي

تلقيت اليوم كتابا من شقيقك حمل لي خبر وفاتك . ومن قبله باشهر تلقيت كتابا منك تخبرني فيه بوقوع شقيقي اسيرا بين ايدي الفرنسيين، وانت تعرف معنى « اسير بين ايدي الفرنسيين » انه : « سلسلة من الموتات تحت سياط الجلاد الفرنسي» .

واخرجت صورتك من محفظتي ووضعتها امامي بهدوء ، وانا احاذر ان تفسد الحركة علي خلوتي مع روحك التي تحسست حاجة نفسي ، اليها اثر اطلاعي على نبأ وفاتك ، وليس احب للانسان ، من لحظة هادئة يقتطعها من سير الزمن الصاخب ، ليخلو فيها الى نفسه يستخرج منها مكنوناتها بعد ان يشحذها بقداح « الحزن » ، ليس احب للانسان من لحظة يختلسها من انسياب الحياة الالي ليعتصر منها هذا الذي يسمونه « الحزن » ويستخرج منه خلاصة الجانب المشرق في شخصية الانسان : نبل الاحساس ، وصفاء التعاطف ، وسمو صلة الرحم .

واستعرضت حياتك فوجدتها مليئة بعناصر تنحت في مجموعها تمثالا جديرا بعنوان « البطولة » . اتذكر تلك السنة التي ودع فيها والدي الحياة ، وخلف وراءه اطفالا صغارا ، لا حامي يحميهم من صروف الدهر القاسية سوى جناحي ارملة ، وجناحا الانثى ضعيفان لايقويان على دفع برد طبيعة بلادنا القاسية ، عن فراخ صغار لم يعل الريش بعد اجنحتهم الصغيرة . اتذكر كيف تقدمت انت وتحملت مسؤولية رعاية شؤون اطفال صغار ، بينما تخلى عنهم من هو اقرب اليهم منك . كنت تدير زراعة حقولهم الضيقة النحيلة ، وتجمع محصولها البسيط وتحافظ على مواشيهم القليلة . كنت ساهر العين لئلا يضطر ابناء « صديقك وابن عمك » الى مد يدهم للغير .

اتذكر كيف دفعك حب الفلاح الطبيعي للعلم الى ارجاعي الى المدرسة على مسؤوليتك بعد ان اضطرتني ظروف قاسية الى مقاطعتها ، وكيف انهيت المرحلة الثانوية والجامعية بفضلك . لن انسى ابدا تلك السنة التي شحت فيها ارضنا عن العطاء ، وما اكثر السنوات التي تشح فيها ارض الجزائريين عليهم ، وكيف بعت فرسك ، والفرس عندنا عزيز لانه لايتخذ للتسلية والترفيه ، وانما لتخطيط تربة حقول صعبة ، واستخراج مايسد رمق الجياع .. نعم لن انسى كيف بعت هذا الفرس ، وتقدمت الي ووجهك تعلوه سحابة من جدك ، وعلى انفك ظلال من انفتك ، وعيناك : عينا فلاح جزائرنا الحبيبة تتدفق منهما اشعة من نبل وكرم ، واباء ، قلت : « لااريد ان تنقطع هذه السنة عن دراستك ، ولن تتوقف في الطريق مادام لي عرق واحد ينبض . »

لن انسى يوم ان رجعت من اجتماع « جماعة التراب » ناقما على الظلم ، لقد تقدمت بمشروع انصاف المراة في بوادينا ، واعطائها حقها في الميراث ، بعد ان اغتصبه منها نظام العشائرية البغيضة ، لقد رجعت من عندهم هائجا ترغي وتزبد ، ولا زلت اذكر عبارتك في ذلك اليوم ، تلك العبارة الخالدة لانها من نوع يتحدى الفناء . قلت : « لقد اكل الرجل الظالم حق المراة ، لانها قاصرة » و « قاصرة » تعني في لغتنا صفة ينعت بها كل من لايقوى على المطالبة بحقه لانه يجهل هذا الحق . نعم ان العطف على الضعفاء ، والدفاع عن قضيتهم ، سليقة عند ذوي القلوب الكبيرة ، وسجية عند اصحاب النفوس النقية ، وارهاص عند من كانت طبيعته خالية من التعقيد كطبيعتك .

كنت قبل غرة نوفمبر تدافع عن قضية المطلوبين كافراد ، وتشن معارك على الظلم ، والجشع اللذين تفشيا في مجتمع قريتنا الصغير ، فصرت فيما بعد تدافع عن قضية الملايين المظلومة وتشن حربك الشعواء على الخيانة والسلبية في كل الجزائر . كان الجوعان في قريتنا ـ قبل الثورة ـ يهرع اليك في لياليه الاشد سوادا ، فتتقاسم معه لقمة العيش والعريان يطرق بابك في امسياته الباردة فتنتزع « برنوسك » من رقبتك وتمده له في شفقة وتاثر ، والضعيف يستنجد بك من جشع المبتزين او من ظلم المعتدين ، فتنجده وتجلب عداوة الاقوياء من اجله . ولم يكن لك مال زائد عن الحاجة لان امثالك يستحيل عليهم كنز المال ، ولم تكن لك سلطة تعتمد عليها لان السلطات في بلادنا مع القوي وعلى الضعيف مع اصحاب البطون المنتفخة وضد الجياع والعراة . كان سلاحك الوحيد شجاعة في القلب ، وجراة في الطباع ، وحدة في الارادة ، واستماتة في سبيل ماامنت بانه حق . يتوج كل هذا ايمان بالله صادق ، وذكاء في العقل وقاد .

وقامت الثورة : ثورة شعبنا العظيم ، ثورة جبالنا العالية ، وغاباتنا الكثيفة ، وصخورنا الجبارة ، وحملت لي الانباء انضمامك الى صفوفها في ايامها الاولى ، التي لايعرف قساوتها سوى الرعيل الاول من ثورتنا . ولم اتعجب لان « موسى اليوم » هو نفسه « موسى الامس » ، لم يتغير فيه سوى الطابع الذي اسبغته ثورتنا على حركاته ، والفعالية التي منحتها لاعماله ، والتحديد الذي حصرت فيه اهدافه ، والمستوى الشعبي الواسع الذي رفعت اليه تفكيره .

وعرفك قادة الثورة منذ اللحظة الاولى لانضمامك ، فناطوا بعنقك مسؤولية الاتصال بالشعب ، واقناعه بمبادىء الثورة ، وهي مسؤولية شاقة لان الفلاحين ـ مصدر قوة الثورة ، وراسمالها ـ نجح الاستعمار في تجميدهم وعزلهم عن حقل النضال منذ عشرات السنين ، وبقيت قواهم مجهولة لدى الزعماء السياسيين ، فلم يعيروهم اهمية تذكر ، فاقناعهم ليس بالمهمة السهلة ، وتربيتهم الثورية ليست بالامر الهين ، ولهذا كانت مهمة المرشد السياسي لايقوى على تأديتها سوى من امتزجت عنده

الشجاعة بالحكمة ، وأوتي هذه القوة الذاتية في الحصول على ثقة الجماهير ، وتحملت انت هذه المسؤولية ورحت تعمل في صمت وسرية فتجمع التبرعات ، وتسهل عملية تهريب الاسلحة ، وتمرير الدوريات .

ولم يطمئن الفرنسيون اليك .. وكيف يطمئنون وهم يعرفون عنك الكثير !! الم يكن معدنك جامعا لكل العناصر الصالحة لغرس نبت الثورة ؟ ألم تحمل شخصيتك منذ زمن طويل تباشير ثورتنا ؟ولم ييأس الفرنسيون في القبض عليك « متلبسا بالجريمة ... » وحاصروا منزلك وهاجموه فعثروا بزاوية من زوايا غرفة على حربة نسيها جندي من دورية تابعة لجيشنا ، كانت قبل لحظة وجيزة تتناول على مائدتك غداءها ... واقتادوك الى السجن ، واستطعت ان تنتصر بفضل ذكائك وحسن تخلصك ورباطة جاشك ، فاطلقوا سراحك بعد ساعات .

وتأكد المستعمرون انك عنصر خطير في الثورة ، وعندما يئسوا من القبض عليك « متلبسا بالجرم ... » قرروا القبض عليك ، وهاجموا منزلك ؟ الا ان الشعب الذي احبك وتربى ثوريا على يد امثالك لم يهن عليه ان تقع بين ايدي اعداء الثورة لانك من النوع الذي يصعب تعويضه فتسلل فلاح من فلاحينا الذين حوت نفوسهم العربية انبل مشاعر عرفتها البشرية ، تسلل تحت جناح الظلام مجتازا اهوالا اية اهوال ليخبرك بقدوم الفرقة الفرنسية ، وليقول لك في بساطته الواعية: « اهرب ياسي موسى لان في فقدانك خسارة للثورة » وخرجت من منزلك ممتطيا فرسك : رفيق العمر ، تحت طلقات البنادق التي احالت الليل نهارا ونجا فرسك المخلص الامين ، وسلمك الى امك الحنون : ام كل ثائر ، الى غاباتنا ... ثم سقط صريع رصاصة فرنسية يتلوى من الم لا يدري مصدره أهو فراقك الابدي؟ام دقات الردى القوية على ضلوعه؟!

واختفيت في الغابة ، ورجع المستعمرون يجرون اذيال الخيبة ، دون ان يجرؤوا على دفع اقدامهم نحو الجبال لانهم يخشون جبروتها ، ومنذ ذلك الوقت صرت لاتتصل بالشعب ، بجماهير الفلاحين الا تحت جناح الظلام ... كنت تستظل بسقف فصار سقفك سماء الجزائر الصافية الا من غيوم تدر خيرا ، كنت اذا اعيى الاجهاد جسمك النحيل تسند ظهرك الى جدار ، فصرت اذا اعياك السير تستند الى ساق شجرة من صنوبرنا العملاق . كنت لاتشاهد في محيط القرية الا مايذكرك بالظلم : اطفالا جياعا اضناهم الجوع فناموا مستسلمين بعد ان نضبت الدموع من اجفانهم ، شيخ عجوز يرى ابنه الوحيد ينخر السل عظامه وهو عاجز عن دفع الاذى عنه ، حقول طفت فيها الصخور والحصى على التراب والسماد ، وزحفت الرمال عليها فصارت تجود في كل عشر سنوات مرة.

كنت حيثما التفت شاهدت الظلم فخرجت الى الجبال باحثا عن معبودك الحق ، بل مغتصبا له من بين يدي اعدائه ، كذلك الفيلسوف الذي ضاق بالمجالات الضيقة ، ويئس من العثور على الحقيقة ، بين صفحات كتبه المتآكلة ، فطواها وسلمها لفوهات صناديق سوداء احكم اغلاقها ، ثم ذهب فسكن سهولا حيث تمتد الافاق الى اللانهاية ، وتمتزج الحقيقة بكل منظر منمناظرها ذات الاطراف المترامية ، وبكل مجموعة من جماهيرها ذات الامزجة المختلفة .

ومرت الاشهر تطارد الاشهر ، ووجد فيك رفاقك ماكانوا سمعوه عنك : عطفا على الاهالي متطرفا ، وشفقة على الشعب صادقة .واصطدمت ببعض شبابنا المتحمس للجيش ، هم ينظرون الى الشعب من خلال الجيش ، وانت تنظر للجيش من خلال الشعب ، هم يدفعهم احيانا اندفاع الشباب فيفرضون على الشعب واجبات ثقيلة ، وانت تتصدى لهم ، وترفع صوتك ذا النبرات الحادة فيوجوههم ، مطالبا بعدم الاسراف في تصريف قوى الشعب ، وانتصرت ونزل شبابنا على رأيك . وزاد تعلق الشعب بك ، لان الشعوب هكذا .. تمنح حبها الخالد الى كل من دافع عن قضاياها باخلاص، وتعطف على كل من عطف عليها . الافراد تدفع مقابل كل حسنة حسنة مثلها ، اما الشعوب فقوتها من قوة الله ولهذا تقابل الحسنة بعشرات امثالها .

لكن هذه الجبال التي وقتك من كيد الفرنسيين ، هذه الجبال التي صنعت من صنوبرها وبلوطها ، وعرعارها وصخورها ، ووديانها واخاديدها دروعا متينة لابطال جيشنا ، هذه الجبال هي التي نفذ بردها الى عظامك ، تمكن داؤها من مفاصلك اثناء عواصف ثلجية ، وموجات من الصقيع ، افقدتها وعيها ، وقد تخنق الام الحنون انفاس رضيعها في نزوة من نزواتها اللاواعية ، او سنة من نومها العميق ، ثم تظل الدهر كله تبكيه بدموع يتفتت لمرآها الجماد الاصم .

ونصحك الطبيب بالمثول الى الراحة فتحديت نصيحته لان مثلك لاتشفيه الراحة وانما تجمده ، والتجميد وقعه قاس على من تكمن في اعماقه نفس ثائرة .. وانطلقت الى الجبال تذيب على صخورها ماتبقى من جسمك ، وارسلت الي صورتك فذهلت لمرآى وجهك الشاحب الذي تنطق كل سمة من سماته باقتراب نهايتك ، حملت القلم وكتبت لك كتابا انصحك فيه بالراحة ، وبعد ان وضعته في ظرفه ، وكتبت عليه عنوانك ، حانت مني التفاتة الى عينيك فوجدت في بريقهما تعبيرا ماعهدته فيهما من قبل ، وتمعنت في هذا التعبير فوجدته كله سخرية من كتابي ونصيحتي ، وتصبب العرق من جبيني ، وثار شعر رأسي ، واقشعر بدني ، لان حدسي اكتشف في هذا التعبير سرا لايملكه سوى الشهداء ، فمزقت كتابي وحطمت قلمي ...

كنت تشبه الفتيلة التي نفد وقودها ، الا انها استمرت في الاشعاع حتى احترقت ، وانطفأ شعاعها في رمادها .. الا ان الفرق بينك وبينها ، هو انك لم تنطفىء ...

ثم أحسست بالالم يعود الى عظامك حادا في هذه المرة ، فانحدرت الى السهول للاستشفاء ، وودعك المجاهدون وهم يأملون عوتك ، لانك عودتهم الانتصار على كل شيء ... الا انت فانك ادركت انك لن تعود سوى ذكرى تشرق على الملايين بالحب والنبل والسلام : السلام العربي..

كنت وددت لو دفنوا جثمانك تحت شجرة صنوبر استظل مجاهد باغصانها ، او فوق قمة من تلك القمم التي كثيرا ما ارسلت بحممها على اعداء الحق ، ووقت بصخورها صدور انصار الحرية . الا انك ابيت الا ان تتحدى حتى في نهايتك ، وكان تحديك في هذه المرة عميقا عمق اخلاصك ، وساميا سمو جهادك ، يهفو اليه كل قلب ينبض بالعروبة الصادقة ، وتحنو عليه كل نفس تشرق بالخير لامة العرب ... وخط قبرك في قرية تونسية ، وودع جثمانك الى مرقده الاخير خليط من عرب تونس والجزائر ، الا يعتبر هذا تحديا للحدود ... الحدود التي لازالت تشوه جمال وطننا الكبير ؟.. نعم انه انبل تحد ان تجاهد في جبال الجزائر ، ويخط قبرك في سهول تونس ...

اما انا فعندما اعود سوف اضع على قبرك باقة من زهور برية ،اجمعها من سفوح جبال لبنان ، ومن اطراف الغوطة ، ومن قمم هضاب الموصل ومن اعماق وادي العرب ، ومن حفافي النيل ، ومن بين صخور الجبل الاخضر ، ومن وديان الاطلس ، اخلاصا لذكراك وتقديرا لجهادك ...

الكويت

عثمان سعدي

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com



الشعر والشعراء في السودان

بقلم احمد ابو سعد

دار المعارف ـ لبنان ١٨٩ صفحة

مختارات من الشعر السوداني المعاصر جمعها صاحب « قصائد دافئة » وصدرها بدراسة حول نشاة الشعر العربي وتطوره في السودان كما ضم اليها تراجم نقدية موجزة لابرز شعراء السودان المعاصرين .

الدراسة رغم ايجازها تلم بجميع نواحي الموضوع وترينا تطور الشعر في السودان كانه نسخة عن تطوره في مراكز النهضة الادبية الحديثة ، الا ما كان من اختلاف يعود الى تاثير الزمن والبيئة .

يحرص الكاتب على انتهاج الاسلوب العلمي الذي يجتنب المسايرة والانحياز ، فنراه مع حرصه على بث الروح القومية من خلال الدراسة التي قام بها لايغفل عن مهاجمة الرجعيين الذين يريدون حبس الناس في الثقافة العربية دون غيرها والوقوف في وجه الاستفادة من تجارب الشعراء المحدثين في العالم « ص ١١ » واذا تحدث عن الحركة الرومنطيقية التي سادت بين ١٩٢٨ و ١٩٤٨ ينوه بفضل هذه الحركة ويبسط العوامل التي ادت الى انحلالها . ثم يحاول ان يعلل الاسراف الرومنطيقي عند بعض شعراء السودان بتمكن الروح الصوفية في هذا القطر وشدة الضغط من جانب البيئة المحافظة .

وفي كلامه على الاتجاه الواقعي الاخير لا يهمل الاشارة الى عيوب هذا الاتجاه بعد التوسع في وصف محاسنه ومميزاته . لكنه يجد لهذه العيوب عذرا بقوله ان المذهب لايزال في بدء الطريق .

اما المختارات التي تؤلف معظم الكتاب فيظهر فيها حسن التبويب والتنويع . وكنت اود ان ارى لها فهرسا مفصلا في اخر الكتاب .

وننتهي من مراجعة الكتاب وفي اعتقادنا ان بلادا تبلغ مساحتها مليونين ونصفا من الكيلو مترات وسكانها اكثر من ثمانية ملايين ، لا بد ان تكون مهياة للقيام بدور خطير في هذا الجزء من العالم ، سواء في الحقل الادبي ام في غيره .

روز غريب

ملاحظة : صدر مؤخرا لصاحب الكتاب حلقة ثانية من تاريخ الشعر العربي المعاصر ، موضوعها « الشعر العربي في العراق » دراسة ومختارات في ٣٤٥ صفحة من القطع الكبير . ولنا كلمة اخرى في هذه الحلقة .

خمر الشباب

بقلم صباح محيي الدين

منشورات دار الحياة ـ بيروت

لم يكن صباح محيي الدين يبدو على حقيقته في اقاصيصه القصيرة، فبعض تلك الاقاصيص كنا نظنه لمجرد الاثارة والترفيه بتشديده فيه على الناحية الجنسية ، كما انه في البعض الاخر كان يبدو ، هو ذاته ، مزعزع الاتجاه ، لا فكرة له او مبدأ ، بل هي كتابة لاجل التنفيس الادبي فقط ، اما وهو يطل علينا بكتابه « خمر الشباب » فلم يبق بوسعنا تجاهل هدفه الادبي. حيث هو يتضح ويتساند ببعض ما انتجه سابقا ليكون اتجاها معينا ، يظهر سافرا لكل من يستشرفه .

ليس الاستاذ صباح اول من سلك هذا الاتجاه التحرري في ادبنا القصصي ، فكثيرون غيره قد سلكوه قبله ، ولكنهم لم يوغلوا فيه ايغاله هو ، ولم يبد التعمد له كما بدا عنده هو . ومن تعمده وتشديده على ناحية ادبية معينة نستنتج انه يدعو الى مبدأ اجتماعي تحرري بين الجنسين . وهذا ما يثير المربين والباحثين الاجتماعيين اكثر مما يثير ناقدي الفن والقصة . فهو يزيل ، دفعة واحدة ، كل الحدود والحواجز التي تحول دون اشباع الرغبات الجنسية. ومثل هذه الاراء الجريئة تبدو غريبة عن مجتمعنا المتحفظ ، لا رابطة لها بواقعنا ولا نتيجة تربوية منها، حيث هي بدلا من ان تحمل في ثناياها عرضا لتطبيقها في مجتمعنا الشرقي تحمل دعوة غير مباشرة لفتياننا لزيارة لندن وباريس لتجربة حريتهم هناك . ولعل هذا الخطأ هو الخطأ الاساسي الذي يرتكبه اغلب الذين يعالجون مشكلة حرية اختلاط الجنسين عندنا ، حيث هم لا يبتدئون بالتصعيد من الدرجة الدنيا التي نعيش فيها من هذه الناحية ، بل هم يكتبون ، ويبالغون احيانا ، مبتدئين من الدرجة البعيدة التي تعيش عليها المجتمعات المتحررة . وهكذا تبقى دعوتهم خيالية لابتعادها عن واقع مجتمعنا .

ان كتاب « خمر الشباب » من الناحية الفنية ، اذا صح لنا ان نسميه قصة، يدعونا لان نعيد النظر بالتعريف الفنيلقومات القصة، اذ هو يقارب ان يكون تسجيلا لاحاديث عادية متنوعة مع وصف لحياة شابين من حلب في لندن . وهذه الاحاديث تتنوع في شتى الشؤون ، حتى السياسية منها ، ولكن بالطبع تغلب عليها جميعا الوقائع والذكريات الجنسية ، حيث هي التي يقصد المؤلف ابرازها . ان القصة مليئة بالحشو ، حتى ان

حشو بعض الاحاديث يعيق سرد الوقائع الرئيسية ويجعله يتتبع سرد قصة جديدة ضمن القصة التي يقرأها. وتلك الموضوعات ذاتها التي تربك السرد لا تخلو من فائدة غالبا ، وهذا ما يحملنا على الظن بانها لم توجد عفوا ، رغم ما بها من اخلال فني ، فهي تكون في الاغلب قرائن للتحقق من سلوك شخصيات القصة والعوامل التي أثرت بهم وتوجههم منذ طفولتهم ووعيهم الجنسي . ومثل هذا الاسلوب الطريف لا يخلو من متعة القارىء المثقف الباحث عن التحليل النفسي.

لم تتضمن القصة مفاجآت او حوادث غريبة مثيرة ، كتلك التي يبحث عنها القصاصون لجعلها مواد لقصصهم ، فهي قصة قد تحدث لاي شاب يخرج من بيئة فيها الحواجز الشديدة بين الجنسين الى مجتمع منفتح لتلقي حوادث الجنسين ، على السواء ، برحابة صدر وتسامح . ومن خلال الحوادث نستشف رغبة المؤلف وتعمده لاعطاء الجسد حقه من الاهتمام . فذكريات الطفولة الجنسية التي يمر بها المراهقون ويخجلون في شبابهم من تذكرها ، حتى لانفسهم ، نجدها عنده ، بكل صراحة حجة كبرى لادانة الداعين الى الخطر والرقابة على الجنس ، ومن ذلك قصة الفتيين والديك الرومي في حلب.

ان الفتاة في مجتمع صباح محيي الدين ليست مجرد وسيلة لقضاء شهوة الرجل واشباع رغباته الجسدية ، بل هي انسان مثله تحس وترغب وتشتهي وتطلب بجرأة ، ولا تتسامح مع من لا يقدر لها تلك الرغبات ويفيها حقها من المتعة .

وفق المؤلف بتحديد معالم شخصيات قصته ، فاعطى كلا منهم طابعا خاصا به . فهو منذ الصفحة الاولى يعطي فؤاد صفة الشرقي الاصيل، المتحرق للقاء المرأة والسابق دوما الى مكان الموعد يعد الثواني ويترقب كل انسان يمر امام ناظريه لعله يلقى فيه فتاة موعده. اما هذا التحرق فلم يكن يستطيع اطفاءه، فهو بحكم تربيته الشرقية المتحفظة يرفع المرأة الى مكان التقديس في نفسه. فيتغابى عن رغباتها الجسدية وذلك ما يجعلها تنفر منه ، فتتركه ثلاث فتيات في غضون عشرة ايام فقط . لم يكن مجرد شذوذ هذا السلوك عند فؤاد كفرد ، بل يؤكد لنا المؤلف ، في سياق القصة بان الشرق المحافظ بأكمله يقف وراء فؤاد . هو يحاول التخلص من ذاته تلك ، ولكنه لا يستطيع ، فنراه يلاحق الفتاة « ماري » في اول الامر لاجل المتعة ولكي يستطيع مضاهاة ابن عمه « وليد » في مغامراته . ولكنه ما ان يعاشر الفتاة بعض الوقت حتى ينطلق معها كعادته في حب مثالي روحي. ولا عجب من ذلك ، فهو ابن الحاج مصطفى من حلب ، نشأ في بيت محافظ ، فتى مدللا ، لم يتعود الاعتماد على نفسه وخلق رأي لذاته ، فكانت تربيته وآراؤه صفحة صادقة عن تربية وآراء والده الشرقي الذي اختار له المدرسة واختار له الجامعة واختار له الذهاب الى لندن واختار له خطيبته في حلب ايضا ، كما ورد في الفصل الحادي عشر على لسان ابن عمه وليد ، وهو يذكره بضرورة قيادة نفسه بنفسه .

اما وليد ابن عم فؤاد ، فهو يسخر منه دائما ويسخر من تصرفاته تجاه الفتيات ، وهو يذكره برغبتهن الجسدية ، ويطبق آراءه لذاته، فيعاشر من تحضر منهن ، دون اعتبار لغير الجنس فيهن ، فيذكره ويناقشه فؤاد في تصرفاته تلك ، مرددا بان التفاهم بين الرجل والمرأة هو اكثر من تفاهم حيوانية الاثنين . ولكن وليد يتمعن في سخريته ، ويكرر اسئلته لابن عمه عدة مرات ، فيما اذا كان نال من مادي فتاة احلامه شيئا ، فيشمئز فؤاد لمثل هذا السؤال ويعتبره اهانة لمقدساته . ووليد الفوضوي بسلوكه لم يكن سلوكه هبة طبيعية ، فهو فقير معدم يعيش على حساب فؤاد ووالد فؤاد، فيضطر لان يتخذ لنفسه فلسفة خاصة، يعظ بها ابن عمه ، فنسمعه يقول له حين يطلب منه التفكير معه بمصيره مع حبيبته السويسرانية « مادي » بعد ان خطب له والده ابنة عمه في حلب ؛ « ان مشكلتك هي مشكلة يواجهها الانسان في كل لحظة من حياته .. مشكلة الاختيار والالتزام ... انت الذي تحمل عبء اختيارك وعواقبه. مشكلتك لا مخرج لها فيما يخصك الا بالعودة الى حلب حيث اصولك وجذورك . »

اما مادي وهي البطلة في القصة فقد احبت فؤاد واخلصت له واتفق مزاجها الرومانطيقي مع مزاجه ، ولكن الى جانب طبيعتها الشاعرية تلك، لم يجردها المؤلف من الرغبات الجسدية ، بل هي تعرض عطاءها على فؤاد لاثمن ما تمتلكه الفتاة ، وكانها تطلب عطاء منه ، ولكن هذا يرفض ويبقي حبها مثالا من مثله . وذلك قبل سفرها الى سويسرا ، حيث راحت تكتب له رسائل الحب والاخلاص من هناك .

ان القصة فيها سرد شيق ، لتنوع مواضيعها ولكنها ليست بذات قيمة توجيهية في مجتمعنا فنأمل من المؤلف ان ينطلق بدعوته التحررية من واقع مجتمعنا في مؤلفاته القادمة ، لا ان يعرض لنا الحرية المطلقة في المجتمعات الاخرى ، ومثل لغته السهلة ومقدرته التحليلية الفذة كفيلة بان تؤدي للمجتمع العربي احسن رسالة تحررية ادبية .

يوسف حوراني

صدر حديثا

نزار قباني شاعرا وانسانا

دراسة وافية بقلم

محيي الدين صبحي

الثمن ليرتان لبنانيتان

دار الآداب ـ بيروت

الحزن في كل مكان ..

قصة بقلم ياسين رفاعية

ايقظتني امي في الصباح « ۱ » ، بوجهها الكئيب وبصوت كانه منبعث من الاعماق : - قم ... الوقت متاخر .. !

لم اكن نائما في تلك اللحظة ، كنت مغمض العينين ، تحملني افكاري الى اشياء حلوة عرفتها في الماضي ، وغشتها بكل دفئها ، لكنها انهارت فجاة حالما رحلت سميرة عني .

عندما شرعت بارتداء ملابسي ، كنت ارمق امي غفلة بين الفينة والفينة ، كانت قريبة جدا من المدفاة التي كان لهيبها يتصاعد ازرق باهتا وكانت عيناها تحدقان ببلاهة في كنزة صوفية صفراء لم تتم بعد ، معلقة في الشجب ، ولقد تجمعت فيهما الدموع ، ولم تنهمر ..

حاولت منذ ايام ، ان اخفي هذه الكنزة عن انظار امي ، وما ان فعلت حتى راحت تطلب مني اعادتها باصرار وعناد :

- يجب ان تعيدها الى مكانها .. ثم اياك ان تخفيها عني مرة ثانية .

اذا اردت ان اكون راضية عنك .. فاعدها الى مكانها ..

اعدتها ، لم اكن ارغب في ان تغضب . وراحت بعد ذلك تحاول ابرازها بعناية ، كانها مخلوق حي يحتاج لرعايتها .

لما انتهيت من ارتداء ملابسي ، قالت دون ان تحاول الالتفات نحوي :

- تاكل ... ؟

- لست جائعا

ولم تفه امي بكلمة اخرى ، بل تكومت اكثر في الزاوية ناحية المدفاة دون ان تحول ناظريها عن الكنزة .

خرجت من البيت ، وبي وهن عظيم .. حتى الهواء الذي استنشقه يكاد يكون ثقيلا على رئتي .

ها هو الاسبوع الثاني يمر على رحيل سميرة ، احسست بعدهما بالهرم ، وكانني اصبحت شيخا مسنا اثقلته اعباء الاعوام المرهقة ، ولقد شعرت تلك الايام التي مضت بذلك الفراغ الرهيب الذي احدثه هذا الرحيل في ذاتي من الداخل .

عندما وصلت المعمل ، كان الضجيج يعلو كل مكان ، لكن اعماقي كانت تسبح في سكون رهيب .

قال زميلي :

- صباح الخير ..

- صباح الخيرات .. قلت ذلك وانا افكر بهذه اللهجة التي بدا زميلي يحدثني بها « صباح الخير » كانه يود ان يعزيني بنطقه هذه الكلمات حزينة من اعماقه ..

كان من عادته ان يثرثر كثيرا بجانبي ، وكان يستشيرني في مشاكله العاطفية . ويسكتبني رسائله الغرامية التي كان يرسلها الى فتاته دون ان يتلقى منها جوابا .. وكان احيانا يحدثني عن افكاره الخاصة حول الحياة التي يحياها والامنيات التي يتمناها ان تتحقق .

لكنه منذ رحلت « سميرة » عني ، لم يكن يخاطبني الا لماما ، كنت المحه يرمقني بنظرات رثاء ، وكان يحاول احيانا ان يتفوه بكلمة ، الا انه كان يستنكف في اخر لحظة .

من عادتي ان اتناول الغداء عند احمد ، فله دكان صغيرة بجانب المعمل يبيع فيها الحمص والفول اضافة الى بعض الفواكه . وكان مذياعه يملأ ذلك المكان ضجيجا ، ومنذ رحلت سميرة ، لم اعد اسمع لمذياعه صوتا ، ولمجرد ان اخرج من باب المعمل - قبل الرحيل - كان يترامى الى اذني صوته وهو يصرخ على بضاعته كانه يضحك ، لكنني هذه الايام لم اعد اسمعه كما كان من ذي قبل . ان تغييرا كاملا طرأ على احمد.

قال لي اليوم :

- انت تغرق نفسك بالحزن يااخي ، حرام عليك ، لقد نضب وجهك ، عيناك غائرتان ، لكانك هرمت .. اعرفك تهزأ بالمصائب . فما بالك هذه الايام . لا بد لنا جميعا من الرحيل في يوم ما .

عندما لم اجب احمد بكلمة واحدة ، عاد الى صمته ، كان يتحرك ببطء عكس عادته التي الفتها .

خرجت من عنده ، كانت السماء متلبدة ، سحبها سوداء قاتمة كقلبي القاتم ، وكانت الريح تعصف باشجار البستان المقابل للمعمل . وتحدث اصواتا كعويل الذئاب .

كانت نفس الريح تصرخ ، عندما ودعت سميرة الوداع الاخير ، لم تهطل من عيني دمعة ، كان وجهها باردا كالصقيع ، وثمة ابتسامة باهتة مرتسمة على شفتيها ، ويداها مضمومتان على صدرها . وقد كان ظاهرا للعيان مكان المحبس الذهبي الذي البسها اياه خطيبها زياد منذ اشهر ثلاثة . لقد خلعوه من اصبعها حتى بدا مكانه اصفر باهتا .

ومع ذلك ، لم ابك ، لكنني احسست ان حزما من الشوك كانت تدمي قلبي وتمزق احساسي ..

ابعدوني عنها ، كان صوت امي يترامى الي وهي تصرخ منتحبة : لاتتركيني ياسميرة .. ياحبيبتي .. لاتتركيني .. انك لم تنتهي من الكنزة بعد .. لقد وعدتني ان تهديها لي.. لا .. لا تاخذوها ..

لكنهم اخذوها ، حملوها الى النعش ثم اغلقوه عليها .. ومع ذلك .. فقد عجبت لم لم ابك .. لكنني كنت ذلك الوقت احس انني اسقط في قاع عميق .. عميق لا قرار له .. اسقط .. واسقط ، وجسدي يتقلب فيه كالغبار .

عندما خرجت من المعمل ، لفحني هواء الشارع البارد ، وراح يلسع وجهي المنهك بقسوة .. احسست انني لااستطيع ان اسرع الخطوات فقد كنت متعبا للغاية . قدماي اجرهما على الارض . وراسي متدل على

(۱) من مجموعة قصص تصدر عن «دار الوعي العربي» قريبا بهذا العنوان

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صمديي بحسرة .

ينهمر المطر الان بغزارة ، يغسل رأسي ووجهي ، والشارع يكاد يكون مقفراً ، ثمة رياح شديدة تصفع خيوط المياه المتساقطة ، فتبدو مائلة .. وانا امضي في اتجاه معين دون اسراع .

عندما حملوا نعش سميرة ، كان المطر ينهمر كهذا اليوم .. لم يكن يرافقني في تشييعها الا بعض الاقارب وزملائي في العمل واحمد ،وخطيب سميرة زياد .. كان يبكي بحرقة ويجهش بصوت مسموع .. وفي المقبرة ، تناول الحفار جسد « سميرة » الغض بوجه جامد ووسدها تراب الحفرة .. ثم اغلقها . ورفع راسه متجها الى كومة التراب وراح ينهال به عليها .. كمثال من الجص يتحرك بآلية ..

اذكر هذه الاشياء جيدا ، فلقد كان سكون الموت الرهيب يتمسك بجسد سميرة .

ومنذ اسبوع ، رأيت زياد ، كانت تتدلى من ياقة قميصه المنشاة عقدة سوداء ، ولقد كان الحزن واضحا في عينيه ، حاول ان يتكلم ، لكن سرعان ما اندفعت الدموع على وجنتيه ... فاختنق صوته : وودعني دون ان ينفوه بكلمة ..

كان حزينا حقا . لم أله . فسميرة حلوة ، عيناها صافيتان ربيعيتان بلون الحقول الخضراء ، شعرها بلون الفجر في ليلة صافية الاديم . طويلة ، لكنها نحيلة بعض الشيء . عنقها مرمر ابيض .كان زياد يحبها . كنت الاحظ ذلك ، منذ كان يزورها ومعه امه . لاشك ان سميرة احبته ايضا .. فقد كانت تبدو سعيدة جدا كلما زارها . وفي يوم ما . وعدتني ان تشتغل لي كنزة حالما تنتهي من كنزة امها .. فلم يبق لزفافها اكثر من ثلاثة اشهر .

لكن سميرة رحلت الان ، انشب ذلك الموت اللعين اظافره بأعوامها التسعة عشر .. واختصر حياتها التي كان من الممكن ان تكون سعيدة .

الطبيب ، لم يمنعها من الزواج ، فضعف قلبها ليس خطرا . ومع ذلك رحلت قبل ان تتزوج وتركت كنزة امها دون ان تتمها .

اقتربت الان من سور المقبرة ، كان الماء قد تسرب من ملابسي حتى جسدي فشعرت بقشعريره هزتني بعنف .

عندما تخطيت باب المقبرة ، لمحت صورة سميرة تبرز من بين القبور بوجهها النحيل وبابتسامتها الباهتة . وشعرت بشيء يشدني اليها . اقتربت من القبر .. فاذا بي وحيدا .. والمقبرة موحشة .« انا لله انا اليه راجعون » يا الهي . لماذا ترجع اليك سميرة وهي بعد بعمر الورد . وهي بعد لم تنعم بحياتها . هل هذا عدل .. يا الهي ..؟

تذكرت وجه سميرة النضر ، ترى كيف اصبحت حالته الان .. ان العينين الحلوتين قد اكلتهما الحشرات ..

لمحت الورد الذي لم يذبل بعد ، وقد زين واجهة القبر . ان امي تاتي اليه كل صباح ومعها باقة ورد .. مسكينة امي . همها منذ رحلت سميرة ان تختار باقة ورد كل يوم لتضعها على قبرها .

كانت المقبرة مغرقة في وحشتها ، وقد بدأ الظلام يتسرب اليها . والمطر مايزال ينهمر بشدة على القبور . لاشك ان الماء قد تسرب الى جسد سميرة المشوه . يا حبيبتي .. يا سميرة .. يا سميرة .

وتوالت صور المضي مسرعة على مخيلتي . ان سميرة تملأ اكثر هذه الصور .. اذ ذاك شعرت بالدمع يتدفق من عيني حارا ويختلط بماء المطر الذي يغسل وجنتي .

عم الظلام الكون الان . شعرت بالخوف والوحشة . فمشيت خارج المقبرة . كان دمعي يتدفق بغزارة ، سميرة ، كانت لاتحب الوحدة ابدا . انها ستظل وحيدة بعد الان . حتى الابد .

وصلت البيت ، كانت امي ماتزال مقتعدة الزاوية .بالقرب من المدفاة ، وكانت الى جانبها هذه المرة خالتي وابنتها . القيت تحية المساء ، ثم دخلت غرفتي .

غرفتي صغيرة ، ولقد كانت سميرة تعتني بها كثيرا ، اجلت الطرف قليلا في اشيائي « كتبي ومنضدتي ومذياعي الصغير .. » كان الغبار يعلوها بكثرة . ان احدا ما لم يقترب منها .. منذ رحلت سميرة ..

عندما ضم فراشي جسدي المتعب ، كان المطر يصفق زجاج النافذة بشدة ، اطفات المصباح الكهربائي . حاولت النوم . الا ان الافكار اجتاحتني . ذات يوم قلت لسميرة : « عما قريب ستذهبين الى بيت زوجك .. فمن سيعتني بي .؟ قالت ضاحكة : ساخطب لك وسابحث لك عن فتاة حلوة تستطيع ان تمنحك السعادة .. لقد ان لك ان تتزوج ياأخي .. فامنا قد كبرت واصبحت عاجزة عن خدمتنا .. ووافقتها على ذلك ..

ياالله .. والان .. من ذا الذي سيبحث لي عن زوجة تمنحني السعادة .. من ذا الذي سيعتني بكتبي واشيائي الاخرى بعد اليوم . سميرة . كانت تحبني . تحب اشيائي كثيرا .. لكنها رحلت وتركتني وحيدا مع أم محطمة .

واحاول النوم . لكن طيف سميرة لايبرحني .. يخطف الكرى من جفني ..

دمشق

ياسين رفاعية
من « جمعية الادباء العرب »

من منشورات دار الآداب

دواوين الشاعر الكبير نزار قباني

انت لي

سامبا

طفولة نهد

قصائد نزار قباني

في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة

عدو الشعب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢١ ـ

السيدة ستوكمان ـ وهل انت ذاهب الى امريكا ؟
هورستر ـ نعم ، ذلك هو القصد .
بيليغ ـ ولكنك تفوت انتخاب مجلس البلدة الجديد
هورستر ـ هل ستجري انتخابات من جديد ؟
بيليغ ـ الا تعلم ذلك ؟
هورستر ـ كلا ، انا لا اهتم بهذه الامور .
بيليغ ـ ولكني اعتقد أنك تولي الشؤون العامة اهتماما ؟
هورستر ـ كلا ، انا لا اعرف شيئا عنها .
بيليغ ـ سيان ، ولكن ينبغي للشخص ان يدلي بصوته على الاقل .
هورستر ـ حتى اولئك الذين لا يعرفون شيئا عن مجريات الامور ؟
بيليغ ـ لا يعرفون ؟ لماذا ، ماذا تعني بذلك ؟ المجتمع مثل السفينة : على كل شخص ان يضع يده على مقبض الدفة .
هورستر ـ قد يكون هذا صحيحا على الشاطيء ، اما في البحر فلا يجدي ابدا .
هوفستاد ـ من الجدير بالملاحظة ضآلة اهتمام البحارة بالشؤون العامة على وجه العموم .
بيليغ ـ غريب جدا
الدكتور ستوكمان ـ البحارة كالطيور العابرة ، فهم يشعرون ، اينما كانوا بانهم في موطنهم . ولذا ينبغي على الاخرين ان يكونوا اكثر نشاطا، سيد هوفستاد . هل هناك ما هو ذو اهمية عامة في « مراسل الشعب » غدا ؟
هوفستاد ـ ليس من شيء يتعلق بشؤون البلدة . ولكني افكر في نشر مقالك بعد غد ـ
الدكتور ستوكمان ـ لا ، ليأخذه الشيطان ـ مقالي ! اسمع ، ينبغي ان تؤجله .
هوفستاد ـ حقا ؟ اتفق انه وجد مكان كاف ، وينبغي ان اقول ان هذا الوقت هو الوقت المناسب له بالذات ـ
الدكتور ستوكمان ـ نعم ، نعم ، ربما تكون على حق ، ولكن يجب ان تؤجله ، على اية حال ، وسوف اشرح لك الامر عما قريب .
(تدخل بيترا من باب القاعة ، وهي مرتدية قبعة ومعطفا ، وتحت ابطها عدد من دفاتر التمارين).
بيترا ـ مساء الخير
الدكتور ستوكمان ـ مساء الخير ، بيترا ، اهذه انت ؟
(تحيات متبادلة . تضع بيترا معطفها ، وقبعتها ، والدفاتر على كرسي قرب الباب)
بيترا ـ انتم جميعا تمتعون انفسكم هنا ، بينما اكدح في الخارج
الدكتور ستوكمان ـ حسنا اذن ، ها انت ايضا تقبلين لتمتعي نفسك.
بيليغ ـ هل امزج لك قليلا ؟
بيترا (تتقدم نحو الطاولة) اشكرك ، افضل انامزج بنفسي ـ انت دائما تجعله اقوى مما ينبغي . ولكني نسيت ان لك معي رسالة يا ابت .
(تذهب الى الكرسي حيث وضعت اغراضها)

الدكتور ستوكمان ـ رسالة ؟ ممن ؟
بيترا (تبحث في جيب معطفها) ـ لقد اخذتها من ساعي البريد في اللحظة التي كنت خارجة فيها
الدكتور ستوكمان (ينهض ويذهب نحوها) ـ ولا تعطيني اياها الا الان؟
بيترا ـ الحقيقة انه لم يكن لدي وقت لاعود واعطيك اياها ، ها هي.
الدكتور ستوكمان (ياخذ الرسالة) ارنيها، ارنيها يا طفلتي يقرأ العنوان) نعم ، هذه هي ـ !
السيدة ستوكمان ـ هل هي الرسالة التي كنت شديد القلق بشانها ، توماس ؟
الدكتور ستوكمان ـ نعم ، هي . يجب ان اذهب حالا . اين ساجد ضوءا يا كاترينا ؟ اللمرة الثانية لا يوجد مصباح في غرفة المطالعة !
السيدة ستوكمان ـ بلى، المصباح مضاء ، انه على المكتب
الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، حسنا . اسمحوا لي دقيقة واحدة
(يذهب الى الغرفة الى اليمين)
بيترا ـ ماذا يمكن ان تكون ، اماه ؟
السيدة ستوكمان ـ لست ادري ، لقد كان في الايام القليلة الماضية يراقب ساعي البريد باستمرار
بيليغ ـ ربما مريض من الريف
بيترا ـ يا لوالدي المسكين ! سرعان ما سيرهق نفسه (تمزج التودي). اه ، سيكون حسن المذاق !
هوفستاد ـ هل كنت تدرسين في المدرسة المسائية اليوم أيضا ؟
بيترا ـ (ترشف من كأسها) ـ ساعتان
بيليغ ـ واربع ساعات صباحا في المعهد
بيترا ـ (تجلس الى الطاولة) ـ بل خمس ساعات
السيدة ستوكمان ـ وارى ان معك تمارين للتصحيح هذا المساء
بيترا ـ نعم ، وما اكثرها
هورستر ـ يبدو لي ان لديك ،ايضا ، عملا كثيرا
بيترا ـ نعم ، ولكني أحبه . يشعر المرء بعده بتعب بهيج
بيليغ ـ اتحبين ذلك ؟
بيترا ـ نعم ، فيمكن للمرء عندئذ انينام نوما مريحا
مورتن ـ بيترا ، اظن انك مذنبة كبيرة ولا ريب
بيترا ـ مذنبة ؟؟
مورتن ـ نعم ، ان كنت تعملين بهذا الجد ، يقول السيد رولند أن العمل عقاب لذنوبنا .
ايلف (باحتقار) ـ بش ! يا لك من سخيف ان تصدق قولا كهذا .
السيدة ستوكمان ـ حسبك ، حسبك ، ايلف
بيليغ (ضاحكا) ـ عظيم ، عظيم !
هوفستاد ـ الا تود ان تعمل بمثل هذا الجد يا مورتن ؟
مورتن ـ كلا ، لا اود ذلك
هوفستاد ـ ماذا تريد ان تكون اذن ؟
مورتن ـ اريد ان اكون قرصانا
ايلف ـ ولكن ينبغي ان تكون وثنيا اذ ذاك
مورتن ـ حسنا ، سأكون كذلك .
بيليغ ـ اتفق معك في ذلك يا مورتن ! انني اقول نفس الشيء ، تماما.
السيدة ستوكمان (تشير الى بيليغ) كلا ، كلا ، انني واثقة ان هذا غير صحيح يا بيليغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيليخ ـ فلاضرب حتى الموت ان لم يكن كذلك . انني وثني ، وانـا فخور بذلك . وسوف ترين اننا جميعا سنصبح وثنيين عما قريب

مورتن ـ وهل سنكون قادرين على ان نعمل ما نشاء عندئذ ؟

بيليخ ـ حسنا لا يخفي عليك يا مورتن ان ـ

السيدة ستوكمان ـ اذهبا الان ، ايها الولدان ، انني متأكدة ان لديكما دروسا كي تحضراها للغد .

ايلف ـ هل لك ان تسمحي لي بالبقاء لحظة اخرى ؟

السيدة ستوكمان ـ كلا ، عليك ان تذهب انت ايضا . اخرجا ، كلاكما.

(يلقي الولدان تحية المساء ويذهبان الى الغرفة الى اليسار)

هوفستاد ـ احقا تعتقدين ان سماع تلك الاشياء يضر الاولاد ؟

السيدة ستوكمان ـ آه ، لست ادري ، انا لا احب ذلك

بيترا ـ ولكني اعتقد انك مخطئة يا اماه في هذا

السيدة ستوكمان ـ ربما . ولكني لا احب ذلك ـ ليس هنا في البيت

بيتـرا ـ ليس هناك نهاية للملق في البيت او المدرسة . على المرء ان يلجم لسانه في البيت، وان يقف في المدرسة ويلقي الاكاذيب على الاطفال .

هورستر ـ هل تضطرين للكذب ؟

بيتـرا ـ نعم ، الا تعتقد اننا مجبرون ان نخبرهم اشياء واشـياء لا نؤمن بها نحن ؟

بيليخ ـ هذا صحيح جدا !

بيترا ـ فقط لو كنت استطيع ان انشيء مدرسة بنفسي ، لسيرتهـا على اسس مختلفة تمام الاختلاف

بيليخ ـ لو كنت تستطيعين ـ !

هورستر ـ اذا كنت تفكريـن جديا بهذا ، فانه يسرني ان اعطيك غرفة في مسكني ، يا آنسة ستوكمان . فانت تعرفين ان بيت والدي القديم يكاد يكون خاليا ، وهنالك غرفة طعام واسعة جدا في الطابق الارضي

بيترا (ضاحكة) ـ أوه ، شكرا جزيلا ـ ولكني اعتقد انه لن يكـون شيء من هذا القبيل .

هوفستاد ـ كلا ، يخيل لي انه انسب للانسة بيترا ان تتجه للصحافة. وبهذه المناسبة ، هل توفر لديك وقت للاطلاع على الرواية الانجليزية التي وعدت ان تترجميها لنا ؟

بيتـرا ـ لم يتوفر لدي وقت بعد . ولكنك ستأخذها في وقتمناسب.

(يخرج الدكتور ستوكمان من غرفته والرسالة مفتوحة في يده.)

الدكتور ستوكمان : (ملوحا بالرسالة) . يمكن القول ان هذا هـو النبأ الذي سيثير البلدة !

بيليخ ـ نبـأ !

السيدة ستوكمان ـ أي نبـأ ؟

الدكتور ستوكمان ـ اكتشاف عظيم يا كاترينا !

هوفستاد ـ حقـا ؟

السيدة ستوكمان ـ تم على يديك ؟

الدكتور ستوكمان ـ بالضبط ـ على يدي ! (يمشي جيئة وذهابا). ليستمروا الان في اتهامي بالافكار الحمقاء والخيال العابث . ولكنـهم لن يجرؤوا ! هـا ـ ها ! أقول لكم انهم لن يجرؤوا !

بيتـرا ـ اخبرنا ما الامر ، يا ابتاه ؟

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، حسنا ، اعطوني فرصة ، وسوف تسمعون كل ما هنالك . آه لو كان بطرس هنا الان ! هذا يرينا كيف اننا ، معشر الرجال ، نمضي في تكوين احكامنا اذ يكون كل منا في الحقيقة ضريرا كالخلد .

هوفستاد ـ ماذا تعني ، دكتور ؟

الدكتور ستوكمان (يقف بجانب الطاولة) ـ اليس الراي العام هو ان بلدتنا مكان صحي ؟

هوفستاد ـ طبعـا

الدكتور ستوكمان ـ مكان صحي فريد ،حقا ـ مكان يجب ان نطريه بحرارة ، للمرضى والصم

السيدة ستوكمان ـ عزيزي توماس

الدكتور ستوكمان ـ ونحن ، بالتأكيد ، لم نقصر في اطرائه وكيـل المديح له . لقد تغنيت بمدحه مرارا وتكرارا ، في ((المراسل)) وفـي الكراسات ـ

الدكتور ستوكمان ـ هذه الحمامات ، التي دعوناها نبض البلدة ، وعصبها الحيوي ، و ـ الشيطان يعلم ماذا ايضا ـ

هوفستاد ـ حسنا ، وماذا بعد هذا ؟

بيليخ ـ ((قلب بلدتنا النابض)) كما قلت في احدىالمناسبات الهامة

الدكتور ستوكمان ـ تماما ، حسنا ، هل تعرفون ما هي حقيقة تلـك الحمامات العظيمة الممتازة التي أطريناها ، والتي انفق الكثير من المال ـ هل تعرفون ما هي ؟

هوفستاد ـ كلا ، وما هي ؟

السيدة ستوكمان ـ بالله تخبرنا

الدكتور ستوكمان ـ ان المكان كله جمر معد .

بيترا ـ الحمامات يا ابت ؟

السيدة ستوكمان (في نفس الوقت) حماماتنـا !

هوفستاد (في نفس الوقت ايضا) ولكن ، دكتور ـ !

بيليخ ـ امر لا يصدق !

الدكتور ستوكمان ـ ان المكان كله قبر سام مزخرف ، وشديد الاذى، فكل القاذورات الموجودة في وادي الطاحون ـ وهي المادة التي تبعث رائحة كريهة جدا ـ تعدي مياه الانابيب الذاهبة الى غرفة مياهالاستشفاء ونفس النفايات اللعينة السامة تنز قرب الشاطيء

هوفستاد ـ حيث يقع مكان الاستحمام ؟

الدكتور ستوكمان ـ بالضبط

هوفستاد ـ ولكن كيف تتأكد من كل هذا ، دكتور ؟

الدكتور ستوكمان ـ لقد درست الوضع كله بما استطيع من نزاهة ضمير لقد كانت لي شكوك فيه منذ حين . فقد جاءتنا في العام الماضي بعض حالات المرض الغريبة بين الزائرين ـ هجمات من التيفوئيد والحمى المعدية ـ

السيدة ستوكمان ـ نعم أذكر ذلك

الدكتور ستوكمان ـ وقد حسبنا اذ ذاك ان الزائريـن جاؤوا بالعدوى معهم ، بعدئذ ، في الشتاء الماضي ، بدأت اتساءل عن ذلك . وهكـذا شرعت بفحص المياه فحصا دقيقا جدا .

السيدة ستوكمان ـ هذا اذن ما كنت تجهد نفسك فيه !

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ربما تكونين على صواب اذ تقولين انـي اجهدت نفسي فيه ، كاترينا . ولكن الادوات العلمية الضرورية غير متوفرة عندي هنا ، كما تعلمين ، وهكذا فقد ارسلت عينات من مياه الشرب ومياه البحر للجامعة ، ليجري فحصها بدقة من قبل كيميائي.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدرب ؟

الدكتور ستوكمان ـ ممكن جدا، فانا لا ابالي. فقط لو أستطيع تصحيح الاوضاع ـ (يمد مورتن كيل العجوز رأسه من باب القاعة ويسأل بخبث)

مورتن كيل ـ أصحيح ـ اصحيح ؟

السيدة ستوكمان (تتجه اليه) ابتاه ـ أهذا أنت ؟

الدكتور ستوكمان ـ أهلا وسهلا يا عماه ! صباح الخير ، صباح الخير .

السيدة ستوكمان ـ تفضل

مورتن كيل ـ اذا كان ذلك صحيحا دخلت ، وان لم يكن فانا خارج ثانية

الدكتور ستوكمان ـ ما الذي تريده ان يكون صحيحا ؟

مورتن كيل ـ مسألة منشآت المياه . هل هي صحيحة ؟

الدكتور ستوكمان ـ طبعا صحيحة . ولكن كيف سمعت ذلك ؟

مورتن كيل (يدخل) ـ زارتني بيترا وهي في طريقها الى المدرسة ـ

الدكتور ستوكمان ـ هل فعلت ذلك؟

مورتن كيل ـ نعم ، نعم ـ واخبرتني ـ ظننت انها تهزأ بي! ولكن ذلك ليس من عادة بيترا ابدا .

الدكتور ستوكمان ـ حقا ، لا ، وكيف تفكر في ذلك ؟

مورتن كيل ـ من الافضل الا يثق المرء بأحد ، والا فقد يجد نفسه مجنونا قبل ان يدرك اين هو . واذن فالامر صحيح، على كل حال ؟

الدكتور ستوكمان ـ بكل تأكيد . اجلس يا عماه . (يجلسه على الكنبة) والان ، اليس ذلك نعمة حقيقية للبلدة ـ ؟

مورتن كيل (كاتما ضحكة) ـ نعمة للبلدة ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، اكتشافي للامر في الوقت المناسب

مورتن كيل (كما في السابق) ـ بلى بلى ، بلى ! ـ حسنا ، ما فكرت قط انك الرجل الذي سيجر رجل شقيقه بالذات بهذا الشكل .

الدكتور ستوكمان ـ اجر رجله !

السيدة ستوكمان ـ ماذا ، يا والدي العزيز ـ

مورتن كيل (يضع يديه وذقنه على طرف عصاه وينظر بخبث الى الدكتور). مرة ثانية ، ماذا في الامر ؟ اليس ان بعض الحيوانات دخلت انابيب المياه ؟

الدكتور ستوكمان ـ بلى ، حيوانات نقاعية .

مورتن كيل ـ وان عددا من هذه الحيوانات قد دخل ، اسراب كاملة منها ، كما قالت بيترا .

الدكتور ستوكمان ـ بالتأكيد ،مئات الالوف

مورتن كيل ـ ولكن لا يستطيع احد رؤيتها ـ اليس كذلك ؟

الدكتور ستوكمان ـ صحيح ، لا يستطيع احد رؤيتها .

مورتن كيل (بضحكة هادئة ، مكتومة) . فليلعنني اللهان لم يكن هذا احسن ما سمعته منك حتى الان .

الدكتور ستوكمان ـ ماذا تعني ؟

مورتن كيل ـ ولكن شيئا من هذا القبيل لن يخدع العمدة قط .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، هذا ما سنراه .

مورتن كيل ـ اتظنه سيكون غبيا الى هذا الحد ؟

الدكتور ستوكمان ـ آمل ان البلدة كلها ستكون غبية الى هذا الحد .

مورتن كيل ـ البلدة كلها ! حسنا ، ليس هذا بشيء سيء . ولكن هذا هو ما يستحقه اهل البلدة ، سوف تلقنهم درسا . ارادوا ان يكونوا اشد ذكاء منا معشر الشيوخ . لقد طردوني من المجلس البلدي. نعم ؛ طردوني كالكلب ، ذلك هو ما فعلوه . ولكن جاء دورهم الان . جر ارجلهم هم أيضا ، ستوكمان !

الدكتور ستوكمان ـ ولكني في الواقع ، يا عمي ـ

مورتن كيل ـ جر أرجلهم ! (ينهض) اذا استطعت ان تجعل العمدة وعصابته يلقون نفس المصير ، فسأعطي للفقراء مائة ريال على الفور .

الدكتور ستوكمان ـ هذا لطف منك !!

مورتن كيل ـ ليس لدي طبعا مال كثير ابعثره ، ولكن اذا نجحت في ذلك فانني سأتذكر الفقراء في عيد الميلاد ، حتى حدود خمسين ريالا .

(يدخل هوفستاد من القاعة)

هوفستاد ـ اسعدتم صباحا ! (يصمت) أوه ! معذرة ـ

الدكتور ستوكمان ـ لا بأس عليك . تفضل ، تفضل

مورتن كيل (يضحك بهدوء مرة اخرى) ـهل هو ايضا مشترك في القضية ؟

هوفستاد ـ ماذا تعني ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، هو طبعا مشترك

مورتن كيل ـ كان ينبغي ان اعرف ذلك ! يجب ان يصل الامر الى الصحف . أنت لها ستوكمان ! أعملا فكركما ، انني ذاهب .

الدكتور ستوكمان ـ لا تذهب ، لا تذهب الان يا عماه .

مورتن كيل ـ كلا ، اني ذاهب الان . استمر في هذه الحيلة الشيطانية حتى النهاية ، ولن تخسرها ، ولالعن ان خسرتها !

(يخرج ، وترافقه السيدة ستوكمان الى القاعة)

الدكتور ستوكمان (ضاحكا) تصور ، ان هذا العجوز لا يصدق كلمة من كل هذا عن منشآت المياه .

هوفستاد ـ هل كان ذلك ما ـ ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ذلك هو ما كان يتحدث عنه . وربما جئت للامر نفسه ؟

هوفستاد ـ نعم ، هل لديك لحظة فراغ ، دكتور ؟

الدكتور ستوكمان ـ كما تشاء ، يا عزيزي

هوفستاد ـ هل اتصل بك العمدة ؟

الدكتور ستوكمان ـ كلا سيأتي فيما بعد .

هوفستاد ـ لقد كنت افكر في القضية منذ مساء امس .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ؟

هوفستاد ـ يبدو امر منشآت المياه بالنسبة لك ، كطبيب وعالم ، قضية معزولة . ولكن ربما لم يخطر لك ان عددا كبيرا من الاشياء الاخرى يرتبط به

الدكتور ستوكمان ـ حقا ! وكيف ؟ لنجلس يا عزيزي ـ كلا ، هناك على الكنبة . (يجلس هوفستاد على الكنبة ، والدكتور على كرسي مريح عند الطرف الاخر من الطاولة) .

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ،أتقصد ان ـ؟

هوفستاد ـ قلت بالامس ان الماء ملوث بقاذورات من التربة .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، بلا شك ، يأتي الضرر من المستنقع السام في وادي الطاحون .

هوفستاد ـ ولكن اتسمح لي ، اظنه يأتي من مستنقع مختلف جدا ، دكتور

الدكتور ستوكمان ـ واي مستنقع هذا ؟

هوفستاد ـ المستنقع الذي تتآكل فيه كل حياة البلدة

الدكتور ستوكمان ـ اعوذ بالله ، سيد هوفستاد ! أية فكرة هذه التي خطرت لك ؟

هوفستاد ـ لقد انجرفت شؤون البلدة كلها بالتدريج في أيدي حفنة من البيروقراطيين ـ

الدكتور ستوكمان ـ حسبك ، فليسوا جميعا بيروقراطيين

هوفستاد ـ كلا ، ان غير البيروقراطيين اصدقاء ومؤيدون للبيروقراطيين، اننا في مخالب حفنة من الاغنياء ، من ابناء العائلات العريقة في البلدة ، ومن ذوي المناصب .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ولكنهم ايضا رجال قديرون وذوو بصيرة .

هوفستاد ـ هل اظهروا مقدرة وبصيرة عندما وضعوا انابيب المياه حيث هي الان ؟

الدكتور ستوكمان ـ كلا ، لقد كان ذلك عملا سخيفا ، بالطبع . ولكنه سيصحح الان .

هو فستاد ـ هل تظن ان الامور ستجري بهذه السهولة ؟

الدكتور ستوكمان ـ بسهولة اولا ، لا بد من عمل ذلك .

هوفستاد ـ نعم ، اذا استعملت الصحافة نفوذها .

الدكتور ستوكمان ـ هذا غير ضروري مطلقا ، انني متأكد ان شقيقي ـ

هوفستاد ـ اعذرني يا دكتور ، ولكن ينبغي ان احيطك علما بانني افكر في تبني القضية .

الدكتور ستوكمان ـ في الجريدة ؟

هوفستاد ـ نعم . عندما استلمت « مراسل الشعب » ، كنت مصمما ان احطم حلقة الاغبياء العجائز ، العنيدين الذين يمسكون بكل شيء في أيديهم .

الدكتور ستوكمان ـ ولكنك اخبرتني بنفسك عما نتج عن ذلك . لقد كدت تحطم الجريدة .

هوفستاد ـ نعم ، كنا مضطرين ان نتكتم ، حينئذ ،هذا صحيح . كان يمكن ان يفشل مشروع الحمامات لو طرد هؤلاء الاشخاص ، أما الان فالحمامات حقيقة واثقة ، ونحن نستطيع ان نتقدم بدون هذه الشخصيات الضخمة .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، نتقدم بدونهم ، ولكننا لا نزال مدينين لهم بالكثير .

هوفستاد ـ سنعترف بذلك كما ينبغي . ولكن صحفيا له مثل اتجاهاتي الديموقراطية لا يسعه ان يترك فرصة كهذه تنزلق خلال أصابعه . علينا ان ندمر مفهوم العصمة الرسمية . يجب ان نتخلص من هذه السخافة ، وكل الخرافات الاخرى .

الدكتور ستوكمان ـ انا معك من كل قلبي في هذا ، سيد هوفستاد . ان كان هناك خرافة فابعد بها !

هوفستاد ـ انني آسف لمهاجمة العمدة ، فهو شقيقك . ولكنك تؤمن معي ان الحقيقة فوق كل الاعتبارات .

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، (بقوة) ومع ذلك ـ ! ومع ذلك ـ !

هوفستاد ـ ينبغي الا تسيء الظن بي ، فلست ذا مصلحة شخصية ولست اشد طموحا من سواي .

الدكتور ستوكمان ـ لماذا يا عزيزي ـ من يقول انك كذلك ؟

هوفستاد ـ انني انحدر من اصل متواضع ، كما تعلم ، واتيحت لي فرص كافية لارى ما الذي تحتاجه الطبقات الدنيا حقا . وذلك ان يكون لها نصيب في ادارة الشؤون العامة . هذا هو ما يطور مقدرتها ومعرفتها واحترامها لذاتها ـ

الدكتور ستوكمان ـ انني ادرك ذلك تماما .

هوفستاد ـ نعم ، واعتقد ان الصحفي يتحمل مسؤولية ثقيلة اذا ترك فرصة سانحة لتحرير الجماهير المظلومة والمضطهدة تفلت منه . انني اعرف جيدا ان الاوليغارشية عندنا ستشهر بي كممرض ، والى اخر ما هنالك ولكن ماذا يضيرني ؟ ان كان ضميري مرتاحا ـ

الدكتور ستوكمان ـ بالضبط ، بالضبط يا عزيزي . ومع ذلك ـ يا للشيطان ـ ! (يسمع نقر على الباب) . تفضل !

(يظهر اسلاكسن ، عامل المطبعة ، من الباب المؤدي للقاعة . يرتدي ملابس سوداء متواضعة ولكنها محترمة ، بضع ربطة عنق بيضاء ، متغضنة قليلا ،وهو يرتدي قفازات وفي يده قبعة حريرية) .

اسلاكسن (بنحني) ـ ارجو أن تعذرني ، دكتور ، لتجرؤي ـ

الدكتور ستوكمان ـ (بنهض) ـ اهلا بك ! اهذا انت ، اسلاكسن !

أسلاكسن ـ نعم ، دكتور

هوفستاد (بنهض) ـ أتريدني، اسلاكسن ؟

أسلاكسن ـ كلا ، كلا على الاطلاق . لم أكن اعرف انك هنا . انني اريد الدكتور ـ

الدكتور ستوكمان ـ حسنا ، ماذا يمكنني ان أفعل من اجلك ؟

اسلاكسن ـ هل صحيح ما اخبرنيه السيد بيليخ ، انك تنوي تحسين منشآت المياه ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، من اجل الحمامات .

اسلاكسن ـ طبعا ، طبعا ، اذن لقد جئت لاعلن لكم انني ادعم الحركة بكل قوتي .

هوفستاد ـ (مخاطبا الدكتور) أرأيت !

الدكتور ستوكمان ـ كم انا ممتن لك ،

اسلاكسن ـ فليس يضيرك ان ندعمك ، نحن رجال الطبقة الوسطى الدنيا، اننا نشكل ما يمكن ان تدعوه اغلبية متراصة في البلدة ـ اذا اخترنا هذا وعظيم ان تكون الاغلبية بجانبك ، دكتور .

الدكتور ستوكمان ـ لا شك ، لا شك ، ولكني لا أتصور اية احتياطات خاصة تكون ضرورية في هذه الحالة . فأعتقد ان قضية واضحة ومباشرة كهذه ـ

اسلاكسن ـ نعم ، ولكن هذا لا يضر ، على اية حال . انني اعرف السلطات المحلية جيدا ـ فالسلطات الحالية ليست على استعداد لان تتبنى اقتراحات من خارجها . ولذا لا ارى ضيرا في ان نقوم بنوع ما من التظاهرات .

هوفستاد ـ هذا ، بالضبط، هو رأيي

الدكتور ستوكمان ـ هل تقول تظاهرة ؟ ولكن كيف ستتظاهرون ؟

اسلاكسن ـ طبعا بكثير من الاعتدال ، دكتور . فأنا دوما اصر على الاعتدال ، لان الاعتدال هو اول فضائل المواطن ـ وهذا ما اعتقده شخصيا .

الدكتور ستوكمان ـ انك معروف بهذا لدى الجميع ، سيد اسلاكسن.

اسلاكسن ـ نعم ، اعتقد ان اعتدالي معترف به عامة . وقضية منشآت المياه هذه هامة جدا بالنسبة لنا معشر رجال الطبقة الوسطى الدنيا . كما انه يمكن القول بان الحمامات تبشر بأن تصبح منجم ذهب دائم للبلدة . يجب ان نعتمد جميعا في معيشتنا على الحمامات ، وخاصة نحن ملاكي الدور . ولهذا نريد ان ندعم اقتراحك بكل ما نستطيع ،

وبما انني رئيس جمعية اصحاب الدور ــ

الدكتور ستوكمان ــ حسنـا ؟

اسلاكسن ــ وبما انني عضو عامل في جماعة منع المسكرات ــ ولا يخفي عليك ، يا دكتور ، انني من انصار ــ منع المسكرات

الدكتور ستوكمان ــ بكل تاكيد ، بكل تاكيد .

اسلاكسن ــ حسنا ، تدرك اذن اني على اتصال مع اناس كثيرين جدا . ولما كنت معروفا باني مواطن حكيم ومطيع للقانون ، كما قلت بنفسك ، فان لي نفوذا معينا في البلدة ، واقبض على بعض السلطة بيدي ــ مع اني اقول ما لا ينبغي قوله ...

الدكتور ستوكمان ــ اعرف هذا معرفة جيدة ، سيد اسلاكسن .

اسلاكسن ــ حسنا ، يتضح لك اذن انه سيكون من السهل علي ان انظم اجتماعا ان اقتضت الضرورة ذلك .

الدكتور ستوكمان ــ اجتماعـا ؟

اسلاكسن ــ نعم ، نوع من توجيه الشكر لك من قبل المواطنين ، بسبب اشتغالك في امر له مثل هذه الفائدة العامة . ويجب ان ينظم طبعا بما يمكن من الاعتدال ، حتى لا يسيء الى السلطات والاحزاب الحاكمة. وفي اعتقادي ان احدا لن يستطيع ان يسيء تقدير هذا ، ان حرصنا عـلى ذلك الاعتدال .

هوفستاد ــ حتى ولو فرضنا ان هذا لن يعجبهم ــ

اسلاكسن ــ كلا ، كلا ، لااساءة للسلطات القائمة ، سيد هوفستاد . لا معارضة لقوم يمكنهم ان ينتزعوا المبادرة من ايدينا مرة ثانية وبسهولة. لقد ذقت ما فيه الكفاية من ذلك في الماضي، ولا يمكن ان يثمر خيرا ابدا. ولكن احدا لا يستطيع ان يعارض المواطن اذ يعبر عن رأيه بحريـة واعتـدال .

الدكتور ستوكمان ــ (ملوحا بيده) . ليس بوسعي ان اخبرك يـا عزيزي اسلاكسـن ، كم انا مبتهج من صميم قلبي لاني اجد كل هذا التأييد من مواطني . انني سعيد جدا سعيد جدا ! هلم ، ستشرب كأسا من الخمرة الاسبانية ، اليس كذلك ؟

اسلاكسن ــ كلا ، اشكرك ، انا لا امس المشروبات الروحية ابدا .

الدكتور ستوكمان ــ حسنا ، كاس من البيرة ــ ما قولك في ذلك ؟

اسلاكسن ــ شكرا ، ولا هذا ايضا . لا اتناول شيئا في هذا الوقت المبكـر من النهار . والان ساقوم بجولة في البلدة ، واتحدث لبعـض ملاكي الدور ، واعد الرأي العام .

الدكتور ستوكمان ــ انك في غاية اللطف ، سيد اسلاكسن ، ولكنـي ، في الواقع ، لا استطيع ان اتصور ان كل هذه الاجراءات ضرورية . فالامر يبدو لي في غاية البساطة والبداهة .

اسلاكسن ــ السلطات تتحرك ببطء دائما ، دكتور ــ ولست اقصد ، لا قدر ــ الله ــ ان الومها لهذا ــ

هوفستاد ــ سنجعلهم يتحركون غدا ، في الجريدة يا سيد اسلاكسن

اسلاكسـن ــ لا عنف ، سيد هوفستاد . تقدم باعتدال ، والا فـلن تنال منهم شيئا . تلك نصيحتي ، لقد جمعت التجربة من مدرسة الحياة الان ينبغي ان اودعكم ،دكتور . ويمكنك الان ان تدرك اننا ، نحن رجال الطبقة الوسطى الدنيا ، الى جانبك ، صلدون كالجدار . ان الاغلبيـة المتراصة معك .

الدكتور ستوكمان ــ شكرا جزيلا ، يا عزيزي السيد اسلاكسن . (يمد يده) وداعا ، وداعا .

اسلاكسن ــ حسنا

(ينحني ويخرج . يرافقه الدكتور ستوكمان الى القاعة)

هوفستاد (بينما يعود الدكتور) . ما قولك في ذلك ، دكتور ؟ الا تعتقد ان هذا هو الوقت المناسب لتحدث هزة قوية في كل هذا الجبن والتردد والميوعة ؟

الدكتور ستوكمان ــ اتقصد اسلاكسـن ؟

هوفستاد ــ نعم ، ذلك ما اقصده . انه شخص مؤدب كثيرا ، ولكنـه احد اولئك الغارقين في المستنقع . ومعظم الناس هنا مثله تماما ، انـهم يتذبذبون ويتارجحون ابدا من جانب الى اخر ، لقد استـولى عليـهم الحذر والشك فباتوا لا يجرؤون على اتخاذ خطوة حاسمة .

الدكتور ستوكمان ــ نعم ، ولكن يبدو لي ان اسلاكسن حسن النية.

هوفستاد ــ هناك شيء واحد اقدره اكثر من ذلك ، واعني ان يعتمد الرجل على نفسه ويثق بها .

الدكتور ستوكمان ــ انت على صواب في هذا

هوفستاد ــ ولذا فاني سانتهز هذه الفرصة واجرب ان اسكب شيئا من الحزم في نياتهم الحسنة ، ولو مرة على سبيل الاستثناء . يجب ان تجتث عبادة السلطة من هذه البلدة. يجب ان يدرك كل ناخب بوضوح هذه الغلطة العظيمة ، التي ليس لها ما يبررها ، في منشآت المياه .

الدكتور ستوكمان ــ حسنا جدا ــ اذا كنت تعتقد ان هذا في مصلحة المجتمع ، فليكن ، ولكن ليس قبل ان اتحدث الى شقيقي .

هوفستاد ــ وعلى اية حال ، فساكتب افتتاحية الجريدة ، في هـذه الاثناء . وان لم يشأ العمدة ان يتبنى القضية

الدكتور ستوكمان ــ ولكن كيف يمكنك ان تتصور انه سيرفض ؟

هوفستاد ــ ليس هذا بالمستحيل تصوره . وبعدئذ

الدكتور ستوكمان ــ حسنا اذن ، اعدك ــ ، في تلك الحالة يمكنك ان تطبع مقالي ــ انشره بنصه الكامل

هوفستاد ــ هل لي ان افعل ذلك ؟ هل هذا وعد ؟

الدكتور ستوكمان (يسلمه المقال) . ها هو ، خذه معك . ولـن يضيرك ان تقراه ، ويمكن ان تعيده لي فيما بعد .

هوفستاد ــ حسنا جدا ، سأفعل ذلك ، والان وداعا ، دكتور .

الدكتور ستوكمان ــ وداعا ، وداعا ، سترى ان الامر سيسير بسهولة ــ سيدهوفستاد ــ بأسهل ما يمكن .

هوفستاد ــ احم ــ سنرى (ينحني ويخرج مارا بالقاعة)

الدكتور ستوكمان ــ (يذهب نحو باب غرفة الطعام وينظر الى الداخل) كاترينا ! اهلا ، بيترا ، هل عدت ؟

بيترا ــ (تدخل) ــ نعم ، لقد عدت توا من المدرسة .

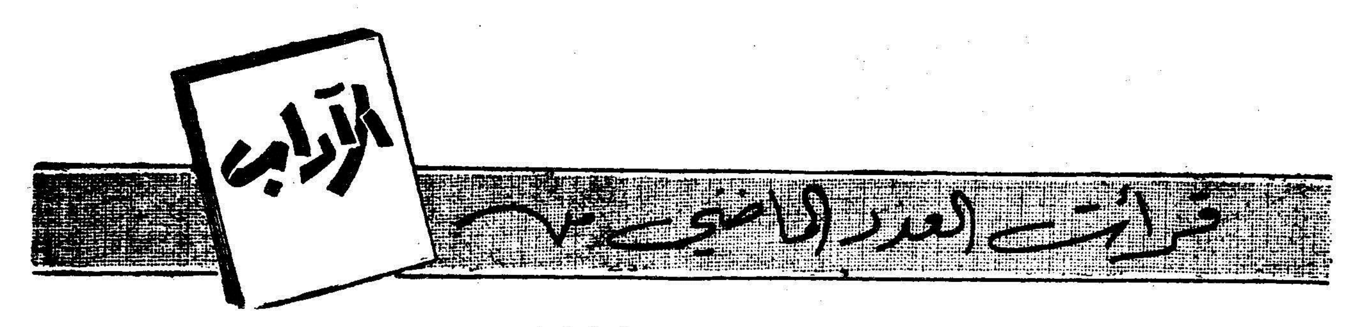
السيدة ستوكمان ــ (تدخل) ــ الم يأت بعد ؟

الدكتور ستوكمان ــ بطرس ؟ كلا ، ولكن كنت في حديث طويل مـع هوفستاد ــ انه متحمس كثيرا لاكتشافي . فقد اتضح ان اهميتـه اشمل كثيرا مما كنت اظن اولا . وهكذا فقد وضع جريدته تحت تصرفي ، اذا ما احتجت اليها .

السيدة ستوكمان ــ اتظن انك ستكون في حاجة لها ؟

الدكتور ستوكمان ــ ابدا ! ولكن ، في الوقت نفسه ، لا يسع المرء الا ان يفخر ان عرف ان الصحافة المستنيرة ، والمستقلة تقف الى جانبه. وما قولك في ان رئيس جمعية ملاكي الدور زارني ايضا ؟

ــ التتمة على الصفحة ٧٥ ــ



القصائد

بقلم الدكتور زكي المحاسني

« اوربانتيا » قصيدة منثورة للشاعر نزار القباني ، وحين أقول منثورة فانما اريد نثرها شكلا لا موضوعا على مصطلح تعابير الفن . وهي في نثرها جاءت شعرا على وحدة موزونة قوامها « مستفعلن فاعلن » اما الموضوع فيموج بصورة فتاة اسيوية يصفها الشاعر وصف تصوير في المقطع الاول بلمحات سراع ترسم انفها وعينيها وشفتيها ، وقد جمع هذه الملاحات من الارض والزهر .

وفي المقطع الثاني يضفي الشاعر من تلاوين حسه ونشوة تأمله على فتاته بهجة وروعة فاذا هي من أفاويه الشرق وفاكهته وجواهره حتى تبدو لك خافقة وكأنها راقصة هندية او صينية ، وفي المقطع الثالث يعود الى الصور المحسوسة ، وكم يجملها البعد عن الاغراق . وفي المقطع الرابع يلح الشاعر على الصورة الملموسة في وحدة فنية تبرزفتنة المرأة التي تزين صدرها .

ذلك طبع فن الشعر عند نزار قباني : ألوان زاهية فاقعة متماوجة يغمس فيها ريشته ليصور لنفسه المرأة التي يعجب بها او يحبها ، وصنعته ابدا شطران شطر يصور ماتراه العين بعد ان يخلع عليه مناظر الوقفات الفنية « البوزات » والثاني انه يسكب من شاعريته الفنية على تلك الصور الحسية ما يضمخها بالتأمل والحب والخيال وما لا يثير مكامن الفكر المتعب او ينقل القارىء من رموز فنية سهلة الى المعاني الملحوظة . وهو لايعوز قارئه الا الحس الرهيف ولمحات الخيال حتى يمضي معه الى أبراجه البعيدة .

لقد كانت لي ذكريات مع هذا الشاعر الموهوب ، بدأت بمصر حين كنت في جامعتها اتقدم لنيل الدكتوراه في الاداب ، فكنت ألقاه في سفارتنا وكان فيها مرموقا فيقرأ لي من شعره بواكير كنت اجدها فواتيح أمل بمطلع شاعر مجدد مبدع طاع من نحو بلادي ليكون ساطعا كما أراه اليوم .

وقد كنت أنكر عليه وعلى أمثاله من الشعراء المحدثين هذه البوادر في شعرنا العربي المبين فأخشى ان تفك من قوام القصيدة العربيةالجزلة وتدخل الضيم على الاداء في بيانه الاصيل ، ولكني بدأت أغير رأيي حين وجدته وأنداده مجددين في اكثر شعرهم هذا . وهذا لون ظهر في ادبنا المعاصر ولا بد من الاعتراف به .

اما قصيدة « العودة من النبع الحالم » ، فهي التي لم أسمعها من الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي . اسمعتني منذ شهر قصيدة اشد روعة وما زالت تدوي في خاطري مشاهدها في نهرها العميق الذي يجرف امال الانسانية ويطوي اعمارها نحو القبور في رثائها لفتى مات قبل الاوان .

قصيدة العودة من النبع الحالم ذات مقاطيع متعددة من الشعر الموزون المطلق في قوافيه . وقد سارت فيه مسير الشعر الغربي في تنويع القافية وترادفها ، وهي بين المطلق والمقيد بل هي ضرب من الشعر المنثور الجديد الذي لم توضع له قواعد واسس بلاغية حتى الان . وارى ان تجاريبه ستطول حتى تستقر على بيان مقبول وانظمة راجحة.

وقصيدة الشاعرة الجيوسي من هذا المصنوع الجميل ، وقد بذلت خيالا حتى تمثلت قولها « كنت حلما من حرير » وبحسبي ان اتمثل هذا الحلم لامر بيدي على ملامسه الناعمة بديل حلم من الصوف او القطن. وفي القصيدة أحاسيس وأنوار أشبه بدوامات حزن على فقيد .والقصيدة في ازدحام ابياتها مضيعة للصورة المقصودة .

مازال معجبا بالقصيدة التي لم تنشر ، والتي سمعتها من الشاعرة عشية انتهائها منها . وترتاح نفسي حين اقرأ لهذه الشاعرة اذ اراها ذات ثقافة جامعية .

واما الشاعر سليمان العيسى فهو احد افذاذ الشعر سمعته في حفول فوجدته شاعرا حماسيا مواتيا لطبيعة العزة القومية التي نحياها ، ومن الشعراء الذين وهبوا الالقاء الاخاذ الذي يضفي على الشعر اردية مسرحية ، وكنت اقدم اعجابا بصديقي الشاعر عمر ابي ريشة اذ كانت له مثل هذه المواقف حتى رحت اقرأ شعره مجردا منها ، بعيدا عن صخبها وسحرها ، لاروز حقيقة فنه وكذلك كان شأني مع قصيدة الشاعر العيسى التي سماها باسم بنته « بادية » وكم يشوقني شعر الشعراء في اطفالهم ، وكنت قلت الشعر في اطفالي حين تناغت افواههم الصغيرة ، فعدت بالذكرى الى هاتيك السوانح الحلوة من مواليدهم ، ورأيت « بادية » زهرة في برعم ريان ، طلعت من بستان شاعر فحملت اليه الامل والهدوء واطايب العيش . فهي تبدو له شعاع شمس ينير الغد وعصفورا يشقشق على شباكه . وقصيد الشاعر سليمان العيسى في طفلته التي شغفت قلبه حبا وأمسكت بخيط أمله ممدودا حتى يراها مثالا في النجيبات ، ريحانة شعرية ذات عبق فواح اذكرتني بديوان فيكتور هوغو الذي سماه « فن تكوين الجد » حيث كان يناجي بنته وولديها الحبيبين بمثل هذا الشعر المراح ..

وعهدي قديم بالشاعر « زكي قنصل » فهو من وراء البحار ، كان يرسل شعره مثل خطرات النسيم الذي يترامى على مهاد الشواطىء . انه نفحة عربية اصيلة ، بل هو قنصل ادبنا في ديار الهجرة الاميركية . وقصيدته « العدالة الجانية » قصة تصويرية لانسانة فقدت حبيبها وفقدت معه كل شيء ثم راحت تتردى في الفاقة والهوان حتى اتهمت بالسرقة فلقيت الجزاء ومات طفلها . وهي صورة لها مثيل في الحياة ، لكنها وهي في اطار من الشعر تعطيك لوحا فنيا مؤثرا يجعلها من الشعر القصصي ، وطريقة الشاعر زكي قنصل في اكثر شعره ماضية على هذا الاسلوب الاصيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و « يا قلب » قصيدة ايضا ، للشاعر « كمال نشأت » ، لقيته ذات مساء على جسر « الجيزة » الكبير بمصر ، تحت مساء موار بهواء رطب رخي . ثم غيرت سنون مالقيته بعدها الا في شعره وأدبه . انه شاعر مصقول النفس ممزوج الروح بالانسانية الصافية ، وجدت قصيدته المنثورة شعرا من وزن مهدج هو « المتدارك » في قواف مطلقة ثم متواترة . وهي خطاب منه للقلب . والقلب هو العالم بما فيه من سجن وحقل وبما يموج في أرجائه من فرحة ونور وحنين . وقصيدته تشبه ترتيلة مسيحية مقدسة تلمع فيها استعارة الصليب عند قوله في القلب « وتعذب فوق صليب الحب » .والحقيقة في الحب انه ملاق عذابة ، على الدوام ، وصليبه لم يكن له عذابا وانما كان شوقا الى الخلاص وهياما .

وقبيل ختام هذه القصائد ، قصيدة للشاعر رشدي صادق سماها « وانا ايضا اهوى النور » جاءت على مثال نثري موزون وكم يجمل به ان يقرأها لي لاترنم بها ، كما يترنم هو ، فلعل له طريقة في ادائها تخلع عليها رونقا ورشاقة ، على انها حافلة بالصور الشاعرة والروح النابضة

وكان الختام « غيمة الربيع » للشاعر حسن فتح الباب ، وهذه قصيدة سارت على مثال مشبه لمثال الشاعر نشأت ، ذات وحدة موضوعية معقودة الاستغراب على مرور غيمة الربيع .

وقد مرت في بعض هذه القصائد الفاظ لاصحة لجمعها في كلام العرب كالزهور والورود .

***

وبعد فلقد كان العرب يهجنون في انسابهم من لا يحمل الدم العربي في اعراقه وكذلك مضوا في تهجين آثارهم الشعرية وعندي ان الشعر الجديد الذي ظهر في أدبنا الحديث تصح فيه هذه الاشباه فاذا لم يدب في عروقه وكلماته بيان العرب الاصيل كان هدما للتراث الادبي الكبير الذي استطاع العرب ان يكاثروا به اداب الامم . واذا صنع هؤلاء الشعراء الجدد ما استطاعوا من أفانين القول في الصور والتماثيل والالهام فان عليهم ان يكون أداؤهم عربيا بينا فما ينبغي ان يدوم بناء الا اذا كان مكينا ، واما ما زخرف باللون وبطن بالضعف فلا يلبث ان ينهار عند ثورة الاعصار .

وان قرائح هؤلاء الشعراء قد نشطت في الشهر الماضي وهي تمضي نحو صيف لاهب وكم يعيش الشعراء في فصول اربعة من الهامهم قد تخالف ماعرفه الناس منها على الارض وفي وجه السماء . وللشعراء عالمهم ولهم فيه ايامهم ولياليهم ودورات افلاكهم التي تدور باشعارهم الجميلة ومن أطرفها وأحلاها ماقرأت لهم هذا الشهر في (الآداب) . فرحتاقول :

— لقد اصبحنا على ابواب أدب جديد .

دمشق — **زكي المحاسني**



القصص

بقلم مطاع صفدي

عندما تصفحت قصص العدد الماضي قارئا لا ناقدا ، قبل ان يصلني تكليف رئيس التحرير بنقدها ، خرجت بتساؤلي القديم ، ولكن على تحرق اعنف واشد : الى متى تظل قصتنا العربية في حدود المحاولة ، بينما تسير مختلف شؤون حياتنا نحو النضج السريع والتبلور الواضح في قوالب حضارتنا الجديدة حسب شخصية انساننا العربي الثوري.

ولست هنا في معرض البحث عن جواب لهذا التساؤل ، وقد تركت ذلك لدراسة شاملة لمشكلة القصة الحديثة (١) . بل اكتفي الان ببعض التعليقات ، ولا اقول الانتقادات ، حول قصص العدد الماضي القليلة ،متلمحا فيها بعض الاشارات التي تصح تطبيقا عمليا لهذه السمة الشاملة لانتاجنا القصصي ، وهي كون القصة ما زالت محاولة وليست انتاجا فنيا متكاملا.

ولابحث اولا عن النقاط الايجابية التي لابد لكل نقد بناء موضوعي من الكشف عنها ، ساعيا بقدر الامكان الى طرد جميع المقاييس العامة المعروفة عن القصة ، وجميع الاعتبارات الخاصة التي اؤمن بها عن فن القصة ، تاركا ذاتي لتأثير مباشر من هاتين القصتين اللتين بين يدي اولا : (العقاب) لثروت سرور ، و (خيوط رفيعة) لعلي بدور .

ان الهدف المعقول لكلاالقصتين يمكن ان يوصف بهذه السمة الشائعة في ايامنا وهي « الانسانية » . فالرجل الذي سرقه العربجي متاع بيته المتواضع الذي يمثل جماع حياته المادية والعاطفية ، يمزقه الحقد والغضب على السارق التعس الى ان يعثر عليه بواسطة الشرطة ،ويرى اليه هناك في زنزانته ، شيخا مهدما ، يكتشف فيه نموذجا للفقر والحرمان والمسكنة ، فينتابه الندم خاصة عندما يشاهد الشرطي يقوم بعمله « الرسمي » وهو الضرب المبرح والانتهار المذل لذلك الكائن الذي لم يسرق الا للجوع .

وفي قصة « الخيوط الرفيعة » لعلي بدور نرى الهدف نفسه واضحا ، بل اكثر من ذلك ، فاننا نرى النموذج الواحد تقريبا لبطل القصة وهو يتحول في عقدة القصة من شخص — الرغبة ، الىشخص — المعنى ، ان صح القول . فبطل الخيوط الرفيعة ، شاب يقتله فراغ مدينته ، يطلب متعة الجسد ، لعله ينسى ذلك الفراغ المرضي ، فاذا به يكتشف ، وهو في بيت للدعارة سري ، انه يطلب لا اللذة ، ولكن شيئا اعلى انسانيا — نظاميا — اذا شئنا ، يكتشف انه يريد « الابوة » عندما ينصرف عن الفتيات الى الطفلة الصغيرة ، المرمية من قبل عاهر محترفة في هذا البيت لتشرف عليها ام الفتاتين ، انه يكتشف أبوته تلقاء كشفه لطفولة البنت المعدومة من الاب والام معا .

والهدفان ارتقائيان ، بمعنى ان التجربة الذاتية في كلا القصتين تغني عمقيا ، في الوقت الذي يرتد فيه الفرد من مجرد الاستمرار الخارجي حسب منظومة ردود الفعل العاطفية المكرورة ، الى هزة داخلية تتيح له رؤية جديدة خاصة لحياته بين الناس ، وخلال تناقضات المجتمع .

الى هنا وقارىء هذا العرض يعتقد بان كلا الكاتبين قد وقعا حقا

(١) ربما سننشر هذا البحث في العدد القادم من الآداب تحت عنوان (أزمة البطل المعاصر)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

على فكرتين خصبتين لقصتيهما ، بل مشروعتين كذلك ـ وقلما يقع الفنان على فكرة خصبة فنيا ومشروعة اجتماعيا معا ، غير ان القارىء ما ان ينتقل من موقف التحبيذ العقلي لفكرة القصة ، الى ((معاناة)) القصة كأثر ادبي ، حتى تناله الصدمة . فانه يلقى نفسه في قصة ((العقاب)) ، تلقاء معروض صحفي منمق قليلا ، وامام حديث مقهى بين صديقين ، في قصة ((الخيوط الرفيعة)) . وذلك لضعف التأثير الفني، من القصتين ، ولفقرهما من الايحاء المعمق بأي بعد اخر ، خلف الاوصاف الجزئية ،ا لتي نالت السطح من كل شيء دون ان يستطيع الحس الدرامي لدى الكاتب استقطاب اية حركة متفاعلة ، يصح ان تسير في سيرها حوادث القصة ، فتقدم لنا ثمة منعطفات تلوها ذروات في الاعطاء المكثف ، الذي يكمن فيه كل التأثير الحاسم للاعمال العبقرية .

والواقع ان معظم قصصنا العربية تشكو من هذا النقص المطرد .انها لاتستطيع ان تفرق بين ((الكلام العادي)) و ((الاعطاء الفني)) ، بين السرد ذي الخط البسيط الواحد الممتد الى مالانهاية ، وبين ((اللوحة)) ذات المستويات المختلفة في الرؤية ، ذات الالوان المتشابكةو الخطوط غير المباشرة التي تلم بوحدة المنظر من صميميته الفنية ، لا الواقعية فحسب .

ولعل هذا النقص يرجع غالبا الى ضحولة الثقافة خاصة منها الاجنبية لدى كتابنا من جهة والى ضعف الحس الدرامي الذي يسبر الواقع الانساني في غناه وفي حركيته المتفاعلة ذات الابعاد العميقة المختلفة ، من جهة اخرى .

واذا رجعنا الى وقائع هاتين القصتين وجدنا ان ((الحادثة)) في سياقهما تكاد تؤخذ لذاتها ،دون ان تشحن باية لونية فنية ، دون ان تحلل الى اية دلالة نفسية او وجودية ، دون ان تشير الى اي افق ارحب من حدودها الزمانية المكانية . كما ان ((السياق)) يكاد يكون ((مكانيا)) صرفا . اي انه عبارة عن ((تلاحق)) الوقائع في منطقية الزمن الخام ، دون ان يكون لحدس الفنان اي تدخل ، دون ان يلقى على هذا التلاحق اي هامش من ظل الانسان الكاتب ، الذي ينبغي الا يقف دوره عند حد الالتقاط الخام ، بل تبرز شخصيته في انتقاء حادث دون اخر ، في زاوية المعالجة ، في طريقة ابراز لفتة واخفاء اخرى .

وبكلمة واحدة تنقص قصصنا ((ال فنية)) . والفنية لاتعني ابدا الشاعرية العاطفية ، او الصناعية اللفظية ، او اصطناع المحسنات الخارجة عن شخصية القصة الاصلية . ان الفنية هي الفرق الاساسي بين الحادث كما هو في واقع الحياة وبينه في الاعطاء القصصي ، هي الفرق بين الحكاية والقصة . والفنية هذه توهب وتصنع معا . توهب نتيجة الفطر ةالغنائية الاسيانة التي يعانيها انسان فنان يختلف عن غيره ، مهموم بالاصغاء الى هذه الغنائية ، مشوق للتعبير عنها . هذا التعبير هو محل الصناعة ، انه يصنع من تلقاء نفسه ، عندما يعي الفنان حاجته للتعمق والتجاوب مع اثار غيره ، وعندما تتوتر هذه الحاجة ضمن تجربة شخصية متشعبة ، تتضح فيها لصاحبها مفاصل الواقع الانساني بعلاقاته المتباينة ، وما يضم من قيم وابعاد . ويبقى هناك شرط اخير وهو الانتزاع الصادق للقصة من عضوية التجربة الشاملة للكاتب ، هو وحده الضامن للتأثير في القراء والناس الاخرين .

واما قصة ((العالم المسحور)) لمحمد حيدر ، فانها تبتعد عن كونها تلقينا لدروس انسانية . وهي على الطرف النقيض تقريبا في نوعيتها من القصتين السابقتين . انها صور متفرقة ذات مقطع عمقي ذاتي ،تنقل الينا ضمن اسلوب مغرق في فنيته، لدرجة التطرف ، مشحون بتوترات الكاتب الذي يعاني ، والمعاني الذي يعي. فمثل هذه القصة اقتطاع مرصوص من حياة شاب يستقبل مؤثرات العالم الخارجي ضمن انفعالات رفضية متأزمة لاتعني بقيمتها الموضوعية ، بقدر ماتتشبث بمعانيها بالنسبة للذات التي تدين المجتمع وتدين نفسها ايضا لانها جزء من هذا المجتمع وان كانت تعيش قعره المظلم ، ولكن تتحداه بان ترفضه ، بان تحطم معقوليته تلقاء نزوة لها ، ليست بذات قانون ولا هدف .

ان الكاتب لايسرد ، ولكنه ينفلت ثانية في واقعية فنية اخرى ،ترتفع فوق واقع التجربة الحقيقية التي عاشها مباشرة . ولكن قد يعترض علينا بعض ((الحكماء)) الذين يغارون على المجتمع ويرمون الكاتب بالسلبية والفوضوية والغموض الخ .. منه ذا القاموس المعهود . ويحاولون ان يطبقوا على الفن قيم الوعظ ، وعلى التجربة الشخصية تقاليد الجماعة ، وعلى النزوة الفردية المعبأة بتمردها الذاتي ، المقاييس السكونية التي تلتصق لا بشخصية معينة ، ولكنها باسم المجتمع ، او القطيع او ((الاخرين)) هذا الغفل من كل وجه او هوية .

والسؤال الان هل نجح محمد حيدر في هذا النوع من القصص الذي غلب على انتاج الكتاب في جميع انحاء العالم اليوم ؟.

ان محمد كتب هذه القصة منذ ثلاث سنوات ، ولذلك اهتم بقاموس القصة النموذجية عن هذا النوع ، اكثر مما اهتم بتطبيقها الفني . فأتى على مصطلحاتها كلها تقريبا ((معاشرة البغي ، والتشرد ، والسكر .... والضياع والضجر)) دون ان يعطي للقارىء مجالا لكي يستنتجها ولا يعقلها مباشرة . ولقد ظل تشرد البطل غاية في ذاته ، ولم يستطع ان يكون بؤرة معاناة يتكشف البطل على وهجها عالما من الحرية اعمق ، فيه يباشر مجهودا مباشرا لتغيير العالم الذي يرفضه الى العالم الذي تصبو اليه حريته . ولعل الكاتب ان يكون له من نمو تجربته عبر السنين الماضية ما يكفل له ثانية انتاجا اكثر قدرة على التعبير عن نموذجه الادبي المأساوي الخاص .

وفي العدد الماضي قصة مترجمة للكاتب الارجنتيني ((ادوار دو ماليا)) قدم لها المترجم الدكتور سهيل ادريس بقوله ((وتبلغ قصة ((العقل البشري)) ذروة رفيعة من تحليل الشك والقلق الذي يعتري الانسان في كثير من ظروف حياته ... ولا شك في ان نهاية القصة التي ترمز الى ضياع الانسان ضياعا سرمديا لا مرفأ امان بعده هي من أبرع النهايات في القصص الاجنبية)) .

لقد قرأت هذه القصة عدة مرات وظللت على شك مطرد من قابليتها للتطابق مع الاوصاف التي حملها عليها المترجم وخاصة منها مايتعلق بوصف النهاية من كون الانسان ضائعا ضياعا سرمديا . فلقد شعرت ان الكاتب ـ وهنا اتفق مع الدكتور سهيل ـ يملك فعلا ((حسة سرمدية اليقظة تلتهم كل التفاصيل والاحداث ، وكأنما القاريء ازاء فن للتشريح النفسي)) . ان طبيعة هذا الاسلوب الذي يتبعه الكاتب ـ وهو محاولة تقصي تفاصيل التغيرات النفسية بدقة كبيرة ـ هي التي تجعلني اشك ان الكاتب يهدف الى تصوير تجربة وجودية عن الضياع . والحق ان هذا النوع من القصص مغرم بالتقصي العلمي للتغيرات النفسية دون ان يستنطقها معناها ، ودون ان يعتمد الفن في خلق اجوائها . انها من مستوى القصص النفسي العلمي ، وليس ابدا من مستوى القصص الميتافيزيقي الفني . وقد يحسب القارىء احيانا ان كلا المستويين له دلالة واحدة ، وهذا هو مصدر الخطأ الذي يقع به كثير من النقاد

حتى الاجانب منهم .... ان قصص بروست عن « البحث عن الازمنة الضائعة » تمثل المقياس الاكمل للقصص النفسي . غير ان شاعرية بروست هي التي انقذت ملحمته تلك من غلبة الوصف العلمي عليها ،التي تتعرض لها عادة القصص النفسية . والحق ان كلا من الكاتبين النفسي والوجودي يحفل بالتتبع الذاتي المفرق للحوادث النفسية . ولكن بينما يقف الاول عند حد لذة الكشف ، كشف الاونية النفسية لذاتها ، نرى الاخر يتخطاها الى لحظة اشمل منها ذات ايقاع اعمق واظلم . ان اللونية النفسية وسيلة ، لا للتحليل ، ولكن لبناء الجو الوجودي العام الذي تسبح خلاله بعض اضاءات الكاتب وهو يترصد الايحاء ، الايحاء بالمطلق من وجهة نظر حرية الفرد وهو يتعمق قلقه ليحدد قيمة وجوده ،وبالتالي يكشف عن معنى الوجود عامة . وبعبارة اوضح ان القصة النفسية تتوجه الى كشف الواقع الداخلي للانسان ملحنا بايقاع فني . بينما تجهد القصة الميتافيزيقية في تقييم هذه الحالات من وجهة توتر القلق ذاته وامكان ان يكشف عن شعور اعمق بانبثاق الحرية في العالم لا حسب قيم الخير والشر « الاخلاق » بل حسب قيم الوجود والعدم « الميتافيزيقا » . والى هذا الشق الثاني من القصص ترجع تجربات الضياع ومشتقاتها . فهل يمكن ان تشف قصة « العقل البشري » عن مثل هذه التجربة حقا ؟

فلنر ذلك في القصة نفسها ـ وليعذرنا القاريء عن الاطالة ـ :

قلت ان ملحمة « البحث عن الازمنة الضائعة » لبروست تصبح عينة رئيسية عن القصص النفسي ، بينما نشاهد مثلا قصة « الغثيان » لجان بول سارتر تكاد تشبه القصص النفسي بما تحوي من متابعة شيقة للحالات النفسية للبطل « روكانتان » . الا انه بينما تتبعثر « حالات » بروست في تداع شارد لاهدف له الا التمتع بفرار لحظات الزمن من القدرة على استعادتها ليس على مستوى الواقع ولكن على مستوى التأمل المنعزل الاسيان ، فان « حالات » سارتر تكاد تشتق كلها من بؤرة وعي تقع في بذرة القلق ذاته من اعماق روكانتان وتنمو وتتطور ضمن « حالة » يتسع شمولها هي « الضجر » ... الضجر الذي يكون « ضجرا من .. » في بدايته . وهذه الـ « من » ترتبط بكل قوالب العالم الخارجي الذي لايصطدم بها البطل من خارج بل يجدها في اعماقه هو بذاته ، ثم يصبح في نهاية التجربة « ضجرا من .. من لا شيء » على الاطلاق. وعندها يتقيأ البطل صيغة وجوده الاولى كشيء من اشياء العالم المصنوعة من قبل جميع تصانيف الاخرين . ويبدأ صيغته الجديدة كانسان ، اي كامكانية خالصة كانت تطمسها من قبل امكانيات الاخرين المتشيئة « اي التي اصبحت اشياء » تعيق انبثاق الذات الخالصة التي تصنعهاحريتها الخاصة وهي تنطلق تقريبا من عدم الثقة بكل شيء ، من الصفر ، او بكلمة فلسفية من «العدم» ، ولكنه عدم حي، منه سيتوحد الانسان الحر.

فاين تقع قصة كاتبنا الارجنتيني من هذين النموذجين « بروست وسارتر » . انه في الواقع يرجع الى النموذج الاول« بروست » . فهذا الموظف البورجوازي « مونتوفيو » يكاد يكون معقولا في جميع حالاته النفسية . والكاتب يقدمه لنا في بداية القصة ضمن ارتخائه المادي ، كواحد من الارستقراطيين القدامى المتعطلين ، فهو مرتاح ـ بسبب ـ كونه قد سدد اقساط المنزل الجميل وضمن ملكيته للانسان الاخر داخل حدوده .. « لزوجته » الجميلة اللبقة ، البارعة في استقبال ضيوفه النظاميين في مسرته النظامية كل امسية من ايام الاحد ، والاحتفاء بهم .. وهنا يبرع الكاتب في تصويره حقا لاشكال هذه الراحة الارتخائية ولصداها في نفس زوجته ، غير « المرتاحة » ، تماما ..! ويمهد الكاتب للشق الثاني من القصة ، شق الاضطراب والقلق في نفس مونتوفيو ، بان يشير الى بذرة الغموض ، التي ستنمو الى عقدة القصة كلها ، وهي اعتكاف الزوجة بعد كل امسية استقبال في غرفتها وراء باب غرفتها « الموصد تماما » .

ولكن راحة الزوج لاتسمح له بان يعير هذه الظاهرة انتباهها ، ولا يقدرها حق قدرها ،و ذلك انسجاما تماما مع شخصيته الاولى ، التي لايقلقها شيء غير معقول في وجودها هي او وجود العالم الخارجي طالما انها تمارس تعادلها الاول من مقتنيات ملكيتها من الاشياء والناس « الضيوف المعجبون والزوجة الجميلة المتمردة بلباقة » .

درجة الاضطراب الاول تقع في هذا المستنقع من الوجود المختر«المرتاح» عندما لا يقنع مونتوفيو بلذة الفخر بممتلكاته امام اصدقائه الرتيبين، بل يسعى لدعوة رجل غني يشحنه بزرقة غرور جديدة . وهنا تلتقاء ارادة تملك اقوى واعقد ، يبدأ خوف مونتوفيو على ضياع مملكته وعلى عرشها الزوجة الجميلة . وتظل براعة الكاتب تشغل انتباه القاريء وتدفعه من شوق الى آخر ، كالاسلوب المثير في الروايات البوليسية ، بان تلقي على القصة جوا من الغموض والتحفظ لمعرفة نتيجة تحريات البطل عن الخيانة المزعومة التي اخذ يتوهمها في علاقة زوجته بالزائر الغني الطاريء . ويتابع الكاتب من جهة اضفاء الحركة على سير قصته ، وتغذية الشوق لدى القاريء ، بصبر لا ينفد ، وبأناة كبيرة تكاد تلم به بجميع دقائق التغيرات النفسية التي تعترم في نفس البطل الحائر ، القلق (من) صدق حدسه . ولا بد في هذه المناسبة من ان نسجل هذه الملاحظة : ان البطل في هذه المرحلة (مرحلة الاضطراب والشك) يكاد يفقد خصوصيته، باعتباره هذا الفرد وليس احدا سواه ، وتضعف براعة الكاتب حتى يتضح لنا تماما انه قد اصبح يتحدث عن نموذج نفسي هو الرجل الحائر الغيور على زوجته ـ وهذا اكبر مزلق للقصة النفسية عادة ـ ان مونتوفيو هذا الانسان ذا الصفات كذا وكذا في مكان معين وزمان معين يختفي ليحل محله النموذج النفسي المجرد الذي ينطبق على اي انسان في مثل هذا الوضع النفسي.

واما النهاية ، فانها بارعة حقا من حيث فن الحبكة القصصية .. انها مفاجاة ، اشبه بمفاجاة الافلام الاميركية .. توقع في النفس لذة الدهشة . ولكن لا تفسح ابدا مجالا للتاويل . انها مصبوبة كلها ضمن حوادثها المحدودة تماما ، ولا ثمة منفذ لاي رمز وجودي او ميتافيزيقي . فاشارة الاستفهام ذات وقع فني في النفس ، تحدث هزة نشوة . فلقد انتقل شك البطل من زوجته الى شكه في قدرته على انجاز حكم عقلي نهائي وتلك اشارة الى فقدان البطل لتوازنه الداخلي . وتلك نهاية مرضية ،اكثر منها ميتافيزيقية . حتى ان القلق الذي كان يخدعنا به الكاتب ان هو الا مجرد خوف له مبرراته ، انه خوف على حالة الراحة من التبدد . والخوف قد يؤدي الى القلق ، ولكنه لا يتحد به . وذلك هو مستوى الانفعال النفسي الذي يفترق عن مستوى الاشكال الميتافيزيقي ، اذ يمهد للكشف عن القلق المطلق وبالتالي لظهور الحرية الحقيقية .

مطاع صفدي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هؤلاء علموا سلامه موسى

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣٩ ـ

مستقبل الانسان على المسرح في درامته « الانسان السوبرمان » ، ويصفها سلامه بانها تشبه الامتداد الطبيعي لكتاب « اصل الانواع » .

وقد شغف شو بمستقبل الانسان لدرجة ابعدته عن الاشتراكية حين دعا الى ان يكون الحكم للصفوة الممتازة ، وان يترك الضعاف يموتون بعوامل ضعفهم . ولكنه عاد بعد ذلك يقف الى صف ليسنكو حين اكد ان الصفات المكتسبة تورث. وفي هذا امل لاصلاح الوسط . اي انه يمكن الوصول الى السوبرمان بالاصلاح العلمي للوسط ، دون الحاجةالى تنازع البقاء . والحق انفكرة « الانسان الاعلى » هذه منذ قالها نيتشه الى الان هي دعوة غير علمية ، لانها افراز حتمي لطبيعة مجتمع مريض يحدد عظمة الانسان على اساس بيولوجي جامد ، مغفلا عوامل التقدم الانساني الاخرى . وهذا دليل جديد على مدى الحقارة التي يحسها ذلك المجتمع نحو الانسان الراهن .

وخير ما اخذه سلامه عن شو هو هذا الروح العلمي الذي يسود مؤلفاته ، فقد كان مثله علمي الذهن ، ادبي الوسيلة، فلسفي الهدف . تميز بالتفكير العلمي والتعبير الاولي . وهذا الى انه حبب اليه الاشتراكية، ونقلها عنده من منطق العقل الى عاطفة القلب ، بل جعل منها ديانته العملية . فليس البر عنده هو الاحسان او الصدقة ، وانما البرنامج الاشتراكي في توفيره للشعب طعام الجسم وغذاء الذهن وحرية الضمير والاقدام على المستقبل .

يقول سلامه « وهو ـ اي شو ـ بعد داروين ، جعلني استمسك بالتطور واجعل منه الديانة المذهبية لحياتي وفكري وموقفي البشري. وقد كان هو يقول بالحاجة الى وزارة للتطور تعمل لترقية السلالات البشرية ، وهذا تفكير يعلو علوا عظيما على الصغائر التي يشتبك فيها صغار الادباء»(١)

واعظم ما يبتهج له سلامه هو ان يسمع شو يتحدث عن الحب حين يرتفع الى الثلث العلوي من الجسم البشري. ويقول « حين اعود الى الافكار التي بثها في نفس برناردشو ، احس ان حياتي ترتفع الى مقام التاريخ ، وان لوجودي دلالة فلسفية »(٢)

*

قال ويلز « لو كنت على سفينة ومعي برناردشو ، وبافلوف العالم الروسي ، ثم تعرضت السفينة للغرق واضطررت للاختيار بين انقاذ بافلوف او شو ، لانقذت بافلوف بلا تردد.»

وهذه الكلمات هي السائل المر الذي جرعه « هـ.جـ. ويلز » لسلامه موسى. فقد كانت رابطة الحب قوية بين سلامه وشو من جانب ، وبين سلامه والعلم من جانب اخر .

والخلاف بين ويلز وشو بدأ داخل جدران الجمعية الفابية ، فقد راى ويلز ان تهتم الجمعية بتحرير المراة ، بينما راى شو ان تتخصص في نشر المبادىء الاشتراكية فقط دون اي هدف اخر. وخرج ويلز من الجمعية .

وويلز هو الكاتب الانجليزي الذي رفع الصحافة الى مقام الفلسفة(٣) فقد اتخذ منها وسيلة حية لنشر افكاره . ويمكن تلخيصها في ان العالم

(١) و(٢) هؤلاء علموني ص ١٤١

(٣) «الصحفي هو اعظم الادباء في عصرنا» ويلز

هو قريتنا الكبرى ، فما يصيب احد الاقطار في اخر الدنيا ، يجب ان نهتم به نحن ، وما يفيض عن حاجة بلد بعيد ، يلزم ان يفيد منه البلد المحروم . فهذا العالم ليس ملكا لاحد ، لانه ملك جميع البشر .

ولم يتنبه سلامه موسى الى النظرية الاستعمارية التي ينطوي عليها تفكير ويلز. فلم يضع هذا المفكر الانجليزي تخطيطا علميا للانتاج العالمي، حتى نضمن « عالمية الاستهلاك » . وما قوله بان العالم هو قرية البشر جميعا ، الا تأييدا للفتوحات الاستعمارية ، حيث انها تستهدف الاستيلاء على موارد البلاد المتخلفة « فما دامت لا تستطيع استغلالها على نحو مرض ، كان الاوروبيين يستطيعون استغلالها على نحو اكثر رضا » (١) واغفل بذلك ان « تاخر » هذه البلاد ليس شيئا جامدا ، فالتقدم العلمي يسهم مع الشعوب في السيطرة على ظروفها ، وبالتالي على مواردها .

ولم يكن ويلز ـ فيما كتب من قصص ـ يعني كثيرا بالشكل الجمالي لاعماله الفنية . وقد كتب قصته « الحرب بين الكواكب » معبرا عن شهوة الاستغلال الكامنة في محتوى النظام الراسمالي. وربما كانت هذه القصة هي التي الهمت سلامه موسى التعرف الحقيقي على ويلز ، حيث قال في ندوة ادبية (٢) ان الكاتب ـ اي ويلز ـ لم يولد فينا اساسا مضادا للحرب ، بل احسسنا انه يلتذ لتلك المعركة الخرافية بين الكواكب ـ بعد ان يستولي عليها البشر ـ وهذا تعبير غير مباشر على ان ويلز كان يمثل روح المجتمع الراسمالي النهمة المولعة بالافتراس والحرب (٣)

(١) راجع « معالم تاريخ الانسانية » لويلز

(٢) قاعة فوكس « المركز الثقافي السوفيتي بالقاهرة »

(٣) مجلة العالم العربي عدد ديسمبر ١٩٥٧

صدر حديثا

كتـــاب

القومية والاشتراكية
في شعر الرصافي

اول دراسة من نوعها تكتب عن الشاعر

بقـــلم

هلال ناجي المحامي

تطلب من دار العلم للملايين

الثمن ٢٥٠ ق.ل او ما يعادلها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول سلامه موسى (ص ٧٧) « كان من حظي الحسن ان هبطت على الادباء الروس ، وانا في حوالي العشرين ، فارتفعت بذلك الى مستوى من التقدير للفن القصصي ، جعلني في مستقبل عمري ، أتأنق واحجم عن قراءة تاك القصص الانجليزية والفرنسية والامريكية ، التي لا ترتفع الى مقام المؤلفات العظيمة التي كتبها تولستوي ، ودستويفسكي، وجوركي، وجوجول ، وتشيكوف ، وتورجنيف»

اما دستويفسكي - بالذات - فقد تأثر به سلامه موسى لاعتبارين هامين . اولهما ان جميع قصص دستويفسكي دعوات الى الخير والحب والتضحية . وثانيهما حبه المسرف لشخصية المسيح ، حتى انه قال ذات مرة في حماس مفرط « لو ان احدا قال لي ان المسيح يجافي الحق ، ولو ان هذا القول كان صحيحا ، لاثرت البقاء مع المسيح على التزام الحق ».

ولا شك ان الاطار الفني الرائع الذي صب فيه دستويفسكي هذه المعاني ، هو الذي اسكر سلامه موسى بخمر لم تبارح فمه . لان تلك الغلواء في التعبير عن الحب، احتلت منه مكان القلب. فأمثال دستويفسكي وتولستوي « يحبهم » سلامه بقلبه . لانه يحس بالراحة نحوهم ، والاطمئنان في احضانهم ، وكأنهم قوة روحية تبعث الى الرضا . حتى انه يصف تولستوي بالابوة .

ومنذ ان صدر كتاب « هؤلاء علموني » وانا في نقطة خلاف هامة مع استاذي سلامه موسى. انه يؤكد ان من الممكن للانسان ان يحب الكاتب بقلبه دون عقله كما فعل هو نحو تولستوي ودستويفسكي. ولكني ارى ان الكاتب او المفكر او الفنان ، ليس من الاشياء التي تحب او تكره بالقلب دون العقل .. ذلك اننا لا نحب الكاتب لذاته ، وانما للتأثير او التغيير الذي يحدثه في الجماهير القارئة . فنحن حين نحب ، انما نحب هذا التأثير او التغيير .

والسؤال الان : ما هو التأثير او التغيير الذي احدثه دستويفسكي او تولستوي حتى يكونا جديرين بحبنا ؟

لقد اجاب سلامه موسى على هذا السؤال في نهاية مقاله الاخير في جريدة الاخبار . كان يعلق على فيلم « الاخوة كرامازوف » قائلا ان دستويفسكي لم يعد بذرة صالحة لتربتنا المكافحة . لقد اصبح « سما » وعندنا المصل الواقي في الانسان الكبير جوركي . ولعله اراد بذلك التنويه ان يعتذر عن ترجمته لجزء من « الجريمة والعقاب » عام ١٩١٢، رغم ان الرواية وظروفنا التاريخية في ذلك الوقت ، ما كانا يصنعان ضررا على اجيالنا .

وقد كانت الاحداث وحدها - في رأي سلامه - هي السبب في ابقاء دستويفسكي على ايمانه المطلق بالمسيحية. فقد حدث ان القى عليه القبض لاشتراكه في مؤامرة لترجمة احد كتاب اوروبا . وفي لحظة الاعدام ، اقبل رسول القيصر يحمل « العفو » . وكانت هذه المفاجأة سببا في تقويمة ايمانه المسيحي .

والمتعة التي يجدها سلامه في مرافقة دستويفسكي هو انه لم يقف عند اعتاب المسيحية جامدا، بل اخذ منها الجانب المضيء البناء ، وهو دعوة للتضحية والحب ، وجعل منها رسالته لاسعاد البشر . ولا يختلف التقديس العلمي للانسان عنه عند الكاتب الروسي ، الا في الوسيلة فقط. فهو يرى الانسان « افضل المخلوقات » والعلم يرى انه « افضل الموجودات » وكلاهما يسيران في طريق واحد .. وان اتبع احدهما جانبا ، واتبع الاخر الجانب المقابل .

★

والتحليل السيكولوجي العميق ، الذي انتهجه دستويفسكي في تشريح شخوص قصصه ، يتوقف عند حد التحليل دون التعليل ، والتشريح دون التبرير، والفن دون العلم . وهذا هو الدور الطبيعي للفنان ، وهو يختلف عن دور العالم . ولذا فاننا نقول ان سلامه موسى اخذ عن دستويفسكي الاضواء والظلال في انعكاسها عن النفس البشرية ، بينما اخذ عن فرويد النفس البشرية ذاتها .

وفرويد احد الخمائر الهامة في حياة سلامه . فقد اثبت هذا المفكر ان النفس البشرية ورثت وظائف وحشية قديمة ، واننا نألم ونبتئس لاننا في صراع لا ينقطع بين هذه الوظائف الطبيعية القديمة وبين قيود الحضارة التي تمنعنا من ممارستها . ونستطيع ان نلحظ « التطور » كمنهج نفسي للبحث عند فرويد . وهناك حقيقتان يتفرعان عن نظرية فرويد هما : ان الشهوة الجنسية هي الحافز الاول للنشاط البشري.. وان مستقبلنا الاخلاقي والمزاجي والعاطفي يعتمد الى حد كبير على ايام الطفولة الاولى .

ورغم ان سلامه موسى درس تلاميذ فرويد : اولر ويونج وريفرز ، الا اننا نلحظ في آثاره الفكرية (١) تأجحا ملحوظا بين المدرسة السلوكية الامريكية بقيادة واطسن ، والمدرسة العلمية الحديثة بزعامة بافلوف . فالمدرسة الامريكية لا تؤمن بالانفعالات النفسية في حد ذاتها ، وانما تحلل النشاط الانساني على اساس فسيولوجي . وربما كان هذا الاتجاه « رد فعل » للاتجاهات الميتافيزية في ميدان علم النفس . ولكنه اتجاه ميكانيكي جامد ينأى عن الواقع النفسي للبشر . ومدرسة بافلوف اكدت مشاعر الانسان وانفعالاته النفسية ، وان عللتها بالظروف البيولوجية والاجتماعية المحيطة به.

وتعريف فرويد للضمير الانساني ينبعث من صميم النظرية ، اذ يصفه بانه مجموعة من المحظورات تعلمناها منذ الطفولة . والحق ان فرويد كاد يتنحي جانب الصواب لو انه رافق الانسان في مراحل حياته المختلفة ، ودرس مجموعة ظروفه الخاصة ... حينذاك كان يدرك ان الضمير البشري يتطور مع الفرد بما يتلاءم مع تلك الظروف .

ومركب اوديب الذي اشتهر به العالم النمسوي ، يتلخص في ان الطفل يحب امه حبا جنسيا منذ ايام الرضاعة الاولى حيث يتمسح بها في لمسات جنسية .

وسلامه موسى لم يوافق استاذه في كل ما قاله ، بل هو يعترض عليه في عدة نقاط رئيسية :

* فايمان فرويد بان لنا غرائز موروثة ثابتة يعتبر شططا ، لانه اغفل قيمة المجتمع والبيئة في تغيير العادات الذهنية والاجتماعية للانسان .

* مركب اوديب ، لا يجب بالضرورة ان نؤكده كعقدة جنسية . فالطفل يغار من ابيه فعلا ، ولكنها ليست غيرة جنسية تماما . اي مركب اوديب ليس ميزان النفس البشرية .

* الافكار البشرية جميعها ، انما هي رجوع انعكاسية مكيفة اي معدولة عن المرجع الاصلي . وسلامه هنا يتفق مع بافلوف .

حقيقة الامر ان فرويد وسلامه كليهما ، كانا في حاجة واضحة الى كلمات العالم الالماني مورجان حيث اوضح في بحثه المسهب الجذور البعيدة لاصل العائلة . وكشف عن حقيقة العلاقة التاريخية بين الابن من

(١) العقل الباطن - عقلي وعقلك - محاولات سيكلوجية - دراسات سيكلوجية - السيكلوجية في حياتنا اليومية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جانب ووالديه من جانب اخر . وهي علاقة في منتهى التعقيد تتناسب طرديا مع تقدم المجتمع الانساني على مر العصور ، وتتصل بتطور الملكية الفردي مع الانظمة الاجتماعية المختلفة.

ولكن هذا الاختلاف الواضح البين بين المعلم وتلميذه ، لم يدع سلامه الا ان نقول ص ١١١ « كان فرويد بمثابة الخميرة ، التي بعثت عندي سلسلة من الافكار ، لما تنته حلقاتها ، وهذا هو اكبر فضل في تربيتي»!!

★

وكما توصل فرويد الى ان سلوكنا الحاضر يرتد الى ايام طفولتنا الاولى، فقد اهتدى سلامهموسى الى الرجل الذييعيد حضارتنا الانسانية الحالية الى جذر واحد هو : مصر .

هذا الرجل هو اليوت سميث ، وكان مدرسا بطب القصر العيني، ولكن هوايته شغلته عن مهنته ، فاحترف هذه الهواية بشغف وهي «تاريخ مصر ».

ونقطة البداية عند سميث ان الإنسان البدائي في مصر ، كان يجمع الطعام من الغابات .ثم رأى ، على توالي السنين ، ان فيضان النيل يعم الوادي في مواعيد منتظمة كل عام ، حتى اذا انحسر انطلقت النباتات تكسو الارض بخضرتها ، فكان يجد فيها طعاما . وفهم بالتكرار ان الماء اصل الحياة ، وهو اصل النبات ، فشرع يحتجز الماء هنا ويطلقه هناك، ويضبط الري. وهذه هي الهندسة الاولى .

وظهر عندئذ التخصص : مهندسون ينظمون الري ، وفلكيون يعينون اوقات الزراعة . وهؤلاء لا يزرعون ، وانما يعيشون بالفائض من المحصول وهنا تنشأ الحكومة يرأسها مهندس اوفلكي تنسب اليه صفات الالوهية لانه يدري ما يدريه غيره من الهندسة والفلك كانه ملك او اله ، فاذا مات صار قبره معبدا . وهذا هو الدين البدائي.

والارض الزراعية تحتاج الى حدود تحترم من الجيران ، والى محكمة تعاقب المعتدي ، والى صناع للالات الزراعية . ونشأت بذلك الحكومة والتجارة والفنون .. والحضارة الاولى .

والمرحلة الثانية من بحث سميث هي كيفية انتقال هذه الحضارة من مصر الى بقية انحاء العالم . ويقول سميث ان الوسيلة في ذلك هي البعثات المصرية التي كانت تسافر بقصد التجارة الى البلاد الاخرى. ويستشهد في هذا الصدد بما عثر عليه في بلاد كثيرة من آثار وكلمات ومعابد وعادات مصرية .

وعلاقة الحب التي نشأت بين سلامه واليوت سميث، ليست بدافع وطني كما يظن الباحث لاول وهلة ، وانما بدافع بشري . والخط الرئيسي الذي ينتظم دراسة سميث هو ان الوسط البيئي ـ وليس الذكاء الخارق ! ـ هو ما هدى المصريين الى الزراعة فالاستقرار فالحضارة الاولى. ولولا وجود نهر النيل بمواعيده الثابتة ، ما كان للمصريين هذا السبق.

يقول سلامه (ص ١٢٠) « لم اكن انبعث في دراساتي للفراعنة بباعث وطني. ولم يكن لفتوحات تحتمس ورمسيس وامثالهما ذلك الوقع الذي يحسه اولئك الذين يستخدمون التاريخ لاشعال الوطنية . بل كذلك لم تكن دراسة التاريخ عندي محض السرد للقصص والتراجم والحروب . وظني انه لو لم يكن وراء دراسة الفراعنة هذه النظرية القائلة بانتشار الثقافة من بؤرة الضريح المصري لما كان التفاتي يزيد على المطالعة العابرة. ولكن هذه النظرية كانت تحوي العديد من المركبات الثقافية التي جذبتني وحملتني على التفطن لاصول الحضارة ، ومن هنا اغراؤها القوي لاستمرار الدراسة. واحساسي نحو الفراعنة لذلك هو احساس بشري وليس وطنيـا » .

وفي مكان اخر (ص١٢١) يؤكد ان « الحضارة عالمية ، قد اسهم كل شعب بنصيب فيها ، واذا كان للمصريين فضل الاختراع للكتابة ، فان للهنود فضل الاختراع للارقام ... ولولا الاغريق ما كان يمكن للمنطق ان يتغلب على العقيدة. ولولا الامبراطورية الرومانية ثم الامبراطورية العربية لما تعارفت الشعوب هذا التعارف الذي انتهى بوجداننا البشري الحاضر».

ماذا علموه ؟

راودني هذا السؤال كثيرا ، وانا أقرأ كتاب « هؤلاء علموني » : هل هؤلاء فقط هم الذين علموا سلامه موسى ؟ الكتاب نفسه يجيب : لا ! اذا ان مئات الكتب التي انكب عليها خلال حياته العريضة ، تحمل اكثر من الثمانية عشر اسما الذين احتواهم هذا الكتاب .

وقد نعلل ذلك بان اصحاب الاسماء التي وردت في هذا الكتاب ، هم الجذور الاصلية لثقافة الرجل ، وهم البذور والخمائر الاولى التي رسمت الخط الرئيسي الاول في خريطة حياته . وهذا صحيح . وان كان هناك اسمان ، لا اشك مطلقا في ان صاحبيهما كانا على صلة عميقة جدا بسلامة موسى ... وادهش كثيرا حين اجده لا يذكرهما في فصلين مستقلين،رغم انه ردد ذكر احدهما مرتين، وفي عدة صفحات ، بينما وصف الثاني بانه احدث انقلابا في تفكيره كله .

هذان الاثنان هما : تولستوي وماركس . والاول كان له الاثر الكبير في حياة المؤلف وتفكيره، حتى انه يلقبه ب « بابا تولستوي » . وقد اوغل في ذلك لدرجة انه كان يتحدث عن غاندي مثلا ، وحين يذكر مزرعته التي اسماها « مزرعة تولستوي » ينسى غاندي تماما ، ويبدأ في الحديث عن تولستوي ، وهو حديث غرامي ملتهب بين رجلين يقدسان الشهوات الذهنية تقديسا كاملا . وكذلك الحال ، حين تحدث عن هنري ثورو ، فقد استطرد ـ بطريقة مغرية ـ في التحدث عن تولستوي وحياته ومأساته . فلماذا لم يرحنا ، ويكتب فصلا مستقلا عن تولستوي .. لقد صدر هذا الكتاب عام ١٩٥١ ، ويبدو ان سلامه موسى تنبه الى هذه النقطة، فقد استطرد ـ بطريقة مغرية ـ في التحدث عن تولستوي وحياته والاثار الذهنية التي اوحى بها اليه .

والمعلم الثاني الذي نسيه المؤلف هو كارل ماركس . والتأثير الضخم الذي حفره هذا المفكر في قلب سلامه وعقله لا سبيل الى انكاره. حتى انه في احد كتبه (١) يصفه بانه اعظم فيلسوف في الوجود . ثم هو يقول في غمرة حماسه لنظرية سميث « ولا يعدل هذه الغبطة عندي ، سوى اهتدائي الى نظرية التفسير الاقتصادي للتاريخ » (٢) فنحن نرى ان هذه النظرية الاخيرة ، هي الميزان الحساس ، الذي يزن به سلامه كل ما التقى به فيما بعد ـ وفيما سبق ـ من نظريات . والنظرية في حياة كاتبنا لا تكتمل الا بالتطبيق ، وهنا نلمس مدى الخطورة الموضوعية لنظرية ماركس من حيث اقترانها عندسلامه بالتطبيق العملي. ورغم ذلك، فلم يفرد عنه للاسف، الا عدة صفحات نستمد من خلالها الاثر السيكلوجي

---

(١) سلامه موسى ـ برناردشو ـص ٧٨

(٢) هؤلاء علموني ص ١١٥

لعثوره على هذا المعلم . ولكنه عاد في كتابه « تربية سلامه موسى » (1) فاعتذر عن موقفه هذا بأن الفترة التاريخية التي نشر فيها كتابه ما كانت تسمح له بتلك الصفحات .

✶

وقد كان المؤلف صادقا كل الصدق ، اذ اقتصر بعد ذلك على من ذكر من معلميه . فجميع مؤلفاته تثبت انه شغل بهم وبحياتهم وبنظرياتهم طول العمر . فهو يكتب مثلا كتابا كاملا عن « برناردشو » ، وكتابا عن نظرية اليوت شميث ، وكتابا عن « العقل الباطن » كما قدمه فرويد وتلامذته، وكتابا عن « غاندي والحركة الغاندية » وترجم جزءا من رواية دستويفسكي « الجريمة والعقاب » .

ومن هنا نستدل على انصلة المفكر المصري باساتذته هي علاقة حب وصداقة ووفاء يدوم العمر . وان آثارهم السيكلوجية التحمت بدمه واكسبته دلالات حية .

ومن تلك الدلالات الايجابية نظرته التطورية للموجودات ، التي راغقت سلامه موسى منذ تلقفها من داروين الى ان تهذبت النظرية نفسها فيما بعد على ايدي من تلاه من الفلاسفة والعلماء. وقد اكسبت هذه النظرية سلامه موسى روحه العلمي في التعرف على الاشياء ، واسلوبه التجريبي في علاج مشكلاتنا .

وبواسطة جوته استطاع ان يكون موسوعي الثقافة ، كما يتضح من مؤلفاته العديدة في الادب والفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس والبيولوجيا .

ومن ويلز اتخذ من الصحافة منبرا حيا لتبسيط افكاره وعرضها في وضوح.

وكان سلامه في كل ذلك ايجابيا حين افاد من اساتذته نظرياتهم وفلسفاتهم . حتى انه نقل عن هافلوك اليس طريقته التجريبية ، فدعا الى ان يكون الغاء البغاء في مصر ـ بالتجربة العملية ، اي ان نلغيه في مكان ما ونبقى عليه في مكان آخر ، ونسجل مدى ما سيحققه الالغاء من نجاح او فشل .

✶

ومع ان سلامه موسى قد رافق الجاحظ وابن رشد وابن سينا وغيرهم من المفكرين العرب العظماء، الا انه لم يذكر واحدا منهم ضمنالذين علموه. والحق ان الرجل ـ كما قلت ـ لم يذكر سوى الذين خططوا منهج حياته الفكرية . ولم يكن من بين هؤلاء مفكر عربي . لان ظروف النشأة الاجتماعية لسلامه موسى لم تتح لم فرصة اللقاء المباشر مع الفكر العربي. فقد سافر الى اوروبا في سن مبكرة (١٦عاما) ، وما ان عاد الى مصر حتى كانت حياته قد اخصبتها تيارات الفكر الاوروبي الحديث التي لا تلتقي مع تيارات الفكر العربي القديم .

✶

ملاحظة هامة نخرج بها من القراءة السطحية للكتاب ، هي ما نلمسه من « خروج عن الموضوع » في بعض فصوله . والحقيقة المتانية ، هي انه ليس خروجا عن الموضوع ، بقدر ما « هو خروج عن الشكل » . فقد تستوجب الفكرة التي يعالجها الاستشهاد بمثل معين او ذكر حادثة معينة . فليس هناك من خطأ حين يذكر هذا المثل او تلك الحادثة ، ولكن الخطأ هو ان يستطرد في تسجيل الملابسات والظروف التي صاحبت المثل او الحادثة . ويتضح هذا بشكل ظاهر في حديثهعن ثورو وغاندي ، وجنوحه الى حديث طويل مسهب عن صديقه تولستوي. حقا انه من الواجب انيذكر تولستوي عند الكلام عن غاندي ، فقد تأثر هذا الاخير به حتى انه انشأ مزرعة باسمه ، ونفس الموقف ـ او يشبهه ـ بالنسبة لثورو ، ولكن هذا لا يوجب الاستطراد الذاتي ، الذي لا يزيد القضية تأكيدا .

والملاحظة الهامة الثانية للقراءة العميقة ـ هذه المرة ـ للكتاب ، تقرنا على ان ملامح معينة ، او سمات محدودة ، تكاد تكون طابعا عاما مشتركا بين كل الذين علموا سلامه موسى رغم القرون المذهبية الشاسعة التي قد تفرق بينهم .

واولى هذه السمات هي « الثورة» فقد كانوا جميعا ثائرين ، سواء في ميدان العلم أو الادب او الفلسفة او التاريخ او النفس او الدين .

والسمة الثانية هي « الحرية » التي مارسها جميعهم في حياتهم وتفكيرهم ، وما انتهوا اليه من فلسفات .

واخيرا « العلم » الذي طبع كل افكارهم ، بالبساطة والوضوح والتجربة العملية، وتصفية الحقائق من المعارف .

والملاحظة الثالثة ، ان الكتاب الاول الذي كان يوليه سلامة عنايته الكبرى ، حين يتعرف على احد المؤلفين هو « حياة » هذا المؤلف . والعبرة الفلسفية التي استخلصها من خبراته وتجاربه في الحياة . وهذا هو التفسير الواقعي لحياة سلامه موسى ، التي تكاد تكون سيمفونية رائعة من الفلسفة والعلم والحب . لقد تعلم الرجل ان يحيا حياته . وهذه هي الدعوة التي تنعكس في كل مؤلفاته : ان نعيش حياتنا .

القاهرة — غالي شكري

صدر حديثا

المحيط في ادب البكالوريا

الجزء الاول

الاستاذ جبران مسعود

نصوص ـ أسئلة ـ دراسات ـ موضوعات ـ مصادر ومراجع

اول كتاب من نوعه

توزيع مكتبة انطوان

(1) طبعة ١٩٥٨ ـ نشر الخانجي بالقاهرة .



الشعر العربي ودعاة التجديد

بقلم : اسماعيل عدره

يجتاز الشعر العربي منذ سنين ، مرحلة ، ستعتبر حاسمة في تاريخه ، كفن صور الى اقصى حد الحاسة الفنية والتجارب النفسية والفكرية العامة ، التي يعانيها الشعب العربي منذ اجيال بعيدة . ولقد عملت مباضع النقد المختلفة ، النزيهة والمغرضة ، عملها العنيف في جسد هذا الشعر ، وغاصت فيه الى حدود بعيدة الغور ، عميقة ، استنبطت منه الدر فارته لمن يبصر فابصر نفر وتعامى آخرون ، واستنزفت دمه وارته للمتعامين مصلا هزيلا خاويا ، فمج ونبذ من هذا النفر المتعامي ، حتى وصل المرحلة الحاضرة ، فاذا به يستحيل لدى الاستاذ اسماعيل مصطفى الصيفي، كتلة سديمية ، متحجرة جامدة (١)!

لـم ؟

«لان طبيعة الشعر العربي ـ الحديث ـ انفجارية حركية متطورة تأبى هذه الزخرفة الرتيبة »

ولـم ؟

لان الشعر العربي « ذلك الشكل الثباتي الجامد » لا يحقق « هـذا الشكل الحركي المتطور » !

هكذا يقرر الاستاذ صيفي .

مسكين شعرنا !.. لقد عيبت عليه انطلاقيته وغنائيته ، وما اكثر هؤلاء العيبين ، وعري من صوره كشجرة في ريق الربيع ، وتمادى الناقدون الحاقدون فوسموه بالخطابية ، وباللفظية ذات الايقاع المترنم المستحوذة على المضمـون فجاء لونه باهتا « جامدا » !

ولنتساءل : كيف نجمع ، وكيف ينبغي لنا ان نجمع بين « غنائية » الشعر العربي الموسوم بها أبدا ، والتي حطت من شأنه ، وغضت من قيمه الفنية واغراضه الانسانية ، وبين تجريده من هـذه الغنائية ـ الايقاعية ، واستحالته لدى الاستاذ اسماعيل الصيفي ، الى شكل سديمي جامد متحجر ؟!

لنترك التعميم ..

يأخذ الاستاذ الصيفي على الشعر العربي تحجره بتساؤله : « هل كتب لموسيقى الشعر العربي ان تتحجر فلا يسمح بتطويرها » ؟

وأجيب : اي تطوير يقصد اليه الاستاذ الصيفي ؟

التطوير في مفهومه الفكري والعملي ، نزوع الى الاكمل في مجالي الحياة العامة ، يتوقد فيه عقل يبدع ، وتنبثق منه عاطفة مشبوبة ترسم للحياة جدة ومتعة وجمالا ، وتبدد من المشاعر الحاسة ضبابية الفكر العاتم ، فتأتي القيم بفجرها الجديد ومثلها النيرة .

هذا هو التطوير في خطوطه العامة ، فهل خطا الشعر العربي«الحديث» هذه الخطوة المتطورة ، وقصر الشعر العربي هذا المجال فجمد ؟.

يتهم دعاة الشعر العربي « الحديث » ، الشعر العربي اتهامات ليس في مقدور المرء ان يحصيها ، لانها لاتقف عند الجانب« المتحجر » الذي صبه الاستاذ اسماعيل الصيفي على شكل احكام مبرمة، بل قد تشتمل على كل انطفاءة في شعلة الفكر العربي ، او عجز في السمو بالفن العربي عامة . وهم ازاء ذلك ، أطباء حكماء ، وهذا الشعر سقيم عليل ، ينبغي ان يعالج بروح الابداع والتجديد ، ولكن لا ابداع ولا تجديد الا بتبديل «هيكله» وتعريته من حلتـه التـي ولدت معـه كحاسة أزلية ، واذ ذاك يشفى المريض ويعود للحياة غيره في الامس ، وحتى لو رآه ذووه فاستنكروه واستنكروا هذا الثوب « الجديد » ، فهم حينئذ اهل لا يهدفون « الى تحرير لحظة الابداع من القالب المحدود سلفا .. » !

ان هؤلاء « المجددين » يذكرون الانسان العربي بالدكتور عبد العظيم انيس والدكتور انيس فريحه والاستاذ بدر نشأت وغيرهم ممن قالوا او فكروا بانه ينبغي للغة العربية ان يصيبها عامل التجديد، بتقسيمها الى عدة لغات حديثة ، على غرار اللاتينية ، فيكون من ثم ، اللغة المصرية واللغة العراقية واللبنانية .. تماما كاللغات التي قامت على انقاض اللاتينية !

ويطوف هؤلاء الدعاة الشعراء ، في حلقة الاوزان ..

فهل هذه الاوزان والتفعيلات ، وهذا القالب الغنائي ، وبخاصة الاوزان ، عامل تجمد في انطلاقة الفكر العربي الشاعر ؟

لقد ولدت هذه التفاعيل حية قوية ، متناسقة ، مستوسقة ، متطورة ، لانها نتاج البديهية الاصيلة وعفوية الطبع المطبوع، فلما يتاح لمثلها ان كان ثمة مثلها ، ان تخلق الشعر !.. ان هذه التفعيلات قانون حي من قوانين الاحساس النامي ، المتجدد الصامد ، غير قابل في حال ، اي تجديد يغاير اصالته وطبيعته . انه فن متكامل ، سمق بالايقاعات الهازة ، والترنيمة الشيقة ، فنوه بجماليتها عديد من قادة الفكر : عربا ومستشرقين ، واشادوا بالسليقة العربية التي كان من نتاجها ، هاتيك الدفقات الثرة من تاريخنا الادبي التي نجهد لانتاج مثيلها وترصيع صفحاتنا المعاصرة بالوان زاهية من اشراقها .. واعتقد ان الاستاذ اسماعيل الصيفي يدرك تماما ، ان شعرنا العربي ، اذ انحرف عن طبعه، ضعفت روحه ، ووهنت صوره ، وسار في انحداره حتى ادرك « عصر الانحطاط » مودعا صفي الدين الحلي ، ومستقبلا يوم ذاك والى ما قبل حين ، « شعراء » استغفر الشعر والشعراء ان يمتوا اليهم بنسب!

وعزونا انحدار الشعر العربي بعدان صوح العهد العباسي الزاهر ، الى الحالة السياسية والاجتماعية ، التي تردى فيها الوطن العربي ، ففصمت الآصرة التليدة التي تشد العربي في مجاله الفني ، الى ابي الطيب وابي تمام وابي العلاء وجرير ولبيد وطرفة ، وحتى اذا انقضت تلك الحالة ، وانقضى معها عهد القهقرى الفكرية ، وعاد العقل العربي الى توهجه ، جلا الاجنبي عن اجزاء من الوطن ، مخلفا وراءه اثرين سيئين في جبين الفكر العربي المعاصر : اولهما ، هذه النظرة المترعة بالاستخفاف التي ينظرها عديد من شبابنا المتأدب الى كل تاريخنا ، وبخاصة الى الشعر العربي الذي يسمونه « « بالقديم » » ، وثانيهما هذا النمط الغريب الذي تحيف الشعر العربي ، واستنه ذلك النفر « المجدد » ، ودعاه « تجديدا » » ، وما هذا « التجديد » الا شكل من اشكال الشعر الاجنبي الحديث خاصة ، ولاسيما شعر : غارسيا لوركا ومایاكوفسكي ونايرودا وناظم حكمت ،وليس بين هذا الشعر وأي شعر اخر ، بله العربي ، اية صلة ، سوى هاتيك التفعيلات التي ارغم الشاعر العربي « الحديث المجدد » على استخدامها في اوزانه « المبتكرة » لانه ليس بقادر على ان يبدع تفاعيل جديدة ،

(١) العدد الخامس ١٩٥٩ من مجلة الاداب

وليس عجزاً منه ، هذا ، اذ ان هذه التفعيلات بصورها الحية المحافظة على الجده والمتانة ، لتمتنع باباء على كل نشاز او رج في سلمها الموسيقي السليم !

وليدلل الاستاذ الصيفي على خلو شعرنا من ايقاعاته الهازة ، اورد ثلاثة ابيات لابي الطيب ــ نعم لابي الطيب ! ــ هي

متخضب بدم الفوارس لابس في غيله من لبدتيه غيلا
ويدق بالصدر الحجار كانه يبغي الى ما في الحضيض سبيلا
والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قيلا

وبحكم مبرم يعري الاستاذ الصيفي هذه الابيات من كل ايقاع شعري مرن ... ان فيها « الراء والسين » ، هذين الحرفين اللذين استعملهما ابو الطيب اعتباطا ، فاضطرب التموج الموسيقي ، وذهبت ، من ثم جمالية الاداء !!

وانا لا اعتب الاستاذ الصيفي ، هنا ، لانه في ما كتب او نظم ، شاعر متعصب « للحديث » على « القديم » ، ولولا خوفي على أمير الشعر العربي المعاصر ان تصيبه يراعة الاستاذ الصيفي كما اصابت امير الشعر العباسي ، لترنمت بقوله :

ان التعصب مانع ان تبصر العين الصوابا !

والا ، اي نشاز ايقاعي في ابيات ابي الطيب ؟

لقد تلونا الابيات في احدى ندواتنا الادبية ، وهزجنا مع تفعيلاتها وانسيابها الموسيقي فلم نجد فيها ما ينبغي ان « ينزع من الشطر الاول ليعطي للثاني » .

فأي عي في لسان هذا الشعر المجنح ابدا ، واي فقر في غناه؟!

واية ايقاعية مرنة في الشعر « الحديث » ؟

اخي :

ما زال في العرب

يا اصدقائي رجال يومهم ضحك

لو يقبل الملك ..

لم يسكتوا .. ؟

واذا جوز الشعراء العرب ان يصيب شعرهم : الترفيل او التشعيث، والتجزئة والانهاك ، والشطر او الصرع ، فهل هذا تجديد كما يرى الاستاذ الصيف ؟.. ان هذه الانماط صور حية من القالب الشعري العربي استخدمها امرؤ القيس كما استخدمها سليمان العيسى او يوسف الخطيب ، وهي في انسيابها الايقاعي على طرفي نقيض وهذا الشعر « الجديد » . ومغفرة السياب ونازك الملائكة ، اذ كل منهما اصر انصاره على انه المبدع الاول لهذا النمط الشعري الجديد ، على حين تطاول عبد الوهاب البياتي ليستلم شرف هذا الابداع الرائع . واستغفر الشعر العربي في هذا الوليد الاجنبي الوجه والثقافة والحلة ..

كم قبس البياتي من ناظم حكمت وغيره ؟

وكم ارتاد مناهل لوركا ونيرودا وغيرهما ؟

وكم نسي هؤلاء وامثالهم ارادة الخلق العربي في المجال الفكري الوهاج ليحتاجوا من الشعر الاجنبي موضوعا واسلوبا ، ونمطا وكيفية ، وليغنوا مع عبد الوهاب البياتي :

من قلة الخيل

شدوا على الكلاب

سروجهم ، ونبحوا السحاب

اصبت بالقرف

منكم ومن اشعاركم

يا خنافس الخزف ..!

أهذه هي التفعيلات الجديدة ، او هذه هي الانماط المبدعة الخلاقة ؟

لقد نظم هوغو « كفارته » على بحرين : احدهما طويل والاخر قصير ، وتمنى هوغو ان ينجو من هذا المنحى في الملحمة الخالدة «الكفارة» ولكن صور الملحمة الثرة وغناها الفكري ومداها الرحب ، وقدسية الامبراطور الغازي في نفس الشاعر ، حدت به ان يسلك كل هاتيك الملحمة الرائعة في بحرين فحسب . والشعر الاجنبي نفسه ، الذي أغنى الوجدان الانساني بصوره الرائعة ، هذا الشعر نفسه لم يعرف هذا اللون من الشكل الحديث!

ان انسياب الشاعر مع دفقات الفكر ، حين ينساب بتوهج واصالة الهام ووحي وابداع ، تتطاحن دونه هذه الاوزان المبتورة ، وتحتشد في مخيلته المجنحة ، افكار ومعان وصور والفاظ ، يستوعبها القلب الاصيل، ويستوسقها كينبوع رقراق ، اختط له طريقا لامعا ، في ارض معشوشبة، يظلها وارفات الاشجار ، وتغني له نياسم ندية ، منعشة ، وتصونه اغنية خالدة ، يغردها له طيور عبقرية ، جناح لها يرفرف لابن كلثوم وابن حلزة وامرىء القيس وابي الطيب .. واخر يصون هذا التراث الفني من عاديات التجديد الدخيل .

انني لامتنع هنا ، عن المقارنة بين النماذج « القديمة » كما يسمونها، والنماذج « الحديثة » ، او بين شعراء هذين الاتجاهين ، اذ لا مجال ابدا للمقارنة . فما يولد اصيلا يلازمه التجدد في الصقل ورقة الطبع ومتانة السبك ، والدخيل راجع ، لا محالة من حيث اتى .

اسماعيل عدره

أمتنا وحرية الفكر

بقلم احمد صدقي الدجاني

في وثبتنا الرائعة لتخطي جميع الحواجز التي تفصلنا عن منابع قوتنا، وفي جهادنا المرير ضد قوى الشر المجتمعة للقضاء علينا بالابقاء على تبعيتنا ، وفي عملنا الدائب لاقامة مجتمع افضل يحتل مركزه اللائق به بين المجتمعات الانسانية ويتسنم قمة المجد فيها .. لا بد لنا من ارساء اسس فكرية سليمة تقوم عليها حضارتنا ويتغذى من لبانها جيلنا الصاعد. واهم ما يجب ان تتصف به هذه الاسس الذاتية والاصالة بمعنى ان تكون منبثقة من حقيقة امتنا وخالصة من كل شائبة . والمسئولية في تهيئة هذه الاسس انما تقع على كل الواعين من ابناء امتنا الذين تميزوا بالفكر الحر والتقدمية في التفكير الى جانب تشربهم بمحبة امتهم والفناء في الاخلاص لها والعمل من اجلها .

وليس بخاف ما للتاريخ من اهمية قصوى في انبعاث الامم فمن بين سطوره يتعرف ابناء الامة الى روح امتهم ويستجلون اصالتها وعظمتها كما يستعينون به لرسم طريق المستقبل البسام بعد ان عرفوا عبرة الماضي التليد . وعلى هذا فان من اهم ما يجب علينا عمله ان يدرس تاريخنا دراسة عميقة ويبرز في ثوبه الحقيقي بعد ان تمزق عنه الحجب الكثيفة التي اسدلها اعداء امتنا عليه ، وبعد ان تحطم الصورة المشوهة الممسوخة التي صنعها اولئك الاعداء ونحن في غفلة عنهم فترة من الزمن . اننا نريد ان يعرض تاريخنا الحقيقي دونما تزويق وتزييف ودونما تشويه

ومــ غونحن واثقون من النتيجة فقد ساهمت امتنا العظيمة بقسط وافر في الحضارة الانسانية طوال حقبات التاريخ المتتابعة .

ان اهمية هذا العمل عظيمة وهي في نظر من اطلع على حقيقة تاريخنا وشاهد الصورة المشوهة ـ عظيمة جدا لانه لمس الفارق الكبير المفزع بينهما .

وقصة صنع هذه الصورة المشوهة الممسوخة تقودنا الى قصة الغـزو الاستعماري الذي قامت به اوروبا لشرقنا ، حيث عمل السلاحان الفكري والعسكري جنبا الى جنب للقضاء على روح المقاومة العظيمة التـي ابداها شرقنا ضد ذلك الغزو . وحيث كان العالم الاوربي يأتمر بامر القائـد العسكري وكلاهما ينفذ اوامر اساطين الاستعمار .

فقد شعر هؤلاء بضرورة تبرير الجرائم البشعة التي اقترفوها في غزوهم وذلك ليخدعوا ابناء امتهم من جهة وابناء الامم المغلوبة من جهـة اخرى وربما ليموهوا على انفسهم ايضا بحيث يصبحون قديسين ورسلا امام انفسهم على الاقل . وهكذا بدات تظهر للوجود ـ على يد العلماء الغربيين ـ فكرة همجية الشرق وحضارة الغرب ، ثم ما يترتب على الغرب من رسالة ، ازاء هذا الشرق المتاخر ، والعجيب ان اغلب العلماء الاوربيين ينساقون وراء هذه الاكذوبة الضخمة عندما يفسرون الحوادث التاريخية ويعللونها بل عندما يعرضونها . وليس هذا ناشئا بالطبع عن جهل او خطأ في الاجتهاد وانما هو في الغالب تزوير مقصود يرمي الى تلك الاهداف الاستعمارية .

يعالج المؤرخون الاوربيون ـ على سبيل المثال ـ الحروب الفارسية اليونانية التي حدثت قبل حوالي الفين وخمسمائة سنة ، والحـروب القرطاجية اليونانية التي عاصرتها ، فنجدهم يتحدثون عن النضال بين همجية الشرق وحضارة الغرب. فهذا طومسن اكبر مؤرخي الالمان في القرن التاسع عشر يذكر ان القصد من هذه الحروب كان « محو الحريـــة والحضارة بضربة واحدة من وجه الارض » . ولا يعدو ما قاله غلوتس المؤرخ الفرنسي والاستاذ ويلكن ذلك . وهكذا ارجع هؤلاء وجود هذا التفريق بين الشرق والغرب الى ما قبل الاف السنين . لا اظن ان هؤلاء المؤرخين الكبار يجهلون ان امتي الفرس والفينيقيين لا تقلان حضارة عن الامة اليونانية ، بل ان تأثر اليونانيين بالامم الشرقية المجاورة التي كـانوا على اتصال بها واقتباسهم عنها الكثير من عناصر الحضارة امر ليس خافيا على هؤلاء المؤرخين فهو قضية تاريخية مسلم بها يكفي شاهدا عليها ما رآه اليونانيون لما احتكوا بمصر حيث وجدوا امة عريقة في الحضارة متقدمة عليهم بالاف السنين حتى ذكر الحكيم صولون قول احد الكهنة المصريـين له « انتم اليونانيين لستم سوى اطفال ثرثارين مغرورين لا تعرفون شيئا عن الماضي .» (١) كذلك شاهد هذه النظرة عند المدرسة الاستعماريـة الانكليزية « التي كانت تعلق اهمية كبيرة على رسالتها في العالم وعلى الدور الذي يقوم به الانكليزي تجاه الشعوب الملونة وقد تاكدت هذه الغطرسة السياسية بصورة واضحة جدا ليس عند الادباء ككبلنج فحسب بل عند القادة والساسة من ذوي الثقافة المتوسطة »(٢) ويلاحظ الدارس لادب كبلنج وخاصة لكتابه « كيم » نظرته الى تفوق الانجليزي علـى الشرقي الهندي .

اما تردد هذه الاكذوبة على لسان رجال السياسة الغربيين فقد اصم اذاننا فهم مافتئوا يرددون في خطبهم عبارة « الدفاع عن الحرية والحضارة » كلما شنوا الحرب على الامم الشرقية عند مطالبتها بالاستقلال ومحاولتها التخلص من الاستعمار ، بل انهم يقرنون هذه العبارة بالاساطيل الحربية والجيوش الجرارة وليست حادثتا غزو لبنان والاردن في العـام الماضي عنـا ببعيدتين .

باسم هذه الاكذوبة الضخمة استعمرت انكلترا او فرنسا بلادنا وجزاتها وفرضت علينا عصبة الامم انتداب هاتين الدولتين لتاخذ بايدينا فـي طريق التقدم والحضارة فامتصت خيراتنا .. وضاعت فلسطين و ..

لذلك فان محو هذه الاكذوبة ـ من اذهان ابناء امتنا على الاقل ـ امر بالغ الاهمية ويتحمل عبء ذلك كل واحد من اولئك الشباب المخلصين الواعـين .

ولذلك ايضا فاننا نود ان نناقش ماكتبه الاستاذ محي الدين محمد في بحثه « مشكلة حرية الفكر » الذي نشرته الاداب في عددها الاخير .

وقبل ان نفعل ذلك نود ان نسجل ملاحظة حول موقف شباب امتنا المثقف من الحضارة الاوروبية . اذ يمكننا ان ندرج شبابنا الذين اطلعوا على الحضارة الغربية في فئتين : فئة فهم افرادها روح الحضارة الغربية واعجبوا بجوانبها الرائعة وراوا اقتباس روائعها دون ان يتجنى ذلـك على روح امتنا وأصالتها كما امنوا بان امتنا قد اعطت الغرب الكثيــر لما احتك بها في اسبانيا وفلسطين وبلاد الشام زمن الحروب الصليبية . وان الواجب ان نسترد منه الكثير لنلحق بالركب الذي فاتنا ونحن فـي سنة من النوم ونستعيد مكانتنا الاولى ، وعليه فان مانحتاج اليه هو لباب الحضارة لاقشورها . وفئة ثانية غشت عيونها روعة الحضارة الغربيـة وسلبت لبها حتى باتت ابصارها معلقة بها ولا تنظر الا من خلالها .واصمت اذانها اصوات الاله فانساقت بكليتها اليها الى حد تنكرها لكل ماليـس غربيا ولو كان متصلا بالشرق الذي ترعرعت فيه .

وهذه الفئة تردد جميع اقوال الغربيين دونما تمحيص ودون انتلاحظ عداوتهم لنا . ومثلها الاعلى ان تصبح امتنا صورة عن الامم الغربية .وهذا لن يكون الا عندما تفقد ذاتيتها وعندها لن تكون الا صورة ممسوخـــة مشوهـــة .

اما بصدد البحث الذي كتبه الاستاذ محي الدين محمد فاننا نريـد ان نتناوله من جانبين . فنبرز اولا الروح التي كتب بها الاستاذ بحثـه ونبين النتائج التي اوصلته هذه الروح اليها . ثم نناقش ثانيا ما ورد في بحثه من اقوال تخالف الواقع .

ان الكاتب متشبع كليا بالحضارة الغربية ومعجب بها اعجابا عظيمـــا الى درجة انه ينقاد انقيادا مطلقا للعلماء الغربيين ويتبنى اراء المتعصبين منهم حينما يكتبون عن الشرق . فكثيرا ماحدثت المقارنة بين الشرق والغرب في البحث ... الشرق « الذي عبرت الفان من السنين فـوق جسده المسجى بدون ان تستطيع ايقاظ ذهنه » . الشرق العربي « الذي لا يزال مخدرا منذ الفين من السنوات » الشرق « الذي تعج فـي ارضه العناكب المشعرة التي تخيفنا باسم المحافظة على ترك الاجداد والاباء ». الشرق الذي يؤمن بالخرافة ويتصف بالجهل والتعصب والبربرية .

والغرب « المتطور اللاهب » الذي شيد « الحضارة الغربية العظيمة » « الحافل باولئك الابطال النادرين الـذي قاومـوا سلطة الصليب البشعة . » الخ ....

هذه هي الصورة التي يحملها الكاتب للشرق والغرب . وهي تبـدو بوضوح مع انها ترد في معرض الحديث عن حرية الفكر . واظن انـه واضح تماما الصلة بين هذه الصورة وبين تلك الصورة المشوهة التـي

---

(١) الدكتور كامل عياد في تاريخ اليونان

(٢) بيرونوفهن في تاريخ القرن العشرين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صنعها اولئك العلماء الغربيون .بل ان تأثر الاستاذ بهم يتجاوز حد تبني الافكار الى استعمال نفس الالفاظ « الكتب الصفراء .. الخرافة .. البربرية .. الخ .. »

وبعد .. احق ان امتنا مخدرة منذ الفين من السنين ولم تستيقظ بعد ولم تفلح هذه السنوات الطوال في ايقاظ ذهنها ؟ ان كان هذا حقا ـ وهو ليس كذلك بل هو مجاف للحقيقة البينة ـ فان الامل مفقود في ان تستيقظ أمتنا حتى ولو قتل الالاف الذين عناهم الاستاذ .

اصحيح ان حضارتنا الشرقية ـ في تألقها ـ هزيلة اذا حدث التقابل بينها وبين « الحضارة الغربية العظيمة »؟!

احق ان تاريخ امتنا الحديث خال من الشهداء الذين ماتوا في سبيل الحرية ؟

واسئلة كثيرة تلح على قارىء البحث وكلها تتعلق بالحقيقة التي كانت عليها أمته والصورة الممسوخة التي جاءت في البحث . والواقع ان الحقيقة اقوى من ان تنطمس . ونورها انفذ من ان تحجبه الصورة المشوهة .

واظن انه لاداعي للتفصيل في الحديث عن الحضارة الشماء التي شيدتها أمتنا واقامت صرحها ويكفي لكي نصحح في ذهن الاستاذ صورة « الحضارة الشرقية الهزيلة » ان نطلب منه الاطلاع على تاريخها من مظانه حتى من خلال ما كتبه المؤرخون الغربيون فكثير منهم يسلم بحقيقة هذه الحضاره وكثير منهم كتب عنها كبارنولد وبروكلمان وجوزي وكريمر ومتز وغيرهم . ويكون جميلا أيضا لو اطلع على تلك الكتب الصفراء التي يخشاها وواجب البحث العلمي يفرض عليه ذلك . انه اذا فعل فلن يكرر القول بان امته لم تفعل الا « توصيل ارسطو كاملا الى الذهن الغربي .. وعد ذلك انتصارا كونيا » . لن يقول هذا لانه سيعرف ان امته ساهمت مساهمة فعالة في تقدم العلوم الرياضية على يد الخوارزمي وصحبه وفي تقدم العلوم الطبيعية على يد ابن حيان والبيروني وابن الهيثم وغيرهم وفي تقدم الفلسفة العقلية على يد الغزالي وابن رشد والكندي واخوان الصفا وغيرهم والمجال ضيق للتحدث عن دور امتنا العظيم في ذلك التقدم كله .

ويقدم الاستاذ بحثه بكلمة يذكر فيها ان حرية الفكر مطموسة في شرقنا العربي وانه بعيدها للتذكير « لكي يفجر التذكير عملية نجهلها تماما وهي التطور » . وهكذا ببساطة يحكم الاستاذ على شرقنا العربي بانه لم يعرف التطور ابدا وانه لم يتمتع قط بحرية الفكر . ونقرأ البحث لنتبين مايقصده فنجده يكرر اننا منذ الفين من السنين لم نتطور ومرة يقول « منذ الف سنة ويزيد » ويتضح انه يقصد ان شرقنا العربي منذ ظهور السيد المسيح حتى يومنا هذا وهو جامد يأبى الانقياد لعامل الزمن فيتحرك .

أهذه حقيقة ؟ لننظر معا عبر هذه السنوات نظرة مجردة موضوعية لا يؤثر عليها هوى او تعصب فنجد ان هذه السنوات حافلة بالاحداث الجسام والقفزات الهائلة في مضمار التقدم الانساني .

ان ظهور السيد المسيح نفسه لاكبر مثل على ذلك . انسان حر التفكير يدعو الى اسمح المبادىء ويتعب في سبيل ذلك ويجهد غير عابىء بكل مايناله من اذى اولئك المتسلطين . وهكذا انبعثت من شرقنا رسالة سامية كان لها اكبر الاثر في اوروبا نفسها . وينعي الاستاذ على المسيحية « انها كانت تنادي بحرية الفكر في عهد اباطرة الرومان ثم كان اول اعمالها حين تسلمت السلطة ان شجبت حرية التفكير وحرية العقيدة ». والواقع ان مبادىء المسيحية بقيت تلك المبادىء السامية والذي حدث ان بعض المستغلين لها اساءوا استعمالها . ونود من الاستاذ ان يلاحظ ان هذا الانحراف حدث في الغرب وليس في الشرق . اي اننا قدمنا المبادىء الرائعة التي سرعان ما شوهها الغرب بعد ان اخذها .

كذلك الامر بالنسبة للرسالة التي بشر بها النبي العربي من قلب الجزيرة العربية فهزت العالم اجمع . انها تطور كلي . ونسف لمفاهيم كانت سائدة تنهش عقول الناس فيفعلون من الاثام مالا يليق بالانسان . انها قضاء على التقليد الاعمى للاباء والاجداد .. وشحذ للفكر الانساني ليصل عن طريق التفكير الى حقيقة الوجود . جاءت بمبادىء تكفل حرية الفكر وعلى مدى الف من السنين رأينا تطبيق الكثير من هذه المبادىء . ويكفي ان نلفت نظر الاستاذ الى ان حرية الاعتقاد سادت شرقنا طوال تلك الفترة ولم يحدث ان نظمت المذابح للقضاء على المذاهب المخالفة كما جرى في اوربا . لقد قررت تلك الرسالة ان « لااكراه في الدين » فعاش الجميع جنبا الى جنب متحابين اخوة حتى عقدت الدهشة السنة الجنود الصليبيين دهشة لما رأوا التسامح الرائع بين المسلمين والمسيحيين ووقوفهم صفا ضد ذلك الزحف الاثيم .

ومنذ ذلك الحين وأمتنا تجود بالابطال العظماء والمجددين الذين لم يخل عصر منهم . وان كانت امتنا قد اصابتها غفلة دينية لفترة قصيرة فانها سرعان ماانتبهت وعزمت على اللحاق بالركب واستعادة مكانتها وجهادها الحالي اكبر دليل على اصالتها وعلى انها ستصل الى ماتريد .

ويرى الاستاذ ان الرجال التقدميين هم الذين يحققون التطور وان هنالك سدودا منيعة توقف تيار افكارهم واخطر هذه السدود في رأيه السلطة والتقاليد والدين . ويبدأ حديثه عن السلطة فيحدد لها مهمة المحافظة على الوضع الراهن ؟ وهكذا يقع الاستاذ في التصميم الخاطىء .فالسلطة احيانا تقصد تبديل الوضع الراهن وتغييره ولا ادل على ذلك من الحكومات الثورية ـ وقد شاهدت بلادنا بعضها ـ التي قضت على كثير من رواسب ومفاسد عهد الانحطاط السابق فحددت الملكيات وصفت البلاد وغير ذلك . ونحن مع الاستاذ في ضرورة مقاومة السلطة اذا كان همها كم الافواه وتحطيم الاقلام ولكنا نخالفه في ان هذا يتمثل تماما في شرقنا العربي كما يقرر هو . وليس معنى هذا تبرئة شرقنا فنحن نقرر انه لازالت في شرقنا حكومات تسير في طريق الضغط والارهاب وتتصل بالاستعمار الغربي اتصالا وثيقا . ولكن الكثير مما وصف به الاستاذ السلطة الغاشمة انما ينطبق كليا على كثير من البلاد الاوروبية التي يبلغ اعجاب الاستاذ بها حدا عظيما . ونحن لم ننس بعد قصة الكاتب باسترناك مؤلف الدكتور جيفاكو ، كما ان بلادنا لم تشهد سلوكا مكارثيا،

قريبا

مواطن امام القضاء

للقاص العربي

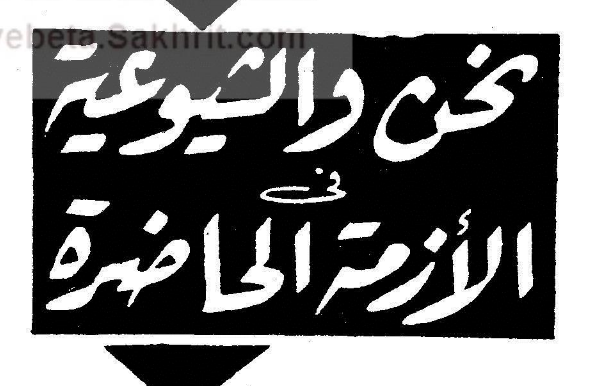
فاضل السباعي

نشر دار المعارف بمصر

كذلك الذي ساد اميركا . وسيل الكتب المنوعة المتدفق من المطابع ـ في بعض دولنا ـ في مختلف المواضيع المتضاربة ليدل دلالة قاطعة على ان حرية الفكر بخير اذا ماقورنت ببعض البلاد الغربية ..

ثم يتحدث الاستاذ عن التقاليد التي يراها « افكار عصر سابق ، تعبير عن الامس يريد ان يضع مخالبه في يومنا نحن » . ويرى ضرورة التحرر منها . ونحن معه في ضرورة التحرر من التقاليد البالية ونقول ان شرقنا اول من نعى على الناس اتباعهم المطلق وانقيادهم الاعمى للاباء والاجداد وكانت صرخة النبي العربي في قومه مزلزلة لكل التقاليد البالية . اما ان نخالف كل شيء قاله الاباء والاجداد من دين ومنطق وعبارات ـ كما يرغب الاستاذ ـ فهذا قضاء على روح امتنا وتجاف للمنطق السليم ، لان ماهو حق يبقى كذلك على مر الزمن ولا حاجة لتغييره ، مادام يوائم العقل السليم . ثم ان الماضي والتقاليد لامة من الامم تحوي في تضاعيفها عبقرية الامة . ولقد كان عمل هرود الالماني رائعا لما انكب على تقاليد الشعب الالماني وابرز منها عظمة الشعب فكان عاملا هاما في توحيد الامة الالمانية . ان رغبة الاستاذ بالتغيير تصل الى درجة انه يعجب من بقاء العبارات المتداولة التي نستعملها في حياتنا اليومية مدة طويلة.. ولا ادري ان كان يرى تغييرها كل مدة وبودي لو مثل لذلك .

ثم يتحدث الاستاذ عن الدين الذي هو في نظره اخطر السدود ،فيبدأ بوضع مبدأ جديد وهو « ان الحقيقة لا تعرف الا بمقدار ما يتفق عليها الجميع ويرضون عنها ، واذا حدث واعلن فرد شكه في منطقيتها تزلزل مركزها واصبحت عرضة للانسحاق » . ثم يقول « والحقيقة الدينية لايتفق عليها الجميعلانها ضد المنطقوالرياضة وتؤكد على الوهم والخرافة»



اما المبدأ فجديد كل الجدة ولو اعتمدناه مقياسا لما وجدت حقيقة ابدا وحيث اننا نشك في منطقية كلام الاستاذ فيكون كلامه تبعا لذلك ليس حقيقة ـ حسب مقياسه ..

اما ان الدين ضد المنطق في الرياضة فالبحث في ذلك يطول ولقد بحث هذا الموضوع من قبل كبار العلماء الشرقيين والغربيين واظن انه من المجافاة للبحث العلمي ان نقذف بالكلام دونما تدليل . ولقد تميّز القرن التاسع عشر في اوروبا بظهور النزعة الالحادية وعبادة العقل اما القرن العشرون فيلاحظ ان جل علمائه قد عادوا الى الايمان بعد انظهرت محدودية العقل ..

اما انالدين«صورة منصور التقاليد تؤكدعلى الانصياعوالعبوديةوالرضى بالواقع » فان الواقع التاريخي يكذب ذلك حيث يدلل على ان اعظم الانبعاثات التي حدثت في امتنا انما كانت بفضل الدين . وواقعنا الحالي في حربنا ضد الاستعمار يدلل ماللدين من اثر عظيم في رفض الذل والعبودية . ان امتنا تتميز بانها كانت موطن الاديان ورسالتها للعالم اسمى الرسالات .

اما « ايثار المجتمع العربي السلامة بالانكباب على دراسة الكتب الصفراء واستخراج الخرافة والتعقيد التشريعي والبربرية من بين سطورها ثم اتخاذها اخلاقا » . ان الواقع عكس ذلك وما اصعب ان يتهم انسان بعكس واقعه . احق ان اخلاقنا بربرية . ونحن الذين سادنا احسنالنظم الاخلاقية فكنا في كل تعرفاتنا مثلا جيدا للانسان الحق . عرفنا الفتوحات فكنا ارحم الفاتحين . ان هذه التهمة هي قول العلماء العبيد لاساطين الاستعمار الغربيين الذين انحطوا بالمستوى الانساني في اعمالهم ومع ذلك يلحقون التهمة بنا . اما التشريع الذي ابدعته امتنا فهو ارقى التشريعات باعتراف اكبر المجامع التشريعية الدولية الحديثة ، وكتبنا الصفراء هي التي حملت الحضارة للغرب والى قرن مضى كانت لايزال بعضها يدرس في جامعات اوربا .

وبعد . فان حرية الفكر تنادي بان يعتقد كل انسان مايشاء . وامتنا مؤمنة بالاديان ومتميزة بالحضارة الحقة التي وازنت بين الجانبين المادي والروحي وهي لذلك تلفظ المادية وتأبى الشيوعية . وهي في ذلك كله لها مطلق الحرية في الاعتقاد . فلماذا اذن يغضب الاستاذ ويصرخ واصما اياها بأبشع النعوت من بربرية وتخدير وجهل وتعصب . ان حرية الفكر لاتعني ان نفرض الالحاد على امتنا بل ان ندعها تؤمن بما تشاء . ولئن كانت تلك السدود تمنع تقدم الافكار في الغرب فان الوضع بالنسبة لنا جد مختلف فقد حدثت موجة الالحاد في اوربا نتيجة للصورة التي اعطتها الكنيسة الاوربية للعقيدة المسيحية ابان تأخرها حيث وقفت في وجه التقدم العلمي وحرقت العلماء وعذبتهم . ونحن لانعرف مثل ذلك في شرقنا . أما ان يعرض الاستاذ صورة ذلك الجلف القروي ذي العمامة الخضراء والمسبحة الطويلة واللحية الوسخة والشاربين القذرين ويصوره بانه يصبح الحاكم والاله فهي صورة محرفة عن واقع ماحدث في اوربا وهي بذلك مستوردة ولا اظن ان احدا يذكر حدوث مثل هذا في شرقنا لانحكم عامة الناس على امثال ذلك الجلف ... انه جلف جاهل .

وبعد .. انها ازمة يقع فيها شبابنا من تلك الفئة التي لا تعرف الا الاستيراد من الغرب . وعسى ان يأتي الجهد القوي من شبابنا الواعي لتصحيح المفاهيم وعرض تاريخنا صحيحا ينقذ اولئك من ازمتهم .

دمشق ـ الاقليم الشمالي **احمد صدقي الدجاني**

فرنسا

معركة الجزائر « الفكرية »

تستمر رحى « معركة الجزائر » في اوساط الاحرار من المثقفين الفرنسيين ، وتزداد حدة الحرب الجزائرية التي لم تضعف لحظة ، والتي كان الاستعماريون وما يزالون يرجون ان تنتهي بانتصار القوات الفرنسية.

وكانت هذه الاوساط الحرة قد امتلأت املا بمجيء الجنرال ديغول الى الحكم ، اذ كانت تعلق عليه امنية العمل على انهاء الحرب الجزائرية والاعتراف باستقلال الجزائر والتفاوض مع جبهة التحرير الوطنية على هذا الاساس . ولكن هذه الاوساط فقدت كل آمالها الان ، اذ تكشف الجنرال ديغول عن عقلية لا تقل في نزعتها الاستعمارية عن اية عقلية رجعية حكمت فرنسا حتى الان . ولا يخفي عدد من المفكرين الاحرار هذه الخيبة ، بل يجاهر بها وينفض يده من ديغول ويعلن ان رئيس الجمهورية الحالي يسير بالجمهورية في طريق الهلاك .

وكان الكاتب المعروف فرانسوا مورياك قد وقف في الماضي مواقف



محمودة من قضية الحرب الجزائرية ودعا مرارا الى وضع حد لها ، وعبر عن امله في ان يستطيع ديغول ان ينهيها . غير ان ثقته برئيس جمهوريته كانت ولا تزال اكبر مما ينبغي ، وهذا ما جعل موقفه الاخير مترجرجا غير واضح ، بل يبدو انه تراجع عن بعض افكاره التحررية واصبح يلتمس المبررات لاستمرار حرب الجزائر. وقد أثار هذا الموقف المترجرج كاتبا حرا كان دائما يشجب استمرار تلك الحرب ويدعو الى الاعتراف بالشخصية الجزائرية ، وهو « كلود بورديه » رئيس تحرير مجلة « فرانس اوبسرفاتوار » .

وقد تحدث بورديه في مقال له نشر بالعدد ٤٧٨ من مجلته عن « الديغولية » وتطورها بصدد الرد على مقال لفرانسوا مورياك نشر اخيرا في مجلة « اكسبريس » ، فقال بورديه ان ثمانين بالمئة من الفرنسيين انضموا في الصيف الماضي الى الديغولية ثقة منهم بانها ستنقذ فرنسا. اما اليوم « فان المعنى الدقيق للديغولية يزداد وضوحا كل يوم بالنسبة لكل فرنسي . فان الانسان ديغولي اكثر فاكثر كلما ازداد تأييدا لحرب الجزائر ، ولتعذيب الجزائريين ، ولانحطاط بعض الشعوب ولعدم تساوي بعض الطبقات ، وكلما ازداد ايمانا بان الحرب ظاهرة تاريخية لا يمكن تجنبها ،اي كلما كان منتميا الى اليمين . »

ثم عرض بورديه لمقال مورياك الذي عبر فيه عن الاضطراب الشديد الذي استولى عليه بعض قراءة كتاب « الغنغرينا » La Gangrène فقال بورديه : « لقد اصيب مورياك باضطراب لدى قراءة هذا الكتاب الذي يتحدث عن التعذيب ، هذا التعذيب الذي يمتد من الجزائر حتى يبلغ الان الارض الفرنسية حيث يعذب بعض الجزائريين في سجن قريب من قصر « الاليزيه » ولكن المقال الذي يعرض فيه عواطفه هو من الغرابة بحيث نعتقد ان نوعا آخر من الغنغرينا يصيب مورياك نفسه ... فماذا يقول عن ذلك التعذيب ؟ انه لا ينكره .. ولكنه يشرح .. واية شروح هي! فهو يعتقد ان التعذيب هو مرض العصر ، عصر ارهاب وارهاب معاكس ... وهذه القدرية هي قدرية اليمين من غير شك .. ويتابع مورياك بان التعذيب « يستمر كالسابق » كان الاستمرار في رأيه نوع من العذر والتبرير ، هو ينسى ان الحكومات السابقة كانت حكومات ضعيفة تجاه الجيش والبوليس ، وان الحكومة الحالية هي حكومة قوية ... ثم ان التعذيب قد انتشر ولا يزال يشيع في فرنسا تحت حكم الجنرال ديغول ، من غير ان يضعف في الجزائر نفسها . فحتى لو فرضنا ان هذا العهد لا يقل ضعفا عن العهود الماضية تجاه السلطة التي يمارسها الجيش والبوليس في الجزائر ، فان ما يحدث في فرنسا نفسها يتعلق مباشرة به، والوزراء هم المسؤولون المباشرون عن كل تعذيب ، وعن كل ضجة الم. ولان مورياك يريد ان يخلي الحكومة من اية مسؤولية ، فانه يربط حتمية التعذيب بقوة آلته : البوليس . البوليس الذي تحول الى كائن مستقل ، والى تجسد عضوي ضروري لا سبيل الى تفاديه ، كقوة الهية قدرية ... والاغرب انه يتوجه الى هذا البوليس المؤله لينبعث من وسطه شرطي بطل يهدم التعذيب ! فالى اي حد من عدم التفهم يمكن للرغبة المهووسة برفض الوقائع ان تقود كاتبا كبيرا ! ان التعذيب لا يمكن ان يزول ما دامت الحكومة تواجهه بالتغاضي والصمت ، وما دامت تكم افواه الذين يرسلون اشارات الخطر والاحتجاج ، وما دام هذا العهد يعتقد مثل مورياك بان التعذيب شيء قدري حتمي ! ولكن ما معنى احتجاجك السابق ، يا سيد مورياك ، على الفستابو حين كنت تقول « ان عهدا من الارهاب المعاكس هو عهد تعذيب ! » ولماذا كنت تحارب ضد اعمال تكتفي اليوم بشرحها وتبريرها ؟ »

وينهي بورديه مقاله بان يوجه الى مورياك هذه العبارات :

« انك تدخل معسكر اليمين ، وتتبنى انفعالاته ، وتقع في شرك منطقه. ولكني لا اود ان اصدق ذلك . فقد تداركت نفسك مرات عديدة ، اذ انتزعك حب العدل والحق من هذا الميل الذي حدا بكغيي الماضي الى « الشرح » و « التسامح » و « التبرير » . ان الوهم يتمزق الان في كل مكان ، فهل تظل اخر من يغذيه ؟ ان امامك فرصة وحيدة للمساعدة

النشاط الثقافي في الغرب

على تفادي الاسوأ ، بدلا من ان تجعله اكثر امكانية للتحقق فيما انت تحذر الرأي العام . وهذه الفرصة هي في ان تكف عن الاهتمام بتبرير الجنرال ديغول . قل الحقيقة . »

مفكر حر آخر ...

هذا مظهر من مظاهر المعركة الفكرية التي يقودها بعض المفكرين الاحرار في فرنسا ، والذين تعلق الامال عليهم اكثر مما تعلق على ديغول وطغمته من الوزراء في ايجاد حل عادل للقضية الجزائرية . وهناك مفكر اخر هو جان جاك سرفان شرايبر رئيس تحرير مجلة « اكسبريس » يعبر هو ايضا عن رأي الحق والعدل في جريدته ، ويجابه قوى رجعية شريرة في كل يوم ، ويجمع حوله جماعة من المتحررين الذين لا يرون في حرب الجزائر الا طعنة للضمير الانساني والعدالة الحقة . وقد اصيب شرايبر في اجتماع اخير عقده « الاتحاد الوطني لمحاربي الجزائر القدماء » في مدينة ليون بعدة جروح اذ هاجمه عدد من الرجعيين الذين ينتمون الى حركات اليمين بالعصي واللكمات مع فريق من مؤيديه ، فنجحوا في تعطيل الاجتماع ، ولكنهم لم ينجحوا في حمل شرايبر وزملائه على التراجع عن موقفهم الشريف ، فدعوا الى عقد اجتماعات اخرى قرروا ان يقابلوا فيها القوة بالقوة .

كتاب « التعفن » ...

اما كتاب « الغنغرينا » (اي التعفن) فهو الكتاب الثاني الذي صادره البوليس الفرنسي بعد كتاب « الجلادون » الذي صودر منذ اشهر(1). ولكن خمسة الاف نسخة من الكتاب كانت قد وزعت حين بدأ البوليس بمصادرته ، فانتشر مضمونه في الاوساط ، وهو مجموعة وثائق واعترافات قدمها خمسة من الجزائريين اصابوا الوانا عجيبة من التعذيب في احد سجون باريس . وقد زعم امر المصادرة بان هذه الوثائق كاذبة وقد اخترعها كاتبان شيوعيان .

الاتحاد السوفياتي

معارضة اهرنبورغ البناءة ...

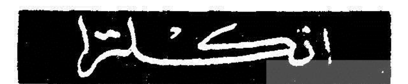
نشرت مجلة « ليتراتورناياغازيتا » في عددها الصادر في ٩ حزيران الماضي مقابلة مع الكاتب الكبير ايليا اهرنبورغ . وهذا الامر وحده ذو مغزى ، بعد مؤتمر الكتاب السوفيات الذي عقد منذ شهر في موسكو ، ذلك ان هذه المجلة كفت منذ عامين او ثلاثة عن التحدث عن اهرنبورغ ، الا لتنتقد انحرافاته عن الخط الرسمي للادب السوفياتي !

وقد عني ايليا اهرنبورغ في هذا الحديث الصحفي عناية كبيرة بوضع « النقاط على الحروف » . فقد سأله الصحفي عن مشاريعه فاجاب :

« لم اجد في مجلة « ليتراتورياناغازيتا » ولا في اي من المجلات والنشرات الاخرى مقالا واحدا مخصصا لاحد مؤلفاتي الاخيرة . ولست اقول ذلك في معرض الشكوى ، فانا لا ازعم ان ما اكتبه ذو أهمية خاصة وان من الضروري التحدث عنه في الصحف . كل ما في الامر اني اجهد لاكون منطقيا . فاذا كان جلد الدبة التي قتلت لاتسترعي انتباه نقادنا ــ فما جدوى التحدث عن جلود الدبة التي لم تقتل بعد ؟»

ومن جهة اخرى ، يبدي اهرنبورغ مزيدا من العداء للكونفورميزم . فبينما يحرص خروتشيف في خطابه « المتساهل » بمؤتمر الكتاب السوفيات على ضرورة التمييز الذي تؤمن به الواقعية الاشتراكية بين شخصيات الروايات « الايجابيين » و « السلبيين » نرى اهرنبورغ يطرح هذه الفكرة ويتساءل : « اتكون انا كارنينا بطلة ايجابية ؟ لقد كان تولستوي يحبها ولكنه لا يعتبرها مثالية . او يكون جوليان سورال بطلا سلبيا ؟ لقد كشف ستاندال عن مساوئه العميقة ، ولكنه كان مع ذلك يكن له حبا عميقا لا يحاول ان يخفيه ... » ان على الكاتب ان يبرز اشخاصه « كما هم في خطوطهم الايجابية والسلبية »

وهكذا لا يبدو ايليا اهرنبورغ كبطل « للمعارضة البناءة » فحسب بالنسبة للادب السوفياتي ، بل هو بهذه التصريحات التي ادلى بها لمجلة « ليتراتوريانانيا غازيتا » يثبت بان النزعة التي يتزعمها قد نالت الان حق التعبير عن نفسها . ولا ريب في اننا سنعرف عن قريب الى حد يستطيع ذلك .



نجم بين التألق والانطفاء ...

لم يعرف كاتب انكليزي معاصر شهرة سريعة متألقة كالتي عرفها جون اوسبورن John Osborne . فمنذ ثلاثة اعوام فقط ، لم يكن اكثر من ممثل عادي في السادسة والعشرين من عمره ، يبحث عن طابع شخصي له من غير ان يجده . وفجاة اصبح بين ليلة وضحاها مشهورا وغنيا الى ابعد مما كان يحلم بعد تقديم مسرحيته الكوميدية المريرة في المسرح الملكي Look Back in anger . وقد اصبح بطل هذه المسرحية المتنقمة ، واسمه جيمي بورتر ، رمزا للجيل الفتي من « المتمردين بلا سبب . »

وبعد ذلك بعام ، كان اوسبورن يجدد انتصاره برواية The Entertainer الذي كان بطلها ممثلا هزليا (قام بتمثيل دوره ببراعة السر لورانس اوليفيه) لا يختلف عن بطل الرواية السابقة الا بان السن والخمر والانحراف قد اضرت بهضررا كبيرا . وفي السنة الماضية ظهر ان مسرحيته Epitaph for George Dillon ذات قماشة مماثلة : فالبطل الرئيسي الذي يؤثره المؤلف بحبه دون ريب هو انسان غريب شاذ شديد الانانية. يستغل بلاهم الود الذي يوحيه للناس .

وقد اظهر المؤلف في هذه الروايات الثلاث موهبة نادرة في الحوار ، ولكن تشابه المسرحيات وضعف الحركة الدرامائية فيها يوحيان بعض التحفظ قبل الحكم على اوسبورن بانه اكبر كاتب درامائي في جيله .

وكأنما اراد ان يؤكد مخاوف المعجبين به ومآخذ نقاده ، فقدم اخيرا في لندن مسرحيته الانتقادية الجديدة « عالم بول سليكي The world of Paul Slicky » ومع ذلك ، فقد ضمنها المؤلف فنا بارعا في انتقاد تبذل بعض الصحف ذات الانتشار الواسع التي تستغل اعصاب القراء وميولهم الى الفضائح والى « الاخبار المثيرة » ، واشرك في روايته موسيقيا كبيرا ومهندسا معروفا وموزعا مشهورا ساهموا جميعا في الرواية . ولكن بالرغم من ذلك ، ومن دعاية واسعة ، سقطت هذه المسرحية الاوبريت ،

(1) صدر بالعربية عن « دار الاداب » ترجمة عايدة وسهيل ادريس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي

نحو سياسة التعليم الصناعي

لمراسل الاداب في دمشق

✶

حين جلا العثمانيون عن هذه البلاد وكانت في امس الحاجة الى التنظيم وتأكيد شيئين : ١ - عروبتها - ٢ - ارادة العيش المشترك بين ابنائها على مختلف نزعاتهم . لذلك عمل المسؤولون على انشاء مدارس .. مدارس من كل نمط ولون ...

لم يكن يهم كيف تكون هذه المدارس بمقدار مايهم ان يكون في كل منطقة مدرسة . وقد سارت اكثر الحكومات على هذه السياسة حتى كان في الاقليم الشمالي عام الجلاء « ١٩٤٥ » مايقرب من ثمانين مدرسة وبعد الجلاء .. ايام الحكم الوطني رغم الاضطرابات والهزات التي عانتها البلاد من انقلابات وتضارب الاحزاب فقد اضطرت كل الحكومات المتعاقبة تحت ضغط الاهالي ان تسير على سياسة التوسع في التعليم حتى صار عدد المدارس الثانوية في العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ « ٢١٢ » مدرسة وقفز هذا العدد الى ٢٨٦ مدرسة ثانية في سنة ١٩٥٨ . وقد رافق هذا النمو العددي في التعليم الثانوي نمو عددي اخر في التعليم الجامعي فقفز عدد طلاب الجامعة من ٢٤٣٤ طالبا سنة ١٩٤٨ الى ٤٩٨٥ طالبا سنة ١٩٥٤ .

وكانت حاجة البلاد الى الموظفين اهم اسباب انشاء الجامعة فقد اسست كلية الطب وكلية الحقوق اولا ثم كليتا الاداب والعلوم لاعداد مدرسي التعليم الثانوي ، وكانت غاية التعليم الثانوي تنشئة طبقة متعلمة تصلح للوظائف الصغيرة واعداد هذه الطبقة للدراسات العالية . واتسع التعليم الثانوي والجامعي ذلك الاتساع الهائل وتطورت البلاد وتطورت حاجاتها وتطور المجتمع ومع ذلك فلم تتطور اهداف التعليم ولا مناهجه ولا برامجه لتتلاءم وشروط الحياة الجديدة .. فما يزال التعليم النظري طاغيا اذ ان المدرسة الثانوية لا تعرف الا فرعين من فروع التعليم : ادبي وعلمي .. لقد حصل في لمنهاج اكثر من اربع تعديلات في السنوات الثلاث الماضية ومع ذلك لم تتحسن السياسة التربوية لان كل التعديلات السابقة هي ترميم لنظام عتيق بال . فالدولة قد اخذت فوق كفايتها من الموظفين بل استطيع ان اجزم بان وضع حملة الشهادات قد اخذ يشكل ازمة، فهم يتزايدون كل عام بينما تقل امكانيات التوظيف بشكل ظاهر . وقد اصبح وضع الطبقة المتوسطة التي تحترم العلم وتطمح الى رفع مستوى ابنائها ، وضعا محرجا تجاه سياسة التعليم النظري ، فانت ترى الطالب يائسا قبل ان يدخل الجامعة . انه يتساءل : ليس امامي سوى الاداب والحقوق فايهما اجدى ؟ والحق ان مستقبله في كف عفريت .

اما اذا كان من الفرع العلمي فليس امامه سوى الطب او كلية العلوم.. وهذه الاخيرة انشئت لتخريج اساتذة علوم الا ان حاجات المجتمع المتزايد قد افسحت لطلابها فرصا ذهبية واتاحت لهم ان يخدموا بلادهم في مختلف الحقول العلمية البسيطة .. ومن ان اتجاه الطلاب الثانويين يميل اكثره نحو الفرع العلمي ومع ان حاجة البلاد تشتد اليهم فان كلية العلوم لم تتوسع ولم تتجاوب مع هذه الموجة الطاغية بل ان موقفها من امال الجيل الطالع ومن متطلبات التطور الصناعي لموقف يدعو الى الاسف ولا يقع اكثر العبء في ذلك الا على ميزانيتها الضئيلة التي اضطرت المسؤولين - حرصا على مستوى التعليم فيها - ان يسدوا الابواب في وجوه الطلاب بان يرفعوا معدل علامات القبول الى حدود عالية جدا . وهذا الحل ليس في صالح الكلية ولا غيرها ، في حين ان كلية الحقوق مثلا قد واجهت كثرة الطلاب بانشاء فروع حديثة فيها ، فاضيفت كلية التجارة الى كلية الحقوق وكلية التربية الى كلية الاداب . وعلى كل حال فان هذه الاجراءات لم تعد تحل اية مشكلة اذ ان المسؤولين لم يقدموا على قلب سياسة التعليم وتبني اهداف جديدة حتى الان .

يجب ان يكون الهدف الجديد للتربية والتعليم تخرج عمال اختصاصيين للمصانع والصناعات الحديثة والبدء بذلك منذ المرحلة المتوسطة بل والابتدائية . ان الاقليم الشمالي قد عرف مشاريع الخمس سنوات والسير حسب سياسة مخططة مرسومة ، بعد قيام الوحدة ، ونرجو ان يشمل التخطيط الصناعي الجديد مناهج التعليم ويكون البدء بانشاء مدارس متوسطة للصناعات منذ العام القادم على غرار مدارس « البوليتكنيك » في اوروبا ، كما يرفق ذلك باحداث كليات للكهرباء ، والميكانيك فنستغني عن ايفاد البعثات الى البلاد الاجنبية ونوفر على طلابنا غير المقبولين مشقة السفر على حسابهم الى البلاد الاجنبية ففي المانيا الغربية وحدها اكثر من خمسمائة طالب سوري في مختلف الفروع العلمية ، ولا نضيع جهود طلاب العلوم بتحويلهم الى كليتي الاداب او الحقوق بل نفسح المجال لامكانياتهم العملية كي تستفيد منهما بلادنا عوضا عن استيراد خبراء اجانب .

واجمع النقاد على تشييعها الى المقر الاخير ، وعلى انها مضجرة مملة طوال ثلاث ساعات .

ولما كان النجاح قد جعل من اوسبورن صبيا مدللا ، فقد قابل هذا النقد بروح سيئة جدا ، فراح يهاجم النقاد ويقول ان ليس فيهم واحد جدير بان يفهم مسرحيته، بل هاجم الحضور ايضا وقال ان هتافاتهم المعادية في الحفلة الاولى تدل على جهلهم وعدم فهمهم التام لعمله ..

ولكن « ليست هناك غيمة لا تحمل الفضة » كما يقول المثل البريطاني الذي يمكن تطبيقه هنا : فان الضجة التي قامت حول افلاس هذه المسرحية في الحفلات الاولى قد ايقظت فضول الجمهور ، فاذا هو يحاصر نوافذ التذاكر ويقبل اقبالا منقطع النظير على مشاهدة المسرحية التي تثير هذه الضجة كلها !

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com

« دريس » ...

مأساة انسان الجزائر حين يدخل فرنسا !

للروائية الفرنسية
جانين اوريانو

عرض وتلخيص
الدكتور سهيل ادريس

– تتمة المنشور على الصفحة ١٢ –

الخامسة عشرة ، وارشدت دريس على الفراش الذي سينام فيه . وما لبث ان دخل الحجرة فتى في مثل سنها وتساءل عما اذا كان القادم الجديد سينام هنا ايضا ... ولاحظ دريس ان الفتى قد دفع الفتاة بمرفقه حين مر بها في طريقه الى فراشه . ثم دخلت الغرفة امرأة تلقاها عبد بترحاب ، فعلم دريس انها زوجته . واحس دريس بالدفء يسري في الغرفة من نار تشتعل في موقد ، فتذوق تلك الحرارة وشعر بالرضى ، ثم رأى الفتاة تتمطى وتنام في ركنها بعد ان القت على الفتى غطاء سميكا حيث كان قد تمدد في وسط الغرفة ، غير بعيد عن فراش دريس ... وتساءل : لماذا ادعى امام جاك انه كان يأوي الى غرفة في الليل ، ويقاسم احد رفاقه الطعام ، ويرفض ان يذهب الى بيته هو ، بيت جاك ؟

وفيما هو يفكر بذلك ، سمع نشيج العجوز وانتحابه ، ورآه يتطلع الى يديه ، وهو يقلبهما ... هاتان اليدان المعروقتان اللتان قتلتا ولم يبق فيهما جدوى . وتساءل دريس : « وايدينا ، كيف تراها تكون؟ الا يجد الناس انها غير قادرة على ان تطعمنا ؟ » وجعل يبذل جهده لينام، ولينيم تفكيره واسئلته . ومضت عليهدقائق وهو مغمض جفنيه ، ثم سمع حفيفا قريبا منه ، فشق عينيه ، فرأى الفتى الذي كانت فاطمة قد غطته يزحف باتجاه فراشها .. وحين رآها دريس تضم ذراعيها على جسد الفتى وترتفع يدها لتربت ظهره ، استغرق في فراشه ليخنق شكواه وهو يتهم فاطمة بانها بغي ، بغي ، بغي ...

(١٠)

بالرغم من ان دريس قضى ليلة مؤرقة متعبة في احدى حافلات المترو ، الذي أصبح مأواه الجديد ، فقد شعر في الصباح باحساس مكبوت من الفرحة هو الذي يسبق توقع كل حدث مرجو بحرارة . الا يبقى له في الواقع ثماني ساعات فقط حتى يلتقي السيد ارمان الذي سيحمل له بشرى العمل الجديد الذي سيمكنه من ان يأكل وينام ؟... تلك اذن هي آخر ليلة له من ليالي البطالة .. وكان قد عانى من مشقة النوم تحت الجسور وفي الانفاق ما حمله على تذكر بيته القروي الهادىء الذي كان ينام فيه مرتاحا على بؤسه وشقائه فيه . وتساءل عما اذا كانت امه ستموت كما مات اخوه قبل ان يتاح له عناقها ...

وحين وصل المقهى في الساعة السابعة مساء ، اجابه صاحب المقهى على سؤاله بقوله :

وأضاف رجل كان يشرب الخمر – بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا !

وأضاف رجل كان يشرب الخمر – بل لقد سافر في رحلة طويلة جدا؟

واصيب دريس بالدهشة اولا ، ثم بالقلق ثم بالضيق . وحاول ان يفكر . ان هذا مستحيل ، وان السيد ارمان لا يمكن ان يخلف وعده. وادار نظره يبحث عن واحد ممن رآهم في الاسبوع الماضي ، فراعه ان يجد المقاعد كلها فارغة ... ومضت دقائق احس فيها بالدوار ، ثم سمع على الرجلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالغضب فيفشي الضباب من انهيار احلامه وذهاب دراهمه واستمرار بطالته .

وثار – ان ذلك اقسى من ان يستطيع احتماله ، والقى نظرات شاردة على لرحلين ، ثم خرج من الحانة وصدره يغلي بالغضب فيفشي الضباب

دار الآداب تقدم :

مدينة بلا قلب ..

للشاعر العربي

احمد عبد المعطي حجازي

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

عينيه . لعل السيد ارمان قد سرق كثيرين قبله..

وكان يشعر انه يكاد يجن اذ يفكر بانه لا ينتظر بعد شيئا ... لقد كان يامل ان يجد مهمة يضطلع بها ، صلة تشده الى الحياة ، هذه الحياة التي تدور حوله من غير ان يستطيع الامتزاج بها ... كان يود ان يعمل شيئا ، ان يعمل حتى الشر ، شرط ان يحس بانه يعيش . اما الان فليس امامه الا منظور واحد : افق مسطح لا مجال فيه لشيء يؤمل .

وفكر في ان يعود ليرى صديقه « عبد » الذي انقطع عنه منذ تلك الليلة ... كان شبح فاطمة يتملكه ويعذبه ، فآثر ان يهرب منها ومن عبد . على ان هذا هو الان من الماضي ، ولا بد من رؤية صديقه ليروي له وليتلقى منه العزاء . غير ان زوجة عبد هي التي استقبلته بنظرات ملهوفة واخذت تسأله عن اخبار زوجها ، فعلم منها انه قد اوقف امس ، وانها ظنت انه يعرف اخباره ، ما دام صديقا له .. وتأثر لهذا الوصف « صديق » : هكذا اذن ! لقد كان جديرا بالنسبة لمخلوق بشري على الاقل بان يكون صديقا ، وهذه الكلمة وحدها تحمل له نهاية الوحدة والصمت ، وتحمل له الثقة والتعاون والضحكات المشتركة ..

وتابعت زوجة عبد : « منذ بضعة ايام ، وانا ارى زوجي يعود متأخرا في الليل ، وقد سررت بذلك لانه لم يعد يملك الوقت ليغضب مني بلا سبب ، ولانه كان يكره ان يبقى بلا عمل ، بينما كنت انا اعمل . واعتقد انهم كانوا يجتمعون لدى رفيق لهم ، وكانت انباء الجزائر تملأ رؤوسهم وكانوا يتمنون جميعا ان يعودوا الى وطنهم. ولم اعد اسمع منه الشكوى بانه غير مجد ، بل كان يخرج في الصباح كانه ذاهب الى المصنع، فاذا عاد بسط الي يديه وقال ، « اترين ؟ ان هناك من يحتاج اليهما . وسوف تهيئان اشياء عظيمة » وعلمت هذا الصباح انه اوقف مع عدد من رفاقه كانوا يعقدون اجتماعا سريا .»

وبعد ان كفكفت دموعها اضافت بعزم :

ــ ولكني لا بد ان القاه مرة اخرى . وسوف اساعده . ساذهب الى اجتماعاتهم لانني فهمت ما كان عمله . ان « عبد » رجل طيب وشجاع . لقد كان يكافح حتى لا يلعبوا مع غيره الدور القذر الذي لعبوه معه . كان يناضل حتى لا يظل الجزائريون مضطرين للقدوم الى فرنسا على غير جدوى !»

وشعر دريس برغبة تصعد في صدره ليتشبه بعبد، وفكر في ان صديقه كان على حق : فانه لا يجدينا شيئا ان ننتقد وان نتاسف عند الابواب، فتلك هي طريقة من طرائق القبول . وانما ينبغي ان نعمل ، مهما كلف الامر.. وقال لزوجة صديقه « سوف اساعدك للعثور عليه ، ويجب ان يعود . وسوف احضر انا ايضا اجتماعاتكم وسترين اننا سننتصر في آخر المطاف »

وكان اولئك الذين يتحداهم هم جميع الذين كانوا يملكون عملا مؤمنا وسقفا يؤويهم .. وفكر في انه سيكون هو الآن حامي امرأة صديقه وسيمنع عنها كل اذى ... ولكنه اخذ يحلل نفسيته فيتبين انه كان ابدا رجلا انانيا لا يهتم بالاخرين . وقال في نفسه ان لم يرد قط ان ينضم الى اولئك الذين كانوا في مثل وضعه ، وانه لو لقي السيد ارمان ذلك المساء واخرجه من بؤسه لرضي واكتفى ولكف عن التفكير بالعاطلين عن العمل « لقد اضعت الوقت وانا وحدي ، ولم احضر قط احدى تلك الاجتماعات التيكنت اسمع رفاقي يتهامسون بها . لقد ظللت بلا حراك كما لو اني كنت بجانب من وضعوا عبد في السجن . »

ومر الزمن ، وعبثا التمس وسيلة يساعدها بها ، فلم يجد شيئا يقترحه عليها .. وما لبث مصير عبد ان تلاشى في ذهن دريس الذي عاد يشفق على نفسه وعلى كنزه المسروق . وقد ود لو يروى للمرأة سوء حظه ، ولكنه الفاها قد انصرفت عنه ، ففكر بانها قد فهمت من هو « وهي لا تنتظر مني شيئا بعد » وكان جائعا ، وكان تعبا ، وكان يرتجف خوفا من ان تنام دون ان تدعوه الى ان ينام في احدى زوايا الحجرة ، كما نام ذات ليلة . ورآها تبسط معطفها على طرف سريرها، ورأى محفظة تبرز من جيبها ..

(١١)

حين خرج من مسكن عبد ، كانت العاصفة ثائرة ، وكان هو يسير سير عشواء في الظلام ، ملتهب الجبين ، تتراقص الافكار في رأسه وتمتزج وتتلاشى تدريجيا ... وكان يتساءل : « والآن ،الى اين اذهب؟»

ولكنه تحسس في جيبه ورقة الالف فرنك ، فقال في نفسه ، ليخفف ندمه وتبكيت ضميره « ساردها لها » وكان قد اختطفها كالسارق حين رآها تستغرق في النوم ، ثم خرج الى الحانات يشرب ويشرب ليضعف وعيه بوضعه ، وليتلاشى غضبه تجاه هذه المدينة التي يصفعها المطر المثلج ، وتجاه هؤلاء الناس الذين كانوا يرفضون ان يقبلوه بين ظهرانيهم.

حتى اذا انفق كل ما سرقه ، عاد يشرد باحثا عن ملجا . وكانت قد ارتسمت في ذهنه، عبر قطرات المطر الثقيلة، صورة تبعث الدفء العجيب: صورة سرير . وفيما هو مخمور، راح يردد : « سأنام الليلة في سرير »

دار الآداب تقدم

عائدون

للشاعر العربي

يوسف الخطيب

الثمن ليرتان لبنانيتان

صدر حديثا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكانت دموعه تختلط على وجهه بالمطر ، وما لبث السرير ان تجسد في فكره حقيقة رآها ذات يوم ، سرير لا يرشح رائحة القبو ، ولا رائحة المترو ، ولا رائحة القش المتعفن . واخذت ذكرى سرير الانسة بلانش تقوده في مسيره .

ـ هذا انت ؟ صديقي الصغير دريس ؟ ماذا يحدث لك ؟ ادخل ، ادخل، بالرغم من ان الوقت متاخر. اوه ، انك مبلل ، وقد احسنت صنعا بالمجيء!

وحين دخل ، صفق الباب بقدمه ، فارتاعت الانسة بلانش ، ورأته يطوف بعينيه في ارجاء القاعة ..

اما هو فلم يشعر يوما بانه كان على مثل هذه القوة وهذه الثقة بالنفس . واحس انه اصبح رزمة من الكراهية والمرارة . وكان عليه ان يشرح لهم انها لم تكن غلطته ، وانه لم يكن هو الذي ارادها .

لقد اكتشف دريس في نفسه ، عبر سكره وعربدته ، هذا الانسان الذي ولد من بؤسه وترعرع من الامه واحقاده . انه لم يعد يعرف انه كان صغيرا ، هزيلا ، جائعا ، وكان ينسى اسماله وهو يتأمل بوقاحة تلك المراة التي كانت تنظر اليه نظرات استفهام . وكان يقذف بعيدا عنه غلاف الذل القديم .

وكانت الانسة بلانش قد بدأت تفكر بثوب تعطيه اياه بدلا من ثوبه المبلل ، ولكنها ظلت لحظات طويلة مترددة امام ثياب دانيال القديمة ، حتى فاجأها دريس وهي واقفة ازاء خزانة الثياب ، فعاودته ضغينته وقال لها:

ـ واخيرا ؟ لقد مات ابنك او ابن اختك، فهل تريدين ان تعرفي ما الذي فعله اصدقاؤه ؟ حسنا ! لقد احرقوا قرية برمتها انتقاما له . ولقد قتلوا اخي . وربما يكونون قد انتهكوا حرمة اختي الصغيرة وامي. وهي لا تملك حتى ثوبا لاخي تبكي عليه ، لانه لم يكن عنده الا ثوب واحد !

ولم يسع الانسة بلانش الا ان تقدم له ثوب دانيال وتغلق الخزانة على عجل . وعادت اليه بعد ان ارتدى الثوب ، فسألها بلطف :

ـ اليس جميلا صوت المطر الذي يهطل ؟ ان المرء ليشعر بالدفء حين يستمع اليه وهو في ظل سقف .. على ان في الخارج كثيرين يتلقون المطر على ظهورهم ، كما كنت منذ دقائق . كما ان هناك عشرة او اكثر متراكمين في قبو متخثر ، بينما نحن هنا اثنان فقط ينعمان بالدفء...

وارتعش صوته فجأة واستتلى يقول ـ : وهناك ، في بلدي ، ربما كانت السماء تمطر ايضا . اجل ، لا بد انها تمطر على جسد اخي ، وعلى اجساد رفاقي الذين ماتوا اليوم . ولكن هل تملك امي وامهاتهم وزوجاتهم الحق في ان يذهبن ويحملنهم الى ملاجئهم ؟!

وقالت الانسة بلانش وهي تجمع اطراف شجاعتها : ـ اجلس يا صديقي دريس ، وقص علي ما الذي جعلك في هذا الوضع !

فاجاب ببساطة : ـ لقد مات اخي .

فقالت ـ كنت احسب ...

فلم يستمع اليها دريس وتابع يقول ـ وانت التي قتلته . لقد قتلته وقتلت انا ابنك ، فنحن سواء . ولكن هناك شيء : حين حدث هذا ، كان اخي فوق ارضه ، في حقله حيث ولد هو وابوه وجده ، وكان يعمل في المكان الذي عمل فيه ذووه دائما . وسيقول لك الناس انه كان شريفا وشجاعا . وهو لم يطلب منكم شيئا ، كما لم يطلب من جنودكم ان يأتوا ليدخلوا معاولهم القذرة في الارض التي كان يفلحها . اما انت فقد مات ابنك في ارض مجهولة لم يضع فيها ذووه اقدامهم ابدا . لقد مات ، لانه اراد ذلك ...

وارتفع صوت دريس :

ـ لقد طلبت منك المغفرة والصفح لموت ابنك . واعتقد انك تستطيعين ان تطلبي مثل ذلك لموت اخي.

وكانت المسكينة قد تهاوت على مقعدها ووضعت رأسها بين كفيها ، وبدأت تشعر بانها تكره هذا الذي يهين دانيال . وحين طلب منها شيئا يشربه ، اسرعت تلبيه ، ولكنه قسرها على ان تجالسه وتشرب معه ... وقال لها بعد لحظات :

ـ لو كنت تعلمين ما معنى ان ينهض المرء عشرات المرات كل ليلة ليجد نفسه على مقعد حجري ، او في قبو او في اي مكان لا يود ان يجد فيه نفسه... ولو كنت تعلمين ما معنى ان لا يكون للمرء قط من يتكلم اليه ، او يمد اليه ذراعه في الليل ليلتمس الدفء فلا يجد الا الفراغ ... هل تراك سمعت الانات المريعة التي يبعثها على مقربة منك رجال لا تعرفينهم ولكنك تدركين شقاءهم ووحدتهم وانت تسمعينهم يتخبطون ويبكون في نومهم ، حتى يقبض قلبك بالذات وتاتيك الرغبة بان تسدي اذنيك وتصرخي باعلى مما يصرخون حتى لا تسمعيهم ؟»

وتابع دريس : « احسبني يجن جنوني اذ افكر باني لا افيد أحدا ، وبان احدا لا يحتاجني ، ولا يحتاج يدي ، واني لا استطيع حتى ان اعود الى الجزائر حيث يعيش من يسعدون برؤيتي وحدهم . لقد سرقوا المال الذي اعطيتني اياه وكنت ارجو ان ارده لك يوما . وهذا المساء انا الذي سرقت الف فرنك من امراة صديقي الوحيد ».

وتوقف فجأة ثم قال : اريد ان انام . وقد قلت اني سأنام هنا »

ولكن الانسة بلانش عرضت عليه مبلغا يستطيع ان يستأجر به غرفة في الفندق ، ولكنه رفض وقال انهم سيسرقون المال كما سرقوه من قبل،

دار الآداب تقدم :

قصائد عربية

للشاعر العربي

سليمان العيسى

الثمن ٣ ليرات لبنانية

صدر حديثا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم توجه الى غرفة النوم حيث واجهه السرير الفخم . غير ان المراة لم تستطع ان تضبط اعصابها اكثر مما فعلت : فتشبثت به بكل قواها بغية اخراجه من البيت ، وهي تبتهل اليه ان يذهب ويعود في اليوم التالي . ولكنه ارتد اليها وامسك بذراعيها في حركة دفاعية ، فكفت عن الصياح ، ولم يكن يسمع في الصمت العائد الا صوت انفاسهما المضغوطة .

ولم يسمع دريس لابتهالاتها ، بل حملها الى السرير واخذها بقسوة ، فتلطخ الغطاء الابيض بالدم ، وقال ببلادة : « لم اكن اعرف .. عفوا .. » ثم اخذه الغثيان فتقيأ على السجادة .

ونهض وهو يترنح ، وامر يده على هذا السرير الذي لن ينام فوقه وتسلل كانه لص .

✶

وفيما كان دريس يتمشى في الشوارع الخالية حيث كان المطر قد انقطع عن الهطول ، اخذ يصيح :

ـ كنت خير شاب في القرية ، وكان الجميع يقولون ذلك . ولكن ما الذي فعلوه لي ، ما الذي فعلوه بي ؟!

والتفت مار مستعجل ، فنظر اليه بنفور وقال :

ـ هؤلاء الافريقيون الشماليون ، جميعهم عرابيد !

ترجمة وتلخيص
سهيل ادريس



مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني

بيروت شارع سوريا ص.ب. ٣١٧٦ تلفون ٢٧٩٨٣



يسر دار الكتاب اللبناني ان تزف البشرى الهامة الى جميع وزارات التربية والتعليم وجميع المؤسسات الثقافية في البلدان العربية :

انها تعلن عن قرب انتهاء طبع الموسوعة الكبرى للعلامة ابن خلدون ، وقد انتهت الان من طبع المجلد السادس ، وقريبا جدا ينتهي طبع المجلد السابع .

ان دارنا اذ تلفت انظار جميع هذه المؤسسات وجميع الادباء والعلماء في الاقطار العربية ان ثمن المجموعة الان مئة وعشر ليرات لبنانية تحث من يهمه امر اقتناء هذه الموسوعة على الاسراع بحجز مجموعته ، اما عن طريق الناشر رأسا او بواسطة المكتبات الكبرى في العالم العربي ، مع العلم بان ثمن المجموعة الكاملة سوف يصبح عند انتهاء الطبع ، اي بعد مضي ثلاثة اشهر مئتين وعشرين ليرة لبنانية .

هذا وقد صدر حتى الان ثلاثون جزءا ، ولم يبق الا ثلاثة اجزاء فقط ، ونلفت نظركم أيضا الى الفهارس العلمية الهامة والى ان النسخ محدودة .

فبادروا الى اقتناء نسخكم .

عـدو الشـعب

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٥٤ ـ

السيدة ستوكمان ـ حقا ؟ وماذا يريد ؟

الدكتور ستوكمان ـ ان يؤكد لي تاييده . سيقفون جميعا الى جانبي حين الضرورة. اتعرفين من يقف من ورائي ، كاترينا ؟

السيدة ستوكمان ـ كلا ، فما وراءك ؟

الدكتور ستوكمان ـ الاغلبية المتراصة !

السيدة ستوكمان ـ وهل ذلك مفيد لك ، توماس ؟

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، اظنها ستكون مفيدة (يفرك يديه بينما يسير جيئة وذهابا .) يا الهي ! اية غبطة هذه التي تغمر المرء اذ يكون في مثل هذا الانسجام الاخوي مع ابناء بلدته

بيترا ـ وان يفعل الكثير مما هو خير ومفيد ، يا ابتاه !

الدكتور ستوكمان ـ وكل ذلك في سبيل بلدته ، ايضا !

السيدة ستوكمان ـ هوذا الجرس

الدكتور ستوكمان ـ لا بد ان ذلك بطرس (يسمع نقر على الباب) تفضــل ! (يدخل العمدة ستوكمان من القاعة)

العمــدة ـ صباح الخير

الدكتور ستوكمان ـ اني مسرور لرؤيتك ، بطرس

السيدة ستوكمان ـ صباح الخير ، كيف حالك يا عزيزي ؟

العمــدة ـ شكرا ، بين بين . (يخاطب الدكتور) . استلمت مساء امس ، وبعد ساعات الدوام ، مذكرة منك عن حالة المياه في الحمامات.

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وهل قراتها ؟

العمــدة ـ نعم قراتها

الدكتور ستوكمان ـ وما رايك في القضية ؟

العمــدة ـ احم (ينظر من طرف عينه)

السيدة ستوكمان ـ تعالي ، بيترا

(تدخل هي وبيترا الغرفة الى اليسار)

العمــدة (بعد برهة) ـ هل كان من الضروري ان تقوم بكل هذه الابحاث دون علمي ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، حتى تاكدت تمام التاكد ، انا ـ

العمدة ـ وهل انت متاكد تمام التاكد الان ؟

الدكتور ستوكمان ـ لا بد ان مذكرتي اقنعتك بذلك

العمــدة ـ وهل تنوي رفع هذه المذكرة الى لجنة الحمامات كوثيقــة رسـمية ؟

الدكتور ستوكمان ـ طبعا ، يجب ان يتم شيء بهذا الخصوص ، وبسرعــة ...

العمدة ـ انك تستعمل ، في مذكرتك، كعادتك ، تعبيرات قوية . وتقول ، الى جانب اشياء اخرى ، ان ما نقدمه لزوارنا هو سم بطيء .

الدكتور ستوكمان ـ وماذا يمكن ان يقال سوى ذلك؟ حسبك ان تتامل ـ ماء سام سواء في الاستعمال الداخلي او الخارجي! ونقدم هذا لمرضى مساكين يؤمون حماماتنا وكلهم ثقة ، ويدفعون لنا بسخاء لكي نشفيهم !

العمــدة ـ وتعلن بعدئذ استنتاجك باننا يجب ان نبني مصرفا ليحمل الشوائب المزعومة من وادي الطاحون ، وان نعيد وضع كل انابيب المياه من جديد .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، وهل تستطيع ان تقترح خطة اخرى ؟ انا لا اعرف سواها ،

العمــدة ـ لقد اختلقت حجة لزيارة مهندس البلدة هذا الصبـاح، و ـ بلهجة شبه حادة ـ ذكرت هذه التغييرات كاشياء قد نضطر لبحثها في المستقبل .

الدكتور ستوكمان ـ في المستقبل !

العمــدة ـ لقد ابتسم طبعا لما ظنه تبذيرا مني . هل كلفت نفسك عناء التفكير بما ستحتاجه تغييراتك المقترحة من نفقات ؟ استنتجت مما قاله المهندس ان التكاليف قد تبلغ عدة مئات الالوف من الريالات .

الدكتور ستوكمان ـ الى هذا الحد ؟

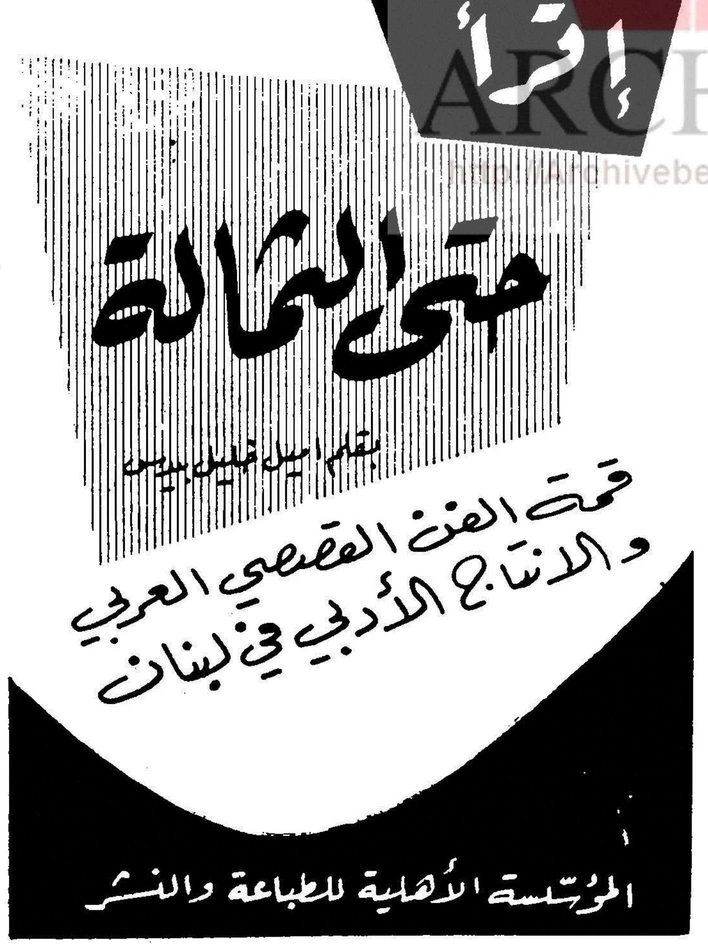
العمــدة ـ نعم ، ولكن هذا ليس باسوأ ما في الامر . فقـد يستغرق العمل عامين على الاقل .

الدكتور ستوكمان ـ عامين ! اتقصد عامين كاملين ؟

العمــدة ـ على الاقل ، وماذا نفعل بالحمامات في تلك الاثناء ؟ هل نقفلها ؟ لا بد من ذلك . وهل تظن ان احدا سيأتي ، ان ذاع في الخارج ان المياه كانت موبوءة ؟

الدكتور ستوكمان ـ ولكن المياه موبوءة ، بطرس

العمدة ـ وكل ذلك الان ، والان بالضبط ، فيما تزدهر الحمامات ! هنالك بلدان مجاورة ، ايضا ، ولا تعوزها المزايا لتحتل مكانها كمصحات. الا تعتقد انها ستبادر فورا الى العمل على تحويل تيار الزوار اليها . انها ستقوم بذلك دون ريب ، وماذا يحل بنا ؟ ربما نضطر ان نهمـل



المشروع الذي كلف الكثير ، وبذا تكون قد دمرت بلدتك !

الدكتور ستوكمان ـ انا ـ دمرت ـ!

العمدة ـ لن يكون للبلدة مستقبل يستحق الذكر الا عن طريق الحمامات . وانت بالتأكيد تعرف هذا كما اعرفه أنا

الدكتور ستوكمان ـ ما الذي ينبغي عمله اذن ؟

العمدة ـ لم انجح في اقناع نفسي بان حالة المياه في الحمامات هي بالخطورة التي تصفها في مذكرتك .

الدكتور ستوكمان ـ بل هي كذلك ـ بل واسوأ ، او قد تصبح أسوأ في الصيف ، حين يحل الحر . انني اعتقد انك تبالغ كثيرا . ينبغي على الطبيب الكفؤ ان يعرف الخطوات التي يتخذها ـ ينبغي ان يكون قادرا على ازالة المؤثرات الضارة ، وان يجابه مفعولها حين تصبح ملموسة بوضوح .

الدكتور ستوكمان ـ حقا ؟ وبعدئذ ؟

العمدة ـ ان منشآت المياه الموجودة هي حقيقة واقعة ، ويجب ان ينظر اليها من هذه الزاوية . ولكن حين يمر الزمن ، فربما تصبح اللجنة ميالة لادخال اصلاحات معينة ، بدون تضحيات مادية غير معقولة .

الدكتور ستوكمان ـ وهل تتصور انه يمكنني ان اكون شريكا في خدعة كهذه ؟

العمدة ـ خدعة ؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ستكون خدعة ـ خيانة ، كذبة ، جريمة سافرة ضد الشعب ، وضد المجتمع كله !

العمدة ـ لم اتمكن ، كما سبق وذكرت ، من اقناع نفسي ان هناك حقا مثل ذلك الخطر الوشيك .

الدكتور ستوكمان ـ بل لقد تمكنت من ذلك ! لا بد وان تكون قد اقتنعت ! انني اعرف ان عرضي للقضية واضح ومقنع للغاية . وانت تفهمه جيدا ، ولكنك لا تريد التسليم بذلك ، فقد كنت انت الذي اصر على ان تكون بنايات الحمامات ومنشآت المياه في مكانهما الحالي ، وتلك هي الغلطة اللعينة التي لا تريد الاعتراف بها . بشو ! اتظن انني لا ادرك حقيقتك ؟

العمدة ـ حتى وان كان الامر كذلك ؟ ان كنت شديد الحرص على سمعتي ، فانني افعل ذلك من اجل مصلحة البلدة . فأنا لا استطيع توجيه الامور وادارتها بطريقة تؤدي للمصلحة العامة ان لم يكن لي سلطة اخلاقية . ولذا ، ولبواعث اخرى ، فانه امر على جانب عظيم من الاهمية لي ألا تقدم مذكرتك للجنة الحمامات . يجب ان توقفها ، من اجل مصلحة المجموع . سأطرح القضية للبحث فيما بعد ، وسنبذل اقصى الجهود ، بهدوء ، ولكن يجب الا تصل الى آذان الشعب كلمة او همسة عن هذا الامر المشؤوم .

الدكتور ستوكمان ـ ولكن لا يمكن منعها الان ، يا عزيزي

العمدة ـ يجب منعها ، وستمنع

الدكتور ستوكمان ـ لا يمكن ، اؤكد لك ، فقد سبق وعرفها كثيرون.

العمدة ـ عرفها كثيرون ! من ؟ أولئك الاشخاص في «مراسل الشعب»؟

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، انهم يعرفون ـ فيجب على الصحافة المتحررة ، المستقلة ان تنتبه جيدا من انك تقوم بواجبك .

العمدة (بعد برهة قصيرة) ـ انت متهور بشكل غريب ، توماس ، الم تقدر ما ستكون نتائج هذا عليك ؟

الدكتور ستوكمان ـ نتائج ؟ ـ نتائج هذا علي ؟

العمدة ـ نعم ، عليك وعلى ذويك

الدكتور ستوكمان ـ ما الذي تعنيه والعياذ بالله ؟

العمدة ـ أعتقد انني سلكت دوما معك مسلك الاخ ـ وكنت دوما على استعداد لمد يد المساعدة لك .

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، لقد فعلت ، وانا اشكرك على ذلك .

العمدة ـ انا لا اطلب شكرا . فانني كنت في الواقع مرغما ، الى حد ما ، ان افعل ما فعلت ـ من اجل نفسي . كنت آمل دوما انني سأتمكن من ابقائك في القيد قليلا ، ان ساعدت في تحسين وضعك المالي.

الدكتور ستوكمان ـ ماذا ! اذن كان ذلك من اجل مصلحتك انت فحسب

العمدة ـ قلت الى حد ما . فانه لمؤلم لشخص في مركز رسمي ، ان يعرض اقرب اقربائه نفسه للهوان مرة اثر اخرى .

الدكتور ستوكمان ـ وهل تظنني افعل ذلك ؟

العمدة ـ نعم ، لسوء الحظ انك تفعل ، دون ان تدري ان لك روحا شكسة ، وجموحة ، وثورية . ثم ان لك ميلا مستهجنا للاندفاع في كل مناسبة، ممكنة ام غير ممكنة . فانك ما تكاد تجد فكرة حتى تكتب ، بالضرورة ، مقالا للجريدة أو كراسا كاملا عنها .

الدكتور ستوكمان ـ اليس من واجب المواطن ، حين يدرك فكرة جديدة ، ان يوصلها للجمهور !

العمدة ـ ليس الجمهور بحاجة للافكار الجديدة . فالجمهور على



ما يرام بالافكار القديمة، الصالحة ، المعترف بها والتي هي لديه من قبل.

الدكتور ستوكمان ــ اتقول هذا علنا !

العمدة ــ نعم ، فينبغي ان احدثك بصراحة ولو مرة على سبيل الاستثناء . لقد حاولت ، حتى الان ، ان اتجنب ذلك ، لانني اعرف انك سريع الضيق ، اما الان فيجب ان اخبرك بالحقيقة ، توماس . فليس لديك فكرة عن مدى الاساءة التي يجرها فضولك عليك. انك تشكو من السلطات ، نعم ، من الحكومة نفسها ــ وتحقرها وتدعي انك قد أهنت ، واضطهدت . ولكن ما الذي تتوقعه غير ذلك ، بطبعك هذا الذي لا يطاق؟

الدكتور ستوكمان ــ حقا ! فانا اذن لا اطاق ، هل انا؟

العمدة ــ نعم، توماس ، انت رجل لا يطاق العمل معك . اعرف ذلك من التجربة . فليس لديك اعتبار لاي شخص ، او لاي شيء ، ويبدو انك تنسى ان عليك ان تشكرني على منصبك كطبيب للحمامات ــ

الدكتور ستوكمان ــ لقد كان المنصب من حقي ، وليس من حق سواي! فقد كنت اول من اكتشف امكانيات البلدة كمصح مياهه معدنية ، انا وحدي عرفت ذلك ، حينئذ ، ثم ناضلت سنوات من اجل فكرتي هذه دون مساعدة من احد ، ولقد كتبت وكتبت ــ

العمدة ــ لا شك ، ولكن الوقت المناسب لم يكن قد حل اذ ذاك ، وفي تلك الزاوية المنعزلة عن العالم ، لم يكن في وسعك ان تحكم على ذلك . اما وقد حلت اللحظة المناسبة ، فقد تعهدت ، واخرين ، الامر

الدكتور ستوكمان ــ نعم ، ثم افسدتم خطتي القويمة . والان نرى أية جماعة من المدعين كنتم !

العمدة ــ كل ما استطيع ان اراه انك تبحث من جديد عن منفذ للمشاكسة . تريد ان تشن هجوما على رؤسائك ــ هذه عادة قديمة من عاداتك . انت لا تستطيع احتمال سلطة اعلى منك ، وتنظر بريبة الى كل من يحتل وظيفة اعلى من وظيفتك ، وتعتبره عدوا شخصيا ــ وبعدئذ لا يهمك اي نوع من السلاح تستعمل ضده . ولكني الان اوضحت لك مدى ما تتعرض له البلدة من خطر ، وما اتعرض له انا . ولذلك احذرك ، توماس ، انني متشدد في الطلب الذي ساطلبه منك .

الدكتور ستوكمان ــ اي طلب ؟

العمدة ــ لم يكن لديك ادراك يمنعك من الثرثرة للغير عن هذه المسألة الدقيقة ، التي كان يجب ان تبقى سرا رسميا ، لذلك فلا يمكن اخمادها الان ، وستصل الاشاعات من جميع الانواع الى الخارج ، وسيخترع رجال السوء اضافات شتى اليها . فلذلك ، سيكون من الضروري لك ان تنفي كل تلك الاشاعات علنا .

الدكتور ستوكمان ــ انا ! وكيف ؟ اني لا افهمك !

العمدة ــ نحن ننتظر انك ، بعد بحث اوسع ، ستتوصل الى نتيجة ان الامر ليس وشيك الخطورة وليس ملحا كما تصورت في البداية .

الدكتور ستوكمان ــ انتم اذن تتوقعون هذا ؟

العمدة ــ واكثر من هذا ، فاننا نتوقع ان تعبر عن ثقتك بان لجنة الحمامات ستنفذ (بدقة ونزاهة) كل الاجراءات لاصلاح اية نقائص محتملة .

الدكتور ستوكمان ــ ولكن لن يكون بامكانكم القيام بذلك ، طالما انكم ماضون في الترميم والترقيع ، اني اخبرك ، بطرس ، وانه اعتقادي الثابت ، المخلص ــ

العمدة ــ لا يحق لك ، كموظف ، ان تحمل اعتقادا شخصيا

الدكتور ستوكمان (يجفل) ــ لا يحق لي ان ــ ؟

العمدة ــ قلت كموظف . اما بصفتك الخاصة ، فتلك مسألة اخرى طبعا . واما كمرؤوس في الحمامات ، فليس لك الحق في ان تعبر عن أي اعتقاد يخالف اعتقاد رؤسائك .

الدكتور ستوكمان ــ هذا اكثر مما يطاق ! انا طبيب ، وعالم ، ولا املك الحق ان ــ !

العمدة ــ ليست القضية المطروحة للبحث قضية علمية خالصة ، انها قضية معقدة ، فان لها جانبا فنيا واخر اقتصاديا .

الدكتور ستوكمان ــ وما يعنيني من ذلك والعياذ بالله ! ينبغي ان تكون لي حرية التعبير عن رأيي في أي موضوع كان .

العمدة ــ لك ذلك ــ ان كان الامر لا يتعلق بالحمامات . فنحن نمنعك من التدخل بشؤونها .

الدكتور ستوكمان ــ (يصرخ) ــ تمنعون ــ ! أنتم ! حفنة من ــ

العمدة ــ انا امنع ذلك ــ انا رئيسك ، عندما اصدر امرا فما عليك الا ان تمتثل له !

الدكتور ستوكمان ــ (يضبط نفسه) بشرفي ، لو لم تكن شقيقي ، يا بطرس ــ

بيترا (تفتح الباب بعنف) ــ والدي ، لن تخضع لهذا !

السيدة ستوكمان ــ (تتبعها) ــ بيترا ، بيترا

العمدة ــ آه ! اذن كنتما تصغيان !

السيدة ستوكمان ــ ان الحاجز رفيق جدا ، فلم يكن بد ــ

بيترا ــ بل وقفت واصغيت متعمدة .

العمدة ــ حسنا ، وعلى وجه العموم ، فلست بآسف ــ

الدكتور ستوكمان ــ (يقترب منه اكثر) . لقد تحدثت لي عن المنع والطاعة ــ

العمدة ــ لقد ارغمتني على اتخاذ تلك اللهجة .

الدكتور ستوكمان ــ وهل علي ان الصق الكذبة بنفسي في تصريح عام؟

العمدة ــ نحن نعتبر اصدارك لتقرير بالمعاني المشار اليها ضرورةملحة.

الدكتور ستوكمان ــ وان لم أطع ؟

العمدة ــ حينئذ سنصدربانفسنا بلاغا يطمئن الجمهور .

الدكتور ستوكمان ــ حسنا ، عظيم ، عندئذ سأكتب ضدكم . سوف اتمسك بوجهة نظري واثبت انني انا على صواب ، وانكم على خطأ . وماذا تفعلون عندها ؟

العمدة ــ عندها لن استطيع ان امنع فصلك .

الدكتور ستوكمان ــ ماذا ؟

بيترا ــ أبتاه ! فصل !

السيدة ستوكمان ــ فصل !

العمدة ــ فصلك من الحمامات . سأضطر ان اقترح بان يعطى لك اشعار سريع ، وبالا يكون لك اية صلة بالحمامات منذ ذلك الحين .

الدكتور ستوكمان ــ اتجرؤ على ذلك !

العمدة ــ انت من يلعب لعبة الجرأة

بيترا ــ عماه ، هذه طريقة مشينة لمعاملة رجل كوالدي .!

السيدة ستوكمان ــ اهدئي، بيترا !

العمدة (ينظر الى بيترا) ــ آها ! اذن لكم آراؤكم المسبقة ! بالتأكيد، بالتأكيد ! (يخاطب السيدة ستوكمان) عزيزتي ، المفروض انك اكثر اعضاء هذه الاسرة تعقلا . استعملي كل نفوذك لدى زوجك ، وحاولي ان تجعليه يتبين ما يجره هذا على عائلته ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدكتور ستوكمان ـ عائلتي تعنيني وحدي !

العمدة ـ اقول على عائلته وعلى البلدة التي يعيش فيها .

الدكتور ستوكمان ـ انا من يضع مصلحة البلدة الحقيقية في اعماق قلبه ! سافضح آثامكم التي ستظهر للنور عاجلا او آجلا . آه ! وسترى فيما اذا كنت أحب بلدتي.

العمدة ـ انت الذي تريد ان تسد المنبع الرئيسي لازدهار البلدة ، بعنادك الاعمى .

الدكتور ستوكمان ـ ذلك المنبع مسموم ، يا رجل ! هل انت مجنون؟ اننا نعيش على التجارة بالقاذورات والفساد ! وكل حياتنا الاجتماعية المزدهرة تستمد نسغها من كذبة !

العمدة ـ اوهام كسلى ـ او اسوأ من هذا . ان من يوزع جزافا تلميحات مشينة لموطنه كهذه ، لا بد وان يكون عدوا للمجتمع .

الدكتور ستوكمان (يذهب نحوه) . أتجرؤ ان ـ !

السيدة ستوكمان (تلقي بنفسها بينهما) توماس !

بيترا ـ (تمسك ذراع والدها) احتفظ بهدوئك ، يا ابت !

العمدة ـ لن اجعل نفسي عرضة للعنف . لقد حذرتك الان . فتامل فيما هو مناسب لك ولعائلتك . وداعا . (يذهب)

الدكتور ستوكمان (يمشي جيئة وذهابا) . وانا علي ان انحمل معاملة كهذه ! وفي بيتي ، كاترينا ! ما قولك في ذلك !

السيدة ستوكمان ـ في الحقيقة ، ان هذا عار ولعنة ، توماس ـ

بيترا ـ ليتني تمكنت من القبض على عمي ـ !

الدكتور ستوكمان ـ انها غلطتي ـ كان ينبغي ان اقف ضدهم منذ امد بعيد ـ وان اكشر عن اسناني ـ وان استعملها ايضا ! ـ يدعوني عدوا للمجتمع ! انا ! لن اتحمل هذا ! واقسم بالسماء ، لن اتحمل !

السيدة ستوكمان ـ ولكن شقيقك له السلطة ، على كل يا عزيزي

الدكتور ستوكمان ـ نعم ، ولكن انا لي الحق .

السيدة ستوكمان ـ نعم ، الحق ، الحق ! ماجدوى ان يكون معك الحق ان لم تكن لك قوة ؟

بيترا ـ أماه ـ كيف يمكنك ان تقولي هذا ؟

الدكتور ستوكمان ـ ماذا ! اليس يجدي ان يكون الحق الى جانب المرء في مجتمع حر ؟ اية فكرة سخيفة ، كاترينا ! وبالاضافة الى ذلك ـ اليست الصحافة الحرة المستقلة امامي ـ والاغلبية المتراصة من ورائي ؟ تلك قوة كافية ، فيما اعتقد !

السيدة ستوكمان ـ ماذا ، يالسماء ، توماس ! انت بالتاكيد لاتفكر في ـ ؟

الدكتور ستوكمان ـ ماالذي لا افكر فيه ؟

السيدة ستوكمان ـ اعني وقوفك ضد اخيك .

الدكتور ستوكمان ـ وماذا تريدينني ان افعل ، ان لم اتمسك بما هو حق وحقيقي ؟

بيترا ـ نعم ، هذا ما اود معرفته ؟

السيدة ستوكمان ـ ولكن لن يكون لهذا اية فائدة . ان لم يريدوا ، لم يريدوا .

الدكتور ستوكمان ـ هو ـ كاترينا ! انتظري قليلا وسترين ماذاقدرت ان اخوض معاركي حتى النهاية .

السيدة ستوكمان ـ حتى نهاية وقوع الفصل ، ذلك هو ماسيحدث .

الدكتور ستوكمان ـ لا بأس ، سأكون ، على اية حال ، قد قمت بواجبي نحو الجمهور ، ونحو المجتمع ـ انا الذي ادعى عدوا للمجتمع !

السيدة ستوكمان ـ ولكن نحو عائلتك ، توماس ؟ نحونا في البيت ؟ اتظن ذلك قياما بواجبك نحو اولئك الذين يعتمدون عليك ؟

بيترا ـ لاتفكري بنا اولا على الدوام ، أماه .

السيدة ستوكمان ـ نعم من السهل عليك ان تتحدثي ؟ فبامكانك ان تصمدي وحدك ان دعت الحاجة ـ . ولكن تذكر الاولاد ، توماس ، وفكر قليلا بنفسك ايضا ، وبي ـ

الدكتور ستوكمان ـ لابد انك فقدت قواك العقلية ، كاترينا ! لو كان لي ان اكون جبانا مسكينا بان اخضع لبطرس.هذا ولعصابته اللعينة ـ اتكون لي ساعة سعيدة واحدة في كل حياتي ؟

السيدة ستوكمان ـ لا اعرف ذلك ؟ ولكن وقانا الله السعادة التي ستكون لنا جميعا اذا اصررت على تحديهم . سنصبح عندئذ من جديد بلا مورد رزق ، وبلا دخل منتظم .كنت قد ظننت اننا اكتفينا بما كان من ذلك في الماضي .تذكر تلك الايام ، توماس ؟ فكر فيما يعنيه هذاكله .

الدكتور ستوكمان (في صراع نفساني ، ويضغط على يديه) . وهذا هو مايجره هؤلاء المتغطرسون على شخص حر وشريف ! أليس هذا مرعبا ، كاترينا !

السيدة ستوكمان ـ بلى ، لاشك ان معاملتهم لك مخزية . ولكن يعلم الله ان هناك ظلما ليس على المرء الا ان يخضع له في هذه الحياة . ـ هاهم الاولاد ، توماس . انظر اليهم ! ماذا سيحل بهم ؟ أوه ، كلا ، كلا ! لن يكون لك ابدا قلب ـ

(يكون ايلف ومورتن قد دخلا اثناء حديثهما ، ومعهما كتبهما المدرسية .)

الدكتور ستوكمان ـ الاولاد ـ ! (بنوبة من الصلابة والحزم .) لن احني رقبتي للغير قط ، ولو دمرت الارض كلها .

(يذهب الى غرفته .)

السيدة ستوكمان (تتبعه) ـ توماس ـ ماذا ستفعل ؟

الدكتور ستوكمان (عند الباب) ـ اريد ان يكون لي الحق في مواجهة اولادي بجراة عندما يصبحون رجالا احرارا .

(يدخل غرفته .)

السيدة ستوكمان (تنفجر باكية) ـ آه ، ليساعدنا الله جميعا !

بيترا ـ والدي مخلص حتى اعماقه . ولن يستسلم قط !

(يتساءل الولدان عما يعنيه كل ذلك ، بيترا تشير لهما ان يصمتا !)

ضيف من الشرق

مجموعة قصص

للقصاص العربي

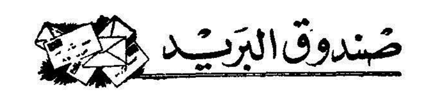
فاضل السباعي

الثمن ١٥٠ قرشا لبنانيا

صدر حديثا

عن دار الاداب ـ بيروت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



حول الاحرف العربية

***الناحية التكنيكية**

لكي نستطيع اجراء نقد للاحرف العربية يتوجب علينا اتخاذ مقياس حي يمكننا به تقرير حقائق مجردة . فلو اتخذنا الجمال مقياسا لتعسر علينا التفضيل بين اللغات المختلفة ولاصطدمنا بنسبية الجمال .

اما لو انتقلنا الى ناحية اخرى : الناحية التكنيكية فاننا نقف على حقائق راهنة مستندة الى مقياس حي : الاقتصاد في الوقت وفي المادة .

وامامنا ناحية اخرى جديرة بالاعتبار وهي تتعلق بالمجهود البصري.

لقد لاحظ كثيرون من ابناء البلاد العربية ان وجود الصور المتعددة لكل من الاحرف العربية له مساويء ملموسة عندما ندخل في نطاق المطبعة او في نطاق الآلة الكاتبة . فالمطبعة مثقلة بالعدد الهائل من الاحرف الذي يتطلب مجهودا اكبر من قبل اليد العاملة علاوة عن تجميد رأسمال اكبر ومكان اوسع . كما انه لا يخفى على احد ان الطباعة على الالة الكاتبة العربية اصعب منها على الالة الافرنجية (الاحرف اللاتينية) وان ثمن الالة العربية نسبيا باهظ .

وقد حاول كثيرون منذ زمن طويل اختصار الاحرف المستعملة في الطباعة صورة واحدة للحرف العربي عوضا عن الصور الثلاث المتعلقة باول الكلمة وبوسطها وبآخرها .

ناحية المجهود البصري

ان الانسان يقوم بمجهود لتمييز الاحرف بعضها عن بعض وخصوصا ما كان متشابها منها فمجهوده اكبر للتمييز بين الباء والتاء منه بين الباء والكاف مثلا وسهولة التمييز بين صورتين تتعلق بزيادة الفوارق نسبة الى الاقسام المشتركة بينهما .

فما هي وضعية الاحرف العربية بالنظر لهذا المقياس الحسي ؟

ان المقارنة بين الاحرف العربية بعضها مع بعض يؤدي الى نتائج مختلفة جدا من حيث سهولة التمييز. فبعض هذه النتائج يثبت تفوق الاحرف العربية على الاحرف اللاتينية والبعض الاخر يثبت العكس .

فلو قارنا مثلا حرفي الميم والنون في اللغة العربية بالحرفين اللذين يعبران عن نفس الاصوات في الاحرف اللاتينية لتبين لنا في نتيجة المقارنة تفوق الاحرف العربية اذ ان الفوارق بين الحرفين العربيين بارزة جدا ويكاد لا يوجد جزء مشترك بينهما بينما في الحرفين اللاتينيين يوجد جزء مشترك لا بأس به .

وبالعكس لو قارنا حرفي الراء والزين العربيين بالحرفين اللاتينيين المعبرين عن نفس الاصوات لكانت النتيجة تفوق الاحرف اللاتينية بدون ريب اذ ان المشترك بين الحرفين العربيين عظيم جدا وتنحصر الفوارق فقط بنقطة في القسم الاعلى من احد هذين الحرفين .

ونلاحظ في الاحرف العربية بعكس الاحرف اللاتينية التناهي في الشبه بين بعض الاحرف والتناهي في التباين بين البعض الاخر . ولا يجوز القول ان خير الامور الوسط بل يجب ان يكون الهدف الاسمى عند واضعي الاحرف الوصول الى التناهي في التباين بين جميع الاحرف بعضها مع بعض .

تعديل الاحرف العربية

يتوجب علينا وفقا لما شرحناه تعديل الاحرف العربية :

١ ـ بتوحيد الصور الثلاث للحرف الواحد بصورة واحدة

٢ ـ بادخال فروق جديدة بين الاحرف المتشابهة جدا مع بعضها البعض اي الاحرف التي لا تفرق عن بعضها الا بالنقط .

وقد حاولت ذلك في الاحرف المختصة بالالة الكاتبة مستهدفا غاية البساطة اي التقرب من الاحرف الشائعة بقدر الامكان حتى لا ينفر ذوو الذوق العربي منها . وقد فرقت بين الاحرف التي لا تفرق عن بعضها البعض الا بالنقط وذلك بتعديل طفيف في جسم الحرف المنقط فيظهر كما لو كان الصق عليه نقط بشكل يكون فيه جزء من النقطة مشتركا مع جسم الحرف والجزء الاخر من النقطة نائنا عنه . وقد جعلت هذا الجزء الاخير من النقطة متجها نحو الاسفل او نحو الاعلى حسب موضع النقطة من الحرف ولم الغ النقاط بشكل من الاشكال . وهذا التفريق هو مبدئي ويمكن زيادته فيما بعد . ولم اجمل الاحرف كلها بعرض واحد اذ لم استطع ذلك بشكل يحترم الذوق العربي.

هذا وانني لا ادعي ابتكار فكرة توحيد صور الحرف العربي الثلاث

وكان العرب، قبل الاسلام وبعده يتجرون مع الصين، وكانت لهم جاليات في سومطرة واندونيسيا و جاوة، وقد وصلوا الى جزر فيليبين التي تقع في المحيط الهادي شرقي جنوب اليابان.

وهم في انسياحهم هذا، سواء قبل الاسلام ام بعده، انما كانوا ينبعثون بالتجارة ثم بالهجرة، وكانوا ينقلون توابل آسيا وجواهرها مثل اللؤلؤ الى افريقيا واوروبا.

وقصة نقل التوابل والجواهر هي في الواقع قصة التبادل الثقافي في العصور القديمة، ثم في العصور الوسطى بين الشرق والغرب.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بصورة واحدة اذ قام كثير غيري بذلك ، غير انني قمت بهذه المهمة بشكل يألفه العربي .

ان هذا التعديل يسهل استعمال الالة الكاتبة العربية ويؤدي الى تخفيض ثمنها والى تخفيض المجهود البصري في القراءة علاوة عن جمال الخط الجديد . ويمكن تطبيقه للطباعة بوجه عام .

سعدالله عويضه

صدر حديثا عن دار المكشوف

الرؤوس

مجموعة الفصول الرائعة التي كتبها نقاد العصر الشهير

مارون عبود

في تاريخ الادب العربي واعلامه

طبعة ثانية ، ورق فاخر

لا غنى عنه لطالب او قارىء